مَنْ كَتَبَ الأناجيلَ؟؟

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
1438 هـ - 2017 م

ISBN: 978 - 9933 - 500 - 69 - 6

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا - ص.ب: 13414
هاتف: 30 24 224 11 963+
فاكس: 36 10 225 11 963+

www.kotaiba.com
E-mail : dar-kotaiba@hotmail.com

كتبنا متوفرة على موقع: www.neelwafurat.com

مَنْ كَتَبَ الأناجيلَ ؟؟

تاريخ وحقائق

دراسة توثيقية مقارنة

بارت د. ايرمان

نقله إلى العربيّة

د. إبراهيم مطر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فكثيرة هي الدراسات والبحوث المتعلقة بالأناجيل وغيرها من النصوص الدينية في الشرق والغرب. وهذا الكتاب هو واحد من سلسلة كتب ألفها الأستاذ بارت د. إيرمان (Bart. D. Ehrman) الذي يعتبر من كبار الباحثين والمؤلفين في هذا المجال، وقد كتب ما يزيد عن عشرين كتاباً وهو أستاذ جامعي بارز متخصص في الدراسات اللاهوتية بجامعة نورث كارولاينا (North Carolina) وجامعة تشابل هل (Chapel Hill) وهو من المراجع الهامة في مجال الكتاب المقدس وسيرة يسوع (عليه السلام).

وهذا الكتاب وأمثاله ما هو إلا محاولة دؤوبة مستمرة للوصول إلى الحقيقة التي لا يهدأ بال إنسان حتى يتوصل إليها مهما كانت الصعوبات والمشاق.

نرجو أن يساعد هذا الجهد في تبيان الحقيقة والكشف عنها لمن يرغب في ذلك.

والله من وراء القصد

تمت الترجمة في بيروت - لبنان

2014

المترجم د. إبراهيم مطر

تمهيد

في يوم مشرق من أيام شهر حزيران عندما كنت في سن الرابعة عشرة أخبرتني أمي أنها ووالدي ذاهبان خارج المنزل ليلعبا رياضة الجولف..وسرعان ما حسبت في ذهني أنهم سيستغرقون عشرين دقيقة للوصول إلى النادي الريفي وحوالي أربع ساعات ليلعبوا مباراة الجولف وبعد ذلك بقليل سيكونون في طريق عودتهم للبيت فكان لدي حوالي خمس ساعات.

وقد استدعيت صديقي رون الذي يسكن في آخر الشارع وأخبرته أن والدي سيكونان خارج المنزل عصر ذلك اليوم وأنني اختلست عدة سجائر من المخبأ السري لوالدي الذي يكون مليئاً بالسجائر باستمرار، وراقت الفكرة لصديقي رون وقال إنه قد أحضر بعض علب شراب الشعير وخبأها بين الشجيرات وأحسسنا بأنه قد فتح لنا باب إلى النعيم.

وعندما حضر رون إلى بيتي توجهنا إلى غرفتي في الطابق العلوي حيث فتحنا النوافذ وأشعلنا سجائرنا وفتحنا علب الشراب وجلسنا نستمتع بشيء لا يرقى إلى الدردشة الثقافية. ولكن لم تمض عشر دقائق حتى فوجئنا بسماع صوت سيارة تقف في الممر والباب الخلفي يفتح وأمي تصيح وهي على الدرج بأنهم قد عادوا إلى البيت لقد كان ملعب الجولف مزدحماً ولذلك قررا ألا ينتظرا أربعين دقيقة ليبدؤوا اللعب. وسرعان ما قفزت أنا ورون إلى التحرك بسرعة فرمينا السجائر وشراب الجعة في المرحاض وأذهبنا أثرها بالماء الغزير وخبأنا علب الشراب وسط النفايات ثم أخذنا علبتين من معطر الجو وبدأنا برشه في أنحاء الغرفة لنزيل أثر الدخان الذي كان في الحقيقة يتصاعد من النافذة. وتسلل رون خارجاً من الباب الخلفي وبقيت لوحدي وأنا أتعرق بعرق بارد متأكداً أن حياتي ستنتهي.

ونزلت إلى الطابق السفلي وسألني والدي السؤال الحاسم «يا بارت هل كنت أنت ورون تدخنان في الأعلى؟» وفعلت ما كان ليفعله أي يافع في الرابعة عشرة من

عمره يحترم نفسه فرددت قائلاً: «لا يا أبي ليس أنا» (وكان الدخان الكثيف ما يزال في الجو وأنا أتحدث).

ورق وجه أبي وتحول إلى ابتسامة ثم قال شيئاً بقي في ذهني مدة طويلة ـ حوالي أربعين سنة في الحقيقة: «يا بارت أنا لا يهمني إن كنت تختلس تدخين سيجارة بين الحين والآخر ولكن لا تكذب علي»، وبالطبع طمأنته قائلاً «لن أفعل يا أبي».

التزام لاحق بالحقيقة:

بعد خمس سنوات كنت إنساناً مختلفاً فالكل يتغيرون في سنوات المراهقة بالطبع ولكني أود أن أقول إن تغيري كان جذرياً أكثر من الجميع. فمن جملة الأشياء التي حدثت، وفي تلك الفترة أصبحت مسيحياً قد ولد من جديد: تخرجت من المدرسة الثانوية والتحقت بكلية الإنجيل الأصولية ومعهد (مودي) الإنجيلي وتلقيت تدريباً جاداً لمدة سنتين في الدراسات الإنجيلية واللاهوت. وفي معهد مودي لم يكن مسموحاً لنا التدخين: «إن جسدك هو معبد الروح القدس». كما ورد في العهد الجديد وأنت لا تريد أن تدنس معبد الله، ولم يكن مسموحاً لنا تناول المشروبات الكحولية فالإنجيل يقول: «لا تسكر بالخمر» ولم يخطر ببالي أنه لا بأس بأن تشرب البوربون (نوع من الويسكي) ـ كذلك لم يسمح لنا بفعل كثير من الأشياء التي يفعلها معظم الناس العاديين في ذلك السن كالذهاب إلى السينما أو الرقص أو لعب الورق. في الواقع لم أكن موافقاً على آداب السلوك الخاصة بتلك المدرسة (بالإضافة إلى أنه كان مفروضاً علينا نظام خاص في الملابس وحلاقة الشعر) «لا شعر طويلاً ولا لحية» ولكن نظرتي إلى الأمر كانت أنني قد قررت الالتحاق بالمدرسة فعلي الالتزام بقوانينها ولو أردت قوانين أخرى لذهبت إلى مكان آخر.

ولكن زيادة على ذلك أنا تحولت من كوني فتى في الرابعة عشرة ذا ميول رياضية وطالب فوق المتوسط يمتلك معرفة قليلة بالعالم أو بموقعي فيه وبدون التزام معين بقول الحقيقة إلى شاب في التاسعة عشرة متحمس جداً منضبط جداً تقياً صالحاً مجتهداً في الدراسة ملتزماً بتعاليم الكنيسة الإنجيلية بأفكار ثابتة عن الحق والباطل والصواب والخطأ.

لقد كنا جد ملتزمين بالحقيقة في معهد مودي الإنجيلي. وإني لأجادل حتى اليوم بأنه ليس هناك أحد على وجه الأرض أكثر التزاماً بالحقيقة من شخص مسيحي إنجيلي جاد. وفي ذلك المعهد لم يكن للطالب غير الجاد أي قيمة. فالحقيقة بالنسبة لنا كانت بأهمية الحياة نفسها. لقد كنا مؤمنين بالحقيقة وقد أقسمنا على قول الصدق ونتوقع قوله من الآخرين وكنا نبحث عن الحقيقة وندرس الحقيقة ونبشر بالحقيقة ونؤمن بها وكما يقول الكتاب المقدس: «الكلمة حقيقة» وكما أن يسوع نفسه كان «الطريق والحق والحياة» ولا يمكن لأحد «الوصول إلى الأب» إلا من خلاله فهو «الكلمة التي تجسدت في اللحم».

فقط أشخاص كافرون مثل يونتيوس بيلاتي كانوا متشككين لدرجة أن يسألوا «ما هي الحقيقة؟» وكأتباع للمسيح كنا في زمرة مختلفة تماماً. وكما قال يسوع «ستعرف الحقيقة والحقيقة ستخلصك».

ويمثل التزامنا بالحقيقة كنا نؤمن بالموضوعية فالحقيقة الموضوعية هي كل ما هنالك. لم يكن هناك شيء اسمه «الحقيقة الشخصية» فالشيء إما حق وإما باطل. الأفكار والمشاعر الشخصية ليس لها علاقة بالحقيقة. الموضوعية كانت حقيقية وممكنة وقابلة للتحقيق ويمكن الوصول إليها. ومن خلال معرفتنا الموضوعية للحقيقة عرفنا الله وعرفنا من هو الله (والمسيح والروح القدس وكل شيء آخر).

إن إحدى تناقضات الدين الحديث هي أن الالتزام المطلق بالحقيقة في بعض أشكال المسيحية الإنجيلية والأصولية والنظرة المصاحبة لذلك والتي تقول إن الحقيقة موضوعية ويمكن إثباتها من قبل أي مراقب غير منحاز، وقد أوصلت كثيراً من الأنفس المؤمنة لاتباع الحقيقة أينما بلغت وحيث بلغت هو غالباً بعيد عن المسيحية الإنجيلية والأصولية.

ولذلك فإذا كنت نظرياً تستطيع إثبات موضوعية الدين ثم تبين لك أن الدين بعد اختباره ثبت أنه خاطئ فإلى أين سيؤدي بك هذا؟

إذا كنت مسيحياً إنجيلياً هذا سيتركك في أرض قفر خارج المعسكر الإنجيلي ولكن بنظرة غير آسفة للحقيقة. إن الحقيقة الموضوعية كما جاء في كلمات أغنية غير مسيحية تماماً هي «ما تبقى من صبي مسكين» ويعلم الله أني مثل ذلك الصبي.

وقبل الخروج إلى ذلك المكان القفر (والذي تبين فيما بعد أنه جنة وارفة مقارنة بالمعسكر القاحل للمسيحية الأصولية)[1] كنت مهتماً جداً «بالبراهين الموضوعيّة» للعقيدة: برهان أن يسوع رفع جسدياً من بين الأموات (قبر فارغ! شاهد عيان)، وبرهان أن الله فعال في العالم (المعجزات!) وبرهان أن الإنجيل هو كلمة الله التي لا تخطئ. وبدون خطأ في أية حال. وكنتيجة كرست نفسي لذلك المجال من الدراسة المعروف باسم الدفاع عن المسيحية.

إن الدفاع عن المسيحية مخصص ليس فقط ليبين أن الإيمان بالمسيح هو شيء معقول ولكن ليبين أن الرسالة المسيحية هي صحيحة بشكل واضح كما يمكن أن يراها أي شخص يرغب في استبعاد الكفر والنظر بشكل موضوعي إلى الدليل.

وسبب هذا الالتزام بالدليل والموضوعية والحقيقة قد سبب لكثير من الناس الإنجيليين ذوي المقاصد الحسنة مشاكل على امتداد السنين وهو أن بعضهم على الأقل مر في الحقيقة واثقون بأنه إذا كان شيء ما حقاً فهو بالضرورة من عند الله وأن أسوأ شيء يمكن أن تفعله هو أن تصدق شيئاً باطلاً. وإن البحث عن الحقيقة يأخذك إلى حيث يوصلك الدليل والبرهان حتى لو أنك في البداية لم تكن تريد أن تصل إلى هناك.

وكلما تعمقت في دراسة إدعاءات الحقيقة الإنجيلية عن المسيحية ـ وخاصة تلك الإدعاءات حول الإنجيل ـ كلما ازددت إدراكاً أن «الحقيقة» كانت تأخذني إلى مكان لم أرد أبداً أن أذهب إليه. فبعدما تخرجت من معهد مودي وذهبت إلى كلية ويتن (Wheaton) لاستكمال دراستي الجامعية درست اللغة اليونانية لأتمكن من قراءة العهد الجديد بلغته الأصلية. ومن هناك ذهبت إلى معهد برنستون اللاهوتي لأدرس مع واحد من كبار علماء العهد الجديد باللغة اليونانية وهو بروس متزغر وقد كتبت أطروحة الماجستير تحت إشرافه ثم رسالة الدكتوراه. وأثناء سنوات التخرج درست نص العهد الجديد بكل المثابرة والتركيز والدقة وعملت حلقات بحث كل منها لفصل جامعي كامل حول كل من كتب العهد الجديد وكلها درستها باللغة الأصلية. وكتبت ورقات عن مقاطع صعبة وعويصة. لقد قرأت كل ما وصل إلى يدي لقد كنت مولعاً بدراساتي وبالحقيقة التي يمكن أن أتوصل إليها.

---

(1) المسيحية الإنجيلية.

ولكن لم يمض وقت طويل حتى بدأت أرى أن «حقيقة» الإنجيل لم تكن مطلقاً ما كنت أعتقده في الماضي عندما كنت ذلك المسيحي الإنجيلي في معهد مودي للإنجيل. وكلما رأيت أن العهد الجديد (إذا لم أرد أن أذكر العهد القديم حيث المشاكل أشد بكثير) طافح بالمتناقضات كلما ازددت انزعاجاً وقلقاً. في معهد مودي كنت أظن أن كل التناقضات يمكن حلها بشكل موضوعي. ولكن تبين لي بالتالي أنه لا يمكن ذلك. لقد تصارعت مع تلك المشكلات وقرأت كل ما استطعت قراءته ولكن كشخص كان يؤمن أن الحقيقة مجردة وغير راغب أن أؤمن بشيء باطل، توصلت إلى الاعتقاد أن الإنجيل لا يمكن أن يكون كما كنت أظنه من قبل.

لقد احتوى الإنجيل على أخطاء وإذا كان كذلك فهو ليس صحيحاً تماماً. وكانت هذه بالنسبة لي مشكلة لأني أردت أن أصدق الحقيقة، الحقيقة المقدسة، وقد رأيت أن الإنجيل ليس الحقيقة المقدسة. إن الكتاب المقدس هو كتاب بشري.

لكن المشاكل لم تتوقف هناك فبالتالي أصبحت أدرك أن الكتاب المقدس لا يحتوي فقط على أباطيل أو أخطاء عرضية. إنه يحتوي أيضا ما يمكن لأي شخص حالياً أن يسميه أكاذيب. وهذا ما سيدور حوله هذا الكتاب.

الحقيقة في تاريخ المسيحية:

بإمكان المرء أن يقول إن التعلق الشديد بالحقيقة في أجزاء من المسيحية الإنجيلية في الوقت الحاضر يمكن تشبيهه بالالتزام بالحقيقة في أقدم سنوات المسيحية. وهذا أحد ملامح المسيحية التي جعلتها متميزة بين أديان العصور القديمة.

معظم الناس اليوم لا يدركون أن الأديان القديمة كانت غير مهتمة تقريباً بـ «العقائد الصحيحة». فالأديان الوثنية والتي أعني بها أديان الغالبية العظمى من الناس في العالم القديم الذين لم يكونوا يهوداً أو نصارى ـ لم يكن لديهم نصوص يجب ترديدها وتلاوتها أو معتقدات يجب إثباتها أو نصوص يجب القبول بها على أنها تقدم الحقيقة المقدسة. الحقيقة كانت موضع اهتمام «الفلاسفة» وليس معتنقي الدين العاديين (إلا إذا كانوا أيضاً من المهتمين بالفلسفة). وبقدر ما يبدو لنا هذا الأمر غريباً في الوقت الحاضر فإن الديانات القديمة لم تتطلب الإيمان بشيء ما أو بآخر وإنما كان الدين متعلقاً بالممارسات الملائمة كتقديم القرابين للآلهة مثلاً والصلوات المعينة. ولأن

الدين كذلك لم يكن يتعلق خاصة بما تعتقده بالآلهة ولأن كل هذه الأديان سمحت بل شجعت عبادة آلهة متعددة فلذلك كان هناك إحساس ضئيل بأن أحد الأديان إذا كان صحيحاً فالأخرى خاطئة. ويمكن أن تكون كلها صحيحة! لقد كانت هناك آلهة كثيرة وطرق كثيرة لعبادتها فليس هناك سبيل واحد إلى المقدس.

إن النظرة السائدة للعصور القديمة تقف على النقيض تماماً لما يعتقده أكثرنا حول الدين في الوقت الحاضر بالطبع. فمن وجهة نظرنا إذا كان أتباع الكنيسة المعمدانية محقين فإن الروم الكاثوليك مخطئون، وإذا كان اليهود على حق فالبوذيون مخطئون وإذا كان المسلمون على حق فالمسيحيون مخطئون... وهكذا. لكن هذا لم يكن شأن الناس في العالم القديم. وقد كانت عبادة زيوس ليست أكثر صحة من عبادة أثينا أو أبولو أو إله مدينة ما أو إله عائلة ما.

فرق رئيسي آخر بين الأديان المعاصرة وأديان العصور القديمة هو أن الأديان الوثنية القديمة ذات الآلهة المتعددة لم تكن شديدة الاهتمام بالدار الآخرة. كان اهتمامهم بالحياة الحاضرة وكيف يحافظون على بقائهم في عالم صعب كثير التقلب، وكيف تعيش حياة حسنة، كيف تضمن نزول المطر ونمو المحاصيل وكيف تتغلب على المرض والصراعات، كيف تحصل على كفايتك من الطعام والشراب وكيف تعيش حياة منتجة ومثمرة وكيف تجعل الشاب أو الفتاة في البيت المجاور لك يتعلق بك ويحبك بجنون.

ومن بين الأشياء الكثيرة التي جعلت المسيحية مختلفة عن الديانات الأخرى في الإمبراطورية الرومانية (باستثناء جزئي وهو اليهودية) أن المسيحية أصرت على أن ما تعتقده شيء مهم يوضع في الحسبان وأن الإيمان بأشياء صحيحة سيجعلك على حق والإيمان بأشياء باطلة يجعلك مخطئاً وأنك إذا كنت مخطئاً فسوف تعاقب مخلداً في النار. إن المسيحية بخلاف الأديان الأخرى هي ديانة استقصائية. فقد أصرت على أنها وحدها تمتلك الحقيقة وأن كل ديانة أخرى غير صحيحة. وكذلك فإن هذه الحقيقة تشتمل على مزاعم عن الله (فهو واحد فقط وهو الذي خلق العالم) وعن المسيح (وأنه ذو طبيعتين إلهية وبشرية) وعن الخلاص (فهو يأتي فقط عن طريق الإيمان بالمسيح) وعن الحياة الأبدية (فالجميع سوف يتنعمون أو يعذبون إلى الأبد) وهكذا...

لقد جاءت الديانة المسيحية لتتجذر بقوة في دعاوى الحقيقة والتي غرست بالتالي في الصيغ الطقوسية العليا كالعقيدة النيقية. ونتيجة لذلك فإن المسيحيين قد احتاجوا منذ البداية أن يحتكموا إلى مرجعيات من أجل ما يعتقدونه ويؤمنون به. هل تعتقد أن هذه النظرة صحيحة بدلاً من تلك. وما هو دليلك على قولك هذا؟ إن السلطة أو المرجع النهائي هو الله بالطبع. لكن أغلبية المسيحيين اعتقدوا بأن الله لم يقل حقيقة الإيمان مباشرة إلى الأفراد فلو فعل ذلك فستكون هناك مشاكل هائلة لأن بعضهم قد يدعي سلطة مقدسة لما يدعو إليه وآخرون قد يدعون سلطة مقدسة لتعاليم مناقضة تماماً لذلك. معظم المسيحيين لم يؤكدوا الوحي الشخصي لأفراد أحياء من البشر وبدلاً من ذلك أصروا أن الله أوحى بحقيقته في أزمنة سابقة عبر المسيح إلى حوارييه (أو رسله) وفي بداية المسيحية كان أولئك الرسل هم المراجع التي يمكن تصديقها ولكن عندما مات الرسل فإلى من سيرجع الإنسان؟

بإمكان المرء أن يقول ـ كما قال كثير من الناس ـ إن قادة الكنائس الذين تم تعيينهم من قبل الرسل بإمكانهم نقل تعاليمهم بحيث أصبح لدى أولئك القادة سلطة مماثلة لسلطة الله ذاته. إن الله أرسل يسوع الذي اختار رسله وهم وجهوا خلفاءهم الذين نقلوا التعاليم المقدسة إلى المسيحيين العاديين.

ولكن نشأت مشكلات كثيرة حول هذه النظرة. فعندما تعددت وكثرت الكنائس لم يعد بإمكان أي منها أن تدعي أن رئيسها هو شخص عرف أحد الرسل أو حتى عرف شخصاً سبق له أن عرف ذلك الرسول وكذلك كانت هناك مشكلة أكبر وهي أن رؤساء كنائس مختلفين كان بإمكانهم أن يزعموا أنهم علموا حقائق رسولية (من عند الرسل) هذا إذا لم نذكر المسيحيين المختلفين في طوائفهم. لكن هذه «الحقائق» كانت متناقضة مع ما قال رؤساء ومعلمون آخرون أنها تعاليم الرسل. كيف للمرء أن يعالج هذه المشاكل؟ والجواب البديهي كان واضحاً منذ بدايات الحركة المسيحية. فيمكن للمرء معرفة ما دعا إليه الرسل من خلال الكتابات التي تركوها بعدهم. فهؤلاء المؤلفون الموثقون أنتجوا تعاليم موثقة ولذلك فإن الحقيقة المعتمدة يمكن أن توجد في ما كتبه الرسل.

ورغم أن هذا قد يبدو حلاً مثالياً للمشكلة إلا أنه يثير مشاكل جديدة بحد ذاته وإحدى هذه المشاكل تتعلق بحقيقة أن المسيحيين الأوائل ربما لم يحسبوا لها حساباً

ولكن علماء اليوم مدركون لها بشدة. فمعظم الرسل (الحواريين) كانوا أميين ولم يكونوا في الحقيقة يستطيعون الكتابة (وهذا الموضوع تجد مناقشته لاحقاً في الفصل الثاني من هذا الكتاب). فلا يمكن أن يكونوا قد تركوا كتابات موثقة معتمدة إذا كانت نفوسهم تحتاج إليها والمشكلة الأخرى هي أن هناك كتابات بدأت بالظهور وهناك مزاعم بأنها كتبت من قبل بعض الرسل ولكنها كانت تحوي كل أنواع الأفكار الشاذة والمتناقضة. كانت هناك أناجيل متداولة يزعم أنها كتبت من قبل تلاميذ المسيح بطرس وفيليب ومريم ومن قبل أخويه توماس وجيمس (أو يعقوب). وظهرت رسائل ادعي بأنها كتبت من قبل بولس (إضافة إلى الرسائل التي كتبها فعلاً) ومن قبل بطرس وجيمس. وقد ظهرت كتابات تتعلق بسفر الرؤيا والتي تصف نهاية العالم أو مصير الأرواح في الدار الآخرة وكانت هذه الكتابات باسم أتباع يسوع كيوحنا وبطرس وبولس. وظهرت بعض الكتابات قيل بأنها كتبت من قبل يسوع نفسه.

في كثير من الحالات لا يمكن أن يكون مؤلفو هذه الكتابات هم حقاً من قيل بأنهم كتبوها وهذا ما أدركه حتى المسيحيون القدماء (الأوائل) وقد كانت الآراء الموجودة في تلك الكتابات تعتبر هرطقة (أي أنها تقدم تعاليم باطلة) وتتناقض فيما بينها وتناقض التعاليم التي أصبحت معتمدة داخل الكنيسة. ولكن السؤال هو لماذا يدعي مؤلفون بأنهم غير الأشخاص الحقيقيين؟ لماذا يدعي مؤلف أنه رسول بينما هو ليس كذلك؟ لماذا تكتب شخصية مجهولة كتاباً وتدعي بأنها بطرس أو بولس أو يعقوب أو توماس أو فيليب أو حتى يسوع؟ إن الجواب لابد أن يبدو واضحاً تماماً. فلو كان اسمك جيهوشافات ولا أحد غير أبويك وأقربائك يعرفون حقيقتك وأردت أن تكتب إنجيلاً حول حياة وتعاليم اليسوع ورسالة موثقة تصف ما ينبغي على المسيحيين أن يؤمنوا به وكيف يجب أن يعيشوا أو تكتب ما يشبه سفر الرؤيا لتصف بالتفصيل مصير الأرواح بعد الموت. لما كان بإمكانك أن تكتب اسمك الحقيقي على مثل هذا الكتاب.

لا أحد سينظر إلى مثل هذا الإنجيل بجدية وإذا أردت أن يقرأه الناس فإنك تسمي نفسك بطرس أو توماس أو يعقوب ومعنى ذلك أنك كذبت بشأن هويتك الحقيقية.

وغالباً ما يقال ـ حتى من قبل العلماء الذين يفترض بهم أن يعرفوا أكثر من غيرهم ـ أن هذا النوع من الاسم المستعار للكتابات في العالم القديم لم يكن يعتبر كذباً ولم يكن يقصد به الخداع. فجزء مما سأبينه في هذا الكتاب هو أن هذه النظرة خاطئة تماماً (انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب) والكتّاب القدماء الذين تحدثوا حول كتابة مثل هذا الكتاب باسم شخص آخر قالوا إن ذلك العمل كان كذباً وخداعاً معاً وأنه شيء غير مقبول.

كثير من كتابات المسيحيين الأوائل هي بأسماء مستعارة أي غير حقيقية والكلمة الأكثر شيوعاً حول هذا النوع من الكتابة هي التزييف أو التزوير (وإنني سأقدم تعريفات أكثر دقة لهذه المصطلحات في الفصل الأول من هذا الكتاب). في العالم القديم كان التزييف مختلفاً قليلاً عما هو عليه في الوقت الحاضر في أنه لم يكن مخالفاً للقانون. ولكن رغم كونه عملاً غير قانوني فهو عمل خادع يتضمن كذباً مقصوداً كما قال القدماء أنفسهم.

إن السؤال الحاسم هو هذا: هل يمكن أن يكون أي من الكتابات المزيفة في أوائل المسيحية قد دخلت إلى العهد الجديد؟ أي أن بعضاً من كتب العهد القديم لم تكتب من قبل الرسل الذين ارتبطت أسماؤهم بتلك الكتب؟ وأن بعض رسائل بولس لم تكتب فعلاً من قبل بولس ولكن من قبل شخص ما ادعى أنه بولس؟ وأن رسائل بطرس لم يكن بطرس الحقيقي هو كاتبها؟ وأن يعقوب وجود (يهوذا) لم يكتبا الكتب التي تحمل أسماءهما؟ أو كما في حالة أخرى كما سنرى ـ أن أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا لم تكن مكتوبة من قبل متى ومرقص ولوقا ويوحنا؟

لقد أدرك العلماء منذ أكثر من مئة سنة أن الحقيقة في الواقع هي هذه الحالة. إن مؤلفي بعض كتب العهد الجديد لم يكونوا هم الأشخاص المزعومين أو الذين يفترض أنهم هم الحقيقيون. وفي بعض الحالات كان ذلك بسبب كتابة مجهولة المؤلف والتي لم يشر كاتبها إلى اسمه وسميت فيما بعد باسم شخص لم يكن هو الذي كتبها في الحقيقة. فمتّى ربما لم يكتب إنجيل متّى مثلاً ولا يوحنا كتب إنجيل يوحنا (انظر الفصل السابع) ومن جهة أخرى لم يدع أي من الكتابين أنه كتب من قبل شخص اسمه متى أو يوحنا. وفي حالات أخرى كان ذلك لأن المؤلف كذب حول حقيقة شخصيته مدعياً أنه شخص آخر.

وكما ألمحت مسبقاً بأن بعض العلماء كانوا معارضين وغير راغبين بتسمية هذا النوع من التأليف كذباً ولتسمية ما نتج من مؤلفات أدبية تزييفاً. وكما سأشرح مفصلاً في الفصول التالية فإن معظم العلماء الذين قرؤا فعلاً ما يقوله المؤلفون القدماء حول هذه الظاهرة ليس لديهم مثل هذا التردد.

صحيح أن المؤلفين القدماء الذين كذبوا بخصوص هويتهم ربما كانوا يشعرون أن لديهم ضميراً نقياً وبأن ما فعلوه مبرر تماماً وبأنهم كانوا على صواب كامل. ربما كانوا قد صدقوا، على الأقل في أذهانهم، أنه كان لديهم أسباب قوية للقيام بما قاموا به ولكن كما سترى في فصول لاحقة وبمعايير قديمة فإن هؤلاء المؤلفين انخرطوا في أعمال خداع وإن الكتب التي أنتجوها هي تزوير.

ودعوني أنهي هذا التمهيد بأن أقول بكل بساطة أنني أمضيت السنوات الخمس الماضية في دراسة التزوير في العالمين اليوناني والروماني القديمين خصوصاً وليس حصرياً ضمن الكنيسة وهدفي طوال الوقت أن أكتب رسالة علمية مفصلة تبحث هذه القضية بالتفصيل. إن الكتاب الذي تقرؤونه الآن ليس كذلك. إن ما أحاول فعله في الكتاب الحالي هو مناقشة القضية على مستوى الأفراد العاديين مشيراً إلى الأوجه المهمة حقاً للموضوع بإبراز نتائج بحثي وتبيان ما قاله العلماء من مدة طويلة حول كتابات العهد الجديد والكتابات المسيحية تحت اسم مستعار من خارج العهد الجديد. وإن الرسالة العلمية القادمة ستكون موثقة بشكل أشمل ومناقشة بشكل فني أكثر. أما الكتاب الحالي فهو ليس موجهاً إلى زملائي العلماء الذين إن قرؤوا هذا الكتاب سيفعلون ذلك بدافع الفضول للمعرفة. إنه بدلاً من ذلك موجه لك أيها القارئ العادي (العام) وفي أحد المستويات أنت مثلي شخص مهتم بالحقيقة.

الفصل الأول
عالم من الخداع والتزوير

في كل مرة أدرّس فيها عن التزوير أعود بفكري إلى محاضرتي الأولى عن الموضوع قبل خمس وعشرين سنة من الآن في جامعة روتجرز (Rutgers) وبقدر ما قد يبدو هذا الشيء غريباً فإن التزوير كان في ذهن الجميع في ذلك الوقت فقبل بضعة شهور كان التزوير في أخبار الصفحات الأولى طيلة أسابيع عديدة في الصحف الكبرى بمختلف أنحاء العالم. فقد كشف عن مذكرات أدولف هتلر موثقة من قبل أحد كبار الخبراء العالميين عن الفوهرر (القائد) وهو المؤرخ البريطاني هيو تريفور -روبر ولقد تم شراء المذكرات بملايين الدولارات أولاً من قبل مجلة شتيرن (Stern) في ألمانيا من قبل روبر مردوخ من أجل حقوق نشر باللغة الإنكليزية. ولكن ما إن بدأت في الظهور حتى تبين أنها مزورة ولا قيمة لها.

لقد كان الذي قام بالتزوير هو ألماني غربي يدعى كونراد كوياو. ومن سخرية القدر أنه حتى قبل أن يخلد أكبر مهنة خداع في العصور الحديثة كان أصدقاؤه ينادونه كوني أيها المخادع.

نشأ كوياو كشخص فقير من الطبقة العاملة واكتشف في سن مبكرة مقدرة فنية انتهت به إلى مهنة التزوير. وقد قضى بعض الوقت في السجن عندما كان في بداية شبابه عندما قبض عليه بتهمة تزوير قسائم تناول الغداء ولكنه كان لديه العديد من الأسماء المستعارة والناس الذين باعهم مذكرات هتلر لم يكونوا حريصين ومدققين بشكل كاف ليجروا تدقيقاً حول خلفية الرجل.

كانت مذكرات هتلر تتألف من حوالي ستين كتاباً مخطوطاً زعم أنها كتبت في حياته أثناء حكمه من حزيران عام 1932 إلى النهاية في عام 1945. وكان هذا الاكتشاف بالنسبة لجامعي تذكارات النازية ليعتبر شيئاً لا يقدر بثمن فلدينا عدد من الوثائق والرسومات التي أنتجها هتلر ولكن لا شيء كهذه المذكرات فهي تحوي سجلاً لأنشطته اليومية ومقابلاته ونجاحاته وتطرفاته وأصحابه ومحبوباته

ومكروهاته وأفكاره المتقلبة. وعندما حصلت مجلة شتيرن على الكتب وقررت نشرها في عام 1984 ناقش الناشرون مع تريفور - روبر الذي برغم وجود شك مبدئي بأنها غير حقيقية، اقتنع بمصداقية الكتب بناء على قراءة مستعجلة لبعض الصفحات. وكانت وثائق المذكرات تبدو قديمة وقد احتوت على العديد من البيانات الدقيقة وكثير من الملاحظات الجانبية والأشياء الخارجة عن الموضوع التي قد يتوقعها المرء في مذكرات شخصية. وكان هناك عدد كبير منها، أي مزور كان ليذهب إلى ذلك الحد (من التفاصيل)؟.

علاوة على ذلك كان هناك تفسير معقول لكيفية بقاء تلك المذكرات بعد الحرب. فلقد كان معروفاً تماماً أنه عندما تأكدت الهزيمة كان لدى هتلر عدة صناديق معدنية مليئة بممتلكاته الشخصية المنقولة جواً خارج برلين لكن الطائرة تم إصابتها وإسقاطها وقتل قائدها. وقام الفلاحون القريبون من مكان سقوط الحطام بنهب الطائرة ووصلت الصناديق إلى أيد خاصة. وفيما بعد دفع جامعو التذكارات ثمن تلك المواد وأحد هؤلاء الجامعين واسمه كونراد فيشر (وهو اسم مستعار لكونراد كوياو) هو الذي حصل على تلك المذكرات. وقد ادعى بأنها هربت خارج الشرق على يد أخيه وهو ضابط كبير في جيش ألمانيا الشرقية.

ولكن الحقيقة أن كل ذلك كان خداعاً فعله كوياو نفسه فقد تعلم كيف يقلد خط يد هتلر وكان قد قرأ سير حياة مصدقة عن الفوهرر (القائد) ليحصل على حقائق صحيحة نوعاً ما.

وبكل مشقة وجهد أنتج تلك المذكرات على مدى ثلاث سنوات في أوائل الثمانينات. ولكي يظهر الأوراق بمظهر القدم والاهتراء غمسها في محلول الشاي وقام بتكرار ضربها على الطاولة وقد خدع الخبراء لمدة طويلة بما يكفي على الأقل لأن يدفعوا له مبلغ 4.8 مليون دولار أمريكي على جهوده. إلا أنه في اليوم السابق لطرح المذكرات إلى الجمهور بدأ تريفور - روبر يعيد النظر بشأن المذكرات. وبعد مرور عدة أيام قليلة وبعدما أعلنت مجلة شتيرن عن أهم اكتشاف تاريخي خلال عقود طلب الحضور من أخصائيين آخرين وتبين بلا أدنى شك أن المذكرات مزورة. وقد وجد خبراء الطب الشرعي بأن الورق المستخدم والغراء والحبر كلها كانت منتجة بعد عام 1945 وقد بين المؤرخون أن المذكرات مليئة بالأخطاء.

وقد اتهم كوياو بالتزوير وهي جريمة حسب المعايير الحديثة رغم أنه وكما سنرى لم تكن تعتبر كذلك وفق المعايير والمفاهيم القديمة وقد أمضى كوياو عدة سنوات في السجن وخرج الرجل بعدها ولم يندم على فعله وأمضى فترة من باقي حياته وهو يزور رسم لوحات فنية شهيرة لكبار الفنانين مثل مونيه ورامبران وفان غوخ - ويبيعها كتقليد للوحات الأصلية. وكنتيجة خلق هذا الشيء سوقاً لمزورين آخرين ليتجوا ويبيعوا نسخاً مطابقة للرسومات التي قلدها كوياو. وتتويجاً لهذه القصة التي تبدو بلا نهاية وفي أواخر حياة كوياو أنتج سيرة ذاتية لم يكتب لها النشر وبدلاً من ذلك ظهر كتاب آخر باسمه بعنوان «أصالة التزوير» وادعى كوياو بكل صدق أنه لم يكتب كلمة واحدة منه.

عمليات التزوير في العالم القديم:

عندما ألقي محاضرات عامة حول التزوير كثيراً ما يسألني الناس: «من كان ليقوم بمثل هذا العمل؟» وجوابي هو «كثير من الناس يفعله» ولكثير من الأسباب المختلفة وأكثر الأسباب شيوعاً في الوقت الحاضر بالطبع هو من أجل كسب المال. ولربما كان كونراد كوياو أكثر الحالات فظاعة وسوء سمعة في هذا المجال ولكن له عدة مئات من الأقران والتلاميذ الأقل شهرة منه. وتستمر تجارة التزوير في الانتعاش ونرى حالات تزوير باسم جورج واشنطن وأبراهام لنكولن واللورد بايرون وروبرت فروست وكثير غيرهم تملأ الأسواق. كما يشهد بذلك بقوة الأدبيات حول التزوير الحديث. ويتم إنتاج هذه التزويرات بشكل دائم تقريباً لكي تباع على أنها أصلية (موثقة). لقد كان هناك كم كبير من ذلك النوع من النشاط في العالم القديم أيضاً (وكان هناك أعداد أقل بكثير من الخبراء الذين يمكنهم اكتشاف التزييف إذا ما شاهدوه) مع أنه لم يكن عنصراً أساسياً في أثناء الفترة الأولى من المسيحية وكان ذلك لسبب بسيط وهو أن الكتب المسيحية لم تكن عموماً معروضة للبيع.

ويقوم بعض الأوغاد الآخرين في الوقت الحاضر بتزوير وثيقة فقط ليبرروا إن كان بإمكان أحد أن يكتشفها فهذا أيضاً من الأشياء التي حصلت في العالم القديم وأشهر حادثة من هذا النوع هي القضية المشهورة لدايونيسيوس المرتد.

لقد كان دايونيسيوس عالماً أديباً وفيلسوفاً من القرن الثالث قبل المسيح وبالتالي فقد اكتسب لقب «مرتد» لأنه اختلف مع زملائه الفلاسفة الرواقيين عندما أدرك أن آراءه الفلسفية لا تنسجم مع الحياة الواقعية كما جربها. كان الرواقيون يدعون إلى فكرة أن يتجرد الناس فكرياً وعاطفياً عن مشاعر الحزن والأسى في هذه الحياة لكي يختبروا الطمأنينة الداخلية للروح وقد كان دايونيسيوس متحمساً لهذه الفكرة لمدة طويلة لكنه مرض مرضاً شديداً وعانى كثيراً من الألم وبدأ يفكر أن أفكاره الفلسفية السابقة حول الألم كانت زائفة ولا تصمد أمام الألم نفسه. لذلك ترك الرواقيين وسمي مرتداً من قبلهم.

ولكن الشيء الذي يجعله أكثر شهرة في سجلات التاريخ هو خدعة خدع بها عالماً أديباً زميلاً له وهو أستاذه سابقاً وعدوه لاحقاً هيراقليدس من مدينة بونتوس. كانت الخدعة تتعلق بتزوير وكانت اختلاقاً عمل لكي يظهر هيراقليدس بأنه سيء. لقد كتب دايونيسيوس مأساة ووضعها في التداول سماها بارتينوبيوس مدعياً أنها من عمل الكاتب المسرحي الإغريقي الشهير سوفوكليس. ووصلت المسرحية إلى يدي هيراقليدس الذي لم يكن لديه سبب يدعوه للشك في مصداقيتها. وبالتالي ذكرها في أقواله ليبين إحدى النقاط حول سوفوكليس وهذا بالضبط هو ما كان يرجوه هيراقليدس وهي فرصة ليفضح بها خصمه فجابه هيراقليدس شاعراً بالانتصار عليه وقال له إن المسرحية مزيفة وأنه قد كتبها هو بنفسه.

لكن هيراقليدس لم يصدق ذلك وأصر على فكرته أن ديونيسيوس كاذب لكن كان لدى ديونيسيوس ورقتان رابحتان أعدهما ضد خصمه فقد بين لهراقليدس أنه إذا أخذ أول حرف من سلسلة من السطور في الجزء الأول من المسرحية وضمهم إلى بعض فإنها تشكل اسم بانكالوس الذي صادف كونه اسم عشيق ديونيسيوس الذكر.

وظل هيراقليدس غير مقتنع ولذلك أراه ديونيسيوس حالة أخرى من قصيدة إذا جمعت حروفها الأولى تشكل عبارة أخرى وهي موجودة ضمن نص المسرحية وكانت المجموعة الأولى عبارة عن بيتين من الشعر معناهما:

«إن القرد العجوز لا يتم صيده بفخ.

بلى لقد تم صيده أخيراً ولكن ذلك يستغرق وقتاً»

وكان السطر الأخير بعد ذلك حاسماً تماماً ويقول:

«إن هيراقليدس جاهل بالأدب (أو بالحروف) وهو لا يخجل من جهله».

ونحن لا نجد شيئاً بمثل هذا الصخب أو الغلو الفاضح في كتابات المسيحيين الأوائل وفي الواقع هناك دليل ضئيل يوحي بأن المؤلفين المسيحيين زوروا وثائق فقط ليروا إن كان بإمكانهم أن يمرروها دون أن يلاحظها أحد. ومع ذلك فقد كان هناك العديد من أوائل المزورين المسيحيين الذين كتبوا كثيراً من الوثائق الزائفة وربما لأسباب كثيرة. وكما بينت في المقدمة ما يزال لدينا العديد من الوثائق الزائفة التي صدرت عن الكنيسة القديمة والعديد من الأناجيل والأعمال والرسائل وما يشبه سفر الرؤيا (وهذه هي الأشكال الأدبية الأربعة للعهد الجديد) وكلها قد زعم بأنها مكتوبة من قبل الرسل.

وإن كثيراً من هذه الكتب غير المعترف بها هي في الواقع مدهشة وجديرة بالقراءة. ومن بين الأناجيل على سبيل المثال هناك رواية يقال إن كاتبها بطرس وهي تعطي وصفاً مفصلاً للقيامة وهذا مدهش لكن معظم القراء لم يلحظوا هذا فأناجيل العهد الجديد لا تروي شيئاً عن القيامة. ويقولون إن يسوع دفن ويشيرون إلى أن قبره كان خالياً في اليوم الثالث لكنهم لا يروون شيئاً عن خروجه فعلياً من القبر. ولكن هناك مثل هذا الوصف في إنجيل بطرس وفيه أن يسوع يمشي خارجاً من القبر مستنداً إلى اثنين من الملائكة الذين كانا بطول جبلين ومع ذلك فيسوع أطول منهما وخلفهما يخرج الصليب من القبر وهو يتحدث إلى الله في السماء. وأناجيل «رسولية» أخرى تحكي أيضاً قصصاً مدهشة أخرى حول يسوع أو تسجل تعاليم غريبة يدعي بأنه قالها، وهناك أناجيل كتبها أخو يسوع المسمى توماس، وتلميذه فيليب وصاحبته مريم المجدلية، وكل هذه الكتب قيل بأنها معتمدة لكنها جميعاً تم تصنيفها بأنها «مزورة» من قبل مسيحيين قدماء آخرين لم يصدقوا أن الرسل قد كتبوها فعلاً.

هنالك أيضاً أعمال غير معترف بها وهي كتب تروي خبرات مثيرة لرسل يسوع بعد صعوده (إلى السماء) كأعمال بولس والتي يقول فيها بأن المرء لكي يحصل

على الحياة الأبدية عليه أن يمتنع من ممارسة الجنس حتى لو كان متزوجاً وأن يتجنب الزواج نهائياً إن كان عازباً. إن الذي اختلق هذا الكتاب هو أحد قادة الكنيسة في آسيا الصغرى (تركيا الحديثة) في القرن الثاني. ولقد علمنا به لأن أباً مشهوراً من آباء الكنيسة واسمه ترتوليان يشير إلى أن ذلك الشخص قبض عليه وقدم للمحاكمة لكتابته ذلك الموضوع وبعد ذلك عزل من منصبه القيادي مهاناً.

إن معظم قادة الكنيسة لم يكترثوا بالوثائق المختلقة المزورة ولكن هناك الكثير منها متداولاً بين الأيدي. وما زلنا حالياً نجد نسخاً مطولة لم تمس من أعمال يوحنا وبطرس وأندرو وتوماس إضافة إلى مقتطفات من أعمال سابقة لم تعد موجودة.

وكذلك وجدت رسائل مزورة تتضمن مجموعة من رسائل بين بولس ومعظم الفلاسفة المشهورين في عصره مثل سينيكا الذي بين أن بولس لم يكن فقط على علاقات حيمة مع أكبر عقول الإمبراطورية ولكنه كان أيضاً محترماً ومبجلاً من قبلهم. وبعض قادة الكنيسة اللاحقون ذكروا بأن هذه الرسائل كانت معتمدة لكن آخرين ظنوا أنها زورت ليحسنوا صورة بولس أمام الناس. ولقد كانت هناك مناقشات حول مصداقية الرسائل الأخرى لبولس وبطرس وحتى رسائل يسوع، وما تزال بعض من هذه الكتابات باقية حتى الآن.

وكذلك الحال بالنسبة للأسفار التي تصور مشاهد الآخرة فإننا نجدها متناثرة في المشهد الأدبي المسيحي ومن ضمنها وصف رائع اكتشف في عام 1886 في أحد القبور بمصر ويحتوي على رواية مباشرة يدعى بأن كاتبها هو بطرس والتي نجد فيها رحلة أو جولة فردية من قبل يسوع نفسه للجنة والنار وما يتبع ذلك من بركات للناجين وعذاب أليم لمن حقت عليهم اللعنة.

وهذا الكتاب كما يبدو وجد طريقه إلى العهد الجديد لأنه وجد كثير من قادة الكنيسة في القرن الرابع الذين قالوا إنه نص إنجيلي إلا أن آخرين قالوا إنه مزور.

هذه فقط بعض الوثائق التي جرى الجدل بشأنها في العالم القديم. وقد زعم بعض أوائل المسيحيين أنها كتبت فعلاً من قبل الرسل وأنها تتبع للعهد الجديد بينما أصر آخرون على القول إن الرسل لم يكتبوها لكنها مختلقة. فكم كان موجوداً من أمثال تلك الوثائق؟ لن نعرف ذلك أبداً. وفي الوقت الحاضر نعلم بما يزيد على مئة

عمل مكتوب من القرون الأربعة الأولى والتي زعم أحد المؤلفين المسيحيين أو غيره بأنها قد زورت من قبل زملائه المسيحيين.

حالات تزييف مسيحية قديمة:

إن معظم الحالات التي ذكرتها آنفاً هي تزييفات من الفترة التي تلت أيام الرسل أنفسهم أي من القرن الثاني والثالث والرابع المسيحي. ومن جهة أخرى نعلم أن معظم كتب العهد الجديد كتبت خلال القرن الأول. فهل هناك دليل على أن التزوير كان يجري في هذه الفترة المبكرة؟ الحقيقة أنه يوجد دليل قوي حقاً وقد أتى إلينا من صفحات العهد الجديد نفسه. هناك ثلاث عشرة رسالة في العهد الجديد يقال إن بولس كتبها ومن ضمنها رسالتان إلى أهل تسالونيك ونجد في الرسالة الثانية إلى أهالي تسالونيك شعراً خادعاً جداً يخبر فيه المؤلف قراءه بأنه لا ينبغي عليهم أن يضلوا ولو برسالة «من قبلنا» مشيراً إلى أن «يوم الرب» يكاد يصل (2 ـ 2) أي أن الكاتب يعلم برسالة متداولة يقال بأنها من كتابة بولس ولكنها في الحقيقة ليست كذلك. هذه الرسالة الأخرى يفترض بأنها تدعو إلى فكرة يعارضها بولس نفسه. فمن كان ليختلق مثل هذه الرسالة المزورة؟ من الواضح أنه شخص أراد أن يطرح آراءه حول وقت مجيء النهاية وقرر فعل ذلك بسلطة بولس ولو أنه لم يكن هو بولس فعلاً.

إلا أن هنالك مفارقة مثيرة جداً للاهتمام تتعلق بهذا المقطع. فرسالة أهل تسالونيك الثانية التي يظهر فيها المقطع هي بذاتها معروفة تماماً بين العلماء بأنها ليست من كتابة بولس حتى لو زعم بأنها مكتوبة من قبله (وسوف نرى أسباب هذا الاعتقاد في الفصل الثالث) فهل الرسالة التسالونيكية الثانية نفسها مزورة باسم بولس؟

إذا كان الأمر كذلك فلماذا تحذر من تزوير باسم بولس؟ يمكن أن يكون هناك بعض الشك حول الجواب: إنها إحدى «الحيل» التي استخدمت من قبل المزورين ليثبتوا لقرائهم أن كتاباتهم هم موثقة وليحذروا من كتابات أخرى ليست موثقة، وبالطبع يفترض القراء أن المؤلف لن يقوم بما يدينه من أفعال.

ولدينا أمثلة شيقة أخرى من قبل هذه الظاهرة في أوائل الأدبيات المسيحية. بعد ثلاثمائة سنة وفي نهاية القرن الرابع ظهر كتاب سماه العلماء «القوانين الرسولية»

وهذا الكتاب المطول المؤلف من ثمانية مجلدات يعطي تعليمات حول كيفية تنظيم الكنيسة وكيفية إداراتها من قبل الرؤساء. والأقوال الشائعة هي أن الكتاب ألفه شخص اسمه كليمنت الذي كان الناس يزعمون أنه الأسقف الرابع لروما (أي أنه بابا سابق) وقد تم تعيينه من قبل الرسول بطرس نفسه ليرأس الكنيسة العظمى. وفي الحقيقة كتب هذا الكتاب قبل ثلاثة قرون أو حول ذلك بعدما كان كليمنت هذا في قبره والنتيجة أن هذا تزوير. وزيادة على ذلك أن الكتاب يدعى قوانين «رسولية» لأنه يمرر نصائح وتعليمات رسل يسوع أنفسهم وغالباً بصيغة ضمير المتكلم «أنا، بطرس» أقول لكم هذا، و «أنا، يوحنا» أقول لكم هذا، و «أنا، يعقوب» أقول لكم هذا وهكذا دواليك. ومن أكثر التعليمات غرابة حول المؤلف الواقعي لهذا الكتاب (الذي لا نعرف بالضبط من هو) نجدها في النهاية حيث يحذر قراءه من قراءة كتب تدعي أنها من قبل الرسل ولكنها ليست كذلك. أي أنه يخبر قراءه ألا يقرؤوا كتباً مثل الذي بأيديهم وأنه تزييف رسولي فلماذا وضع هذا التوجيه؟ مرة أخرى وكما في رسالة التسالونيكيين الثانية فلأنه بفعل ذلك هو يبعد قراءه عن التشكيك في خداعه لهم.

بالرسالة إلى أهالي تسالونيك رقم (2) نجد أنفسنا مع حالة ممتعة بشكل خاص. وكيفما كانت الطريقة التي نفهم بها الموضوع فإن الكتاب يظهر أنه كان هناك بشكل شبه مؤكد تزوير متداول باسم بولس طوال الفترة السابقة في عهد كتابات العهد الجديد. وإذا كان العلماء الذين يظنون أن الرسالة التسالونيكية رقم (2) لم يكتبها بولس، إذ كانوا خاطئين ـ أي أن بولس قد كتبها ـ فإن ذلك يعني أن بولس نفسه عرف بوجود تزوير باسمه وأن ذلك وصل إلى الكنيسة التسالونيكية. ولكن إن كان العلماء الآخرين على صواب وأن بولس لم يؤلف رسالتين سالونيكيتين فإن هذا الكتاب بالذات هو تزوير باسم بولس وقد ظل يتنقل من مكان إلى آخر داخل الكنيسة.

وعلى كلا الحالتين لابد أنه قد وجدت تزويرات تتعلق ببولس في القرن المسيحي الأول.

فهل هناك تزويرات أخرى من أقدم الفترات المسيحية؟

إنني أعالج هذا السؤال مطولاً في وقت لاحق في الكتاب ممعناً النظر في الدليل بأن عدداً من كتب العهد الجديد لم تكتب من قبل الناس الذين قيل إنهم مؤلفوها. فأنا الآن مهتم بملاحظة أن هذا الاكتشاف ليس ببساطة اكتشافاً في البحوث الحديثة فإن عدداً من كتب العهد الجديد تم الجدال حولها مسبقاً في أوائل المسيحية بين العلماء المسيحيين من القرن الثاني إلى القرن الرابع وكانوا يتجادلون حول أي من الكتب يجب أن يوضع ضمن الكتاب المقدس.

وأشهر مثال على ذلك هو سفر الرؤيا. إن أحد العلماء المسيحيين من القرن الثالث المسيحي وهو من مدينة الإسكندرية في مصر ويدعى ديونيسيوس قال إن الكتاب المذكور لم يكتب فعلياً من قبل تلميذ يسوع وهو يوحنا ابن زبيدي. لقد كانت مناقشة ديونيسيوس حتمية وحاسمة وما تزال كذلك بالنسبة لعلماء الوقت الحاضر وقد ذكر بأن أسلوب الكتابة في الكتاب مختلف جداً عن أسلوب إنجيل يوحنا بحيث لا يمكن أن يكون الكتابان من تأليف الشخص نفسه (والعلماء الحديثون يختلفون عن ديونيسيوس فقط في الاعتقاد بأن إنجيل يوحنا أيضاً لم يكتبه يوحنا). ظن ديونيسيوس أنه لابد أن مؤلفين اثنين بنفس الاسم كانا موجودين وفيما بعد ظن الناس أنهما شخص واحد. لكن من الممتع أن ديونيسيوس وفقاً للأب أوسيبيوس وهو من آباء الكنيسة كان لديه عدد من أسلافه الذين كانا يجادلون ويقولون إن سفر الرؤيا لم يكتبه شخص آخر اسمه يوحنا ولكن كتبه شخص مهرطق يدعى سيرنثوس الذي زور الرواية لكي يروج لدعوته الباطلة بأنه سيكون هناك نعيم أو فردوس مستقبلي لمدة ألف سنة هنا على الأرض.

وتم الجدل أيضاً حول رسالة جود القصيرة والتي قيل إن كاتبها هو أخو يسوع نفسه، لقد نشأ حولها جدال في الكنيسة القديمة.

قال بعض المسيحيين إنها لم تكن موثقة جزئياً بحسب جيروم العالم المسيحي الشهير من القرن الرابع لأن الرسالة تورد متقطتفات من أحد الأسفار المسمى اينوخ (Enoch) كما لو كان من النص المقدس المعتمد (9). ورسالة بطرس (2) تم رفضها من قبل عدد من قدماء آباء الكنيسة كما جاء في مناقشة كل من جيروم وأوسيبيوس لكن ليس بصراحة المعلم المسيحي المشهور من الإسكندرية وهو

«ديديموس الأعمى» الذي قال: «إن الرسالة باطلة ولذلك لا يجب أن توضع في الشريعة (10)» أي أن بطرس لم يكتبها حقاً بحسب ما قال ديديموس رغم أن المؤلف ادعى أنه بطرس.

اختلف معلمون مسيحيون آخرون حول كون الرسالة (1) والرسالة (2) من طيماوس (Timothy) حقاً من كتابة بولس وبعضهم يدعي أن محتوياتها تبين أنه لم يكتبها (11). وتم الجدل بشكل خاص حول كتاب رسالة بولس إلى العبرانيين (Hebrews) فليس واضحاً تماماً أن الكتاب من تأليف بولس لكن هناك تلميحات في آخر الرسالة بأن المؤلف يريد من قرائه أن يعتقدوا أنه بولس (انظر الإصحاح 13: 22 ـ 25) وقد كانت مصداقية نسبتها إلى بولس مثار جدال طوال قرون عدة. وفي النهاية قبل وضع الكتاب في الإنجيل فقط عندما اعتقد الجميع تقريباً بأن بولس لابد أن يكون هو مؤلفه.

باختصار، كان هناك مناقشات مستديمة وغالباً حامية في الكنيسة القديمة حول الوثائق المزورة. وأدرك المسيحيون الأوائل أن هناك العديد من حالات التزوير المتداولة وكانوا يريدون معرفة الكتب التي كتبها مؤلفوها المزعومين من الكتب التي هي ليست كذلك. وكما سنرى بشكل أكثر تفصيلاً لاحقاً نجد أنه عملياً لم يوافق أحد على ممارسة التزوير بل على العكس كان ذلك موضع إدانة حتى في كتب هي بحد ذاتها مزورة (كما في الرسالة التسالونيكية 2 وكتاب القوانين الرسولية).

سيركز معظم هذا الكتاب على نماذج من التزوير في أوائل المسيحية. ولكن إذا أردنا أن نفهم التزييف في بدايات المسيحية نحتاج أن نعود قليلاً إلى الوراء ونتمعن في ظاهرة التزوير في العالم القديم بشكل أكثر توسعاً. وهذا ما سيكون محط تركيزنا حتى نهاية هذا الفصل ونبدأ بمناقشة مهمة جداً للمصطلحات والتعابير التي سأستخدمها.

اصطلاحات البحث:

إن أول اصطلاحين هما فنيان بشكل خاص رغم أنني لن استخدمهما كثيراً ومن الضروري أن نعلم معناهما. الأول هو «صحيح التسمية» فالكتاب صحيح التسمية هو ما كان حقاً قد كتب من قبل الشخص الذي ادعى كتابته. وهناك صبغة

رسائل لبولس من بين الثلاث عشرة رسالة في العهد الجديد، وهي تحمل اسمه والتي يتفق الجميع تقريباً على أنها صحيحة التسمية وقد كتبها بولس فعلاً.

واصطلاح (بنفس التسمية) يدل على كتابة ألفها شخص ما وصادف أن هناك كتابة أخرى اسم مؤلفها كاسم الأول في العالم القديم الأكثرية الغالبة من الناس لم يكن لديهم اسم أخير (اسم عائلة) وكثير من الناس كانوا يحملون نفس الاسم الأول وكان هذا صحيحاً بين المسيحيين كما هو لدى الجميع. كثير من الأشخاص كان اسمه يوحنا أو يعقوب أو جود مثلاً. فلو أن شخصاً اسمه يوحنا كتب كتاب (سفر الرؤيا) وكان يدعو نفسه يوحنا فهو لم يكن بالضرورة يدعي أنه أي شخص آخر. وعندما افترض مسيحيون متأخرون أن يوحنا هذا لابد أنه أحد تلاميذ المسيح (يوحنا) ابن زبيدي فهذه لم تكن في الحقيقة غلطة المؤلف. لقد صادف فقط أن ذلك كان نفس الاسم لشخص أكثر شهرة. فإذن الكتاب ليس مزوراً ولكنه ببساطة يحمل نفس الاسم على افتراض أن يوحنا ابن زبيدي لم يكتبه، وهذا افتراض آمن لدى معظم النقاد من العلماء. وقد أدرج في الكتاب المقدس بسبب هذه الهوية الخاطئة.

وهناك كتابات أخرى ندعوها «مجهولة المؤلف» أي لا تحمل اسم مؤلفها وهي كتب لم يعرف كاتبوها بأنفسهم وهذا من الناحية الفنية صحيح بالنسبة لثلث كتب العهد الجديد. لا أحد من الأناجيل يخبرنا عن اسم مؤلفه وفقط في وقت متأخر سماها المسيحيون باسم متى ومرقس ولوقا ويوحنا وعلماء متأخرون أضافوا هذه الأسماء إلى عناوين الأناجيل. وكذلك الحال بالنسبة لكتاب أعمال الرسل والرسائل المعروفة برسائل يوحنا رقم (1) و (2) و (3). من الناحية الفنية هذا الشيء صحيح بالنسبة لكتاب العبرانيين فالمؤلف لم يذكر اسمه أبداً حتى لو كان يريد أن ينتحل اسم بولس.

أما اصطلاح (المسمى خطأ) فهو اصطلاح مراوغ صعب التحديد وأحتاج إلى شرح كيفية استخدامي له لاحقاً. إنه من الناحية الفنية يشير إلى أي كتاب يظهر باسم شخص ما غير المؤلف ولكن هناك نوعان من هذه الكتابات المسماة خطأ فأحياناً يتخذ المؤلف اسماً أدبياً كما فعل ساموئيل كليمنز عندما كتب قصة (هكلبري

فن) ووقعها باسم مارك توين فهو لم يكن يحاول خداع قرائه بأن يعتقدوا أنه شخص مشهور، لقد كان ذلك فقط اسماً أدبياً ليخفي به هويته الحقيقية. كذلك أيضاً عندما كتبت ماري آن إيفانز رواية (سايلاس مارنر) ووقعتها باسم «جورج إليوت». هذا الاستخدام لاسم أدبي لم يحصل كثيراً في العالم القديم ولكنه كان يحصل في بعض الحالات فالمؤرخ الإغريقي زينوفون مثلاً كتب مؤلفه الشهير (أناباسيس) مستخدماً اسماً أدبياً هو ثميستوجينز والفيلسوف الإغريقي إيامبليكوس كتب رسالته المسماة «عن الأسرار On the Mysteries» باسم أدبي مستعار هو أبامون (Abammon). وفي هذين المثالين لا يبدو أن هناك محاولة لخداع القراء وجعلهم يظنون أن المؤلف شخص مشهور (13).

النوع الآخر من الكتابة باسم مستعار يتعلق بكتاب يتم تداوله باسم شخص آخر وعادة ما يكون شخصاً يعتبر ثقة ويفترض به أن يكون معروفاً جداً لدى جمهور القراء. ولهذا النوع الخاص من الكتابة باسم مستعار (زائف) سأستخدم المصطلح الفني Pseudepigrapby التي تعني حرفياً: كتب باسم زائف. فهذا النوع من الكتابة إذن هو ما ادعي أنه كتب من قبل شخص مشهور ومعروف تماماً أو شخص معتمد موثوق ولكنه في الحقيقة لم يكتبه.

ولكن كما يتبين لنا هنالك أيضاً نوعان آخران من الكتابات المزورة، فأحياناً كان هنالك كتابة نشرت مجهولة وبدون اسم مؤلف مرتبط بها كما في إنجيل متى لكن في وقت لاحق أكد قراء وناسخون له بأنهم عرفوا الكاتب وزعموا أنه كتب من قبل شخص موثق وهو في هذه الحالة تلميذ يسوع المدعو متى (Matthew). في كتابات من هذا النوع معزوة خطأ إلى شخص مشهور نجد أن المؤلف لا يسعى إلى خداع أحد (14). بل هو أو هي بقيت مغمورة وحدث فقط أنه بعد مدة ادعى قراء أن المؤلف شخص آخر. هذا النوع من الكتابة يتعلق بنسبة زائفة أي عمل عزي إلى شخص لم يكتبه.

والنوع الآخر من الكتابة باسم مزيف لا يتعلق بنوع من الخداع المقصود من قبل الكاتب وهذا يكون عندما يكتب المؤلف عملاً وهو يوهم أنه شخص آخر وهذا ما أسميه التزوير. فإذن تعريفي للتزوير هو كتابة يدعى بأنها كتبت

من قبل شخص ما (وهو عادة شخصية بارزة معروفة) وليس هو في الحقيقة من كتب ذلك.

وجدت على مر السنين أن بعض الناس يعترضون على استخدامي لكلمة «تزوير» وإنني أتفهم جيداً تردد علماء آخرين في استخدام هذا التعبير. في العصور الحديثة عندما نفكر بالتزوير فإننا في الواقع نتكلم عن أفعال مخالفة جداً للقانون (نتكلم مثلاً عن تزوير أحجار كريمة، نقود، أو كتب من أجل الربح) وهذا يمكن أن يرسل فاعله للسجن. المزورون القدماء لم يكونوا عادة يرسلون إلى السجن لأنه ببساطة لم تكن توجد قوانين تحكم إنتاج وتوزيع المؤلفات الأدبية. لم يكن هناك قوانين لحماية حقوق الطبع والنشر مثلاً. لكن المؤلفين القدماء كانوا حقاً ينظرون إلى هذا العمل على أنه غش وخداع وكانوا يسمونه كذباً (وكان آخرون يسمونه أسماء أسوأ من ذلك) وكانوا يعاقبون الذين يضبطون متلبسين بذلك في أكثر الأحيان. لذا عندما أستخدم تعبير «تزوير» فأنا أقصد أن يكون له دلالات سلبية ولحد ما كما سنرى كانت المصطلحات المستخدمة من قبل المؤلفين القدماء كانت بمثل هذه السلبية إن لم تكن أكثر.

إلا أن استخدامي لكلمة «تزوير» لا يذكر شيئاً حول الوضع القانوني للوثيقة موضوع البحث أو الفعل الجنائي للمؤلف. إنه مصطلح فني يشير إلى نوع من الكتابة الزائفة والتي يدعي كاتبها عن علم أنه شخص آخر. إنه واحدة من آرائي التي أريد إيصالها من هذا الكتاب أن أولئك الذين تورطوا في هذا الفعل في العالم القديم كانوا مدانين بقوة بالكذب وبمحاولة خداع قرائهم.

البواعث على التزوير:

إذا كان التزوير كما سأبين لاحقاً مداناً على نطاق واسع فلماذا فعله الناس؟ وكيف برروا ما فعلوه لأنفسهم؟ هذان السؤالان سيكونان موضع بحثي إلى آخر هذا الفصل. أما قضية «لماذا» فعلوه فهي معقدة نوعاً ما وأحتاج هنا إلى أن أفرق بين فكرتين تختلطان في ذهن الناس وهما فكرة «النية» من جهة و «الباعث» من جهة أخرى. وأظن أن الفرق بين الفكرتين يمكن توضيحه بسهولة. فلو أن زوجتي سألتني: «لماذا أنت ذاهب إلى المخزن؟» فبإمكاني أن أعطي عدة إجابات. إحدى

الإجابات قد تكون «لأشتري شيئاً من أجل العشاء» وجواب آخر قد يكون «لأنه ليس هناك شيء في الثلاجة» وهذان في الواقع نوعان مختلفان من الإجابة. تشير الأولى إلى ما أنوي فعله حالما أصل إلى المخزن: أنني أنوي شراء بعض الطعام لهذه الليلة. وتشير الثانية إلى ما يدفعني لأذهب إلى المخزن في الدرجة الأولى. فإن ما يحركني هو حقيقة أنه لا يوجد طعام في البيت. فالنوايا ليست كالدوافع أو البواعث: «النوايا» هي ما تريد تحقيقه وأما «البواعث» فهي السبب الذي من أجله تريد القيام بالشيء.

كذلك الأمر عندما نتكلم عن المزورين والتزوير. فهناك فرق بين نية المزور وباعثه على ذلك. إن نية المزور في كل الحالات تقريباً هي خداع قارئيه حول شخصيته أي ليجعل القراء يظنون أنه شخص آخر. ولكن قد يكون لديه بواعث مختلفة لإرادته القيام بذلك.

لقد كان هناك دائماً أسباب عديدة لإرادتهم كتابة شيء مزور.

في العصر الحديث كما رأينا سابقاً الباعث الرئيسي هو كسب المال كما في حالة كونراد كوياو ومذكرات هتلر. ولا يبدو أن هذا هو السبب في حالات التزوير في العصور القديمة. ففي ذلك الحين كان السوق لمثل هذه «الكتب الأصلية» محدوداً لأن صناعة بيع الكتب كانت متواضعة جداً ـ فالكتب لم يكن ممكناً إنتاجها بكميات كبيرة ونشرها على نطاق واسع. مع ذلك كانت هناك حالات كان تزوير الكتب فيها يعود على صاحبه بالربح كما نعلم من مؤلف مشهور اسمه غالين (Galen) وهو عالم فيزيائي من القرن الثاني كان يعيش في روما.

كان غالين غزير العلم وكان واحداً من أكثر العلماء إنتاجاً في العالم القديم، الذي لم يكن في أكثر الحالات يمتلك مكتبات عامة كي يستخدمها الناس، ولكن قد يحدث أن ملكاً محلياً ينشئ مكتبة من أجل العلماء أساساً وكان هناك تنافس بين المكتبات أيها يمتلك أكثر من منافسيه كنوع من الإشارة للتميز. أهم مكتبتين في العصور القديمة كانتا مكتبة الإسكندرية في مصر ومكتبة برغامم في آسيا الصغرى (تركيا). ووفقاً لما قاله غالين فإن الملوك الذين بنوا هذه المكتبات كانوا حريصين على زيادة محتوياتها وكانوا مصممين على الحصول على كثير من النسخ الأصلية قدر

استطاعتهم لمؤلفين من أمثال أفلاطون وأرسطو وأبقراط واسكيلوس وسوفوكليس ويوريبيديس.

إن امتلاك نسخ أصلية من هذه الكتابات كان مهماً في عصر كان من الممكن للكتاب (النسّاخ) أن يرتكبوا أخطاء عند إعادة كتابة النص. فإذا كانت لديك النسخة الأصلية كنت تعرف كلام المؤلف نفسه وليس نوعاً من النسخ المليئة بالأغلاط التي قام الناسخ المحلي بعملها. ولذلك فإن هاتين المكتبتين كانتا راغبتين بدفع المال نقداً وفوراً للنسخ الأصلية من أعمال مؤلفيهم المرغوبين بشدة.

وستذهلون للعدد الكبير من النسخ «الأصلية» التي سيبدأ كل من أفلاطون وأرسطو ويوريبيدس بإظهارها عندما تكون راغباً بدفع الذهب من أجلها. وحسب ما قاله غالين فإن الأعمال المزورة بدأت بالظهور على يد مؤلفين غير مدققين ممن أرادوا المال فحسب (15).

لقد رأينا باعثاً آخر أو مجموعة بواعث في حالة ديونيسيوس المرتد وبإمكان المرء أن يقول أن ديونيسيوس كتب مسرحيته المزورة (البارتينوبيوس) أساساً ليعرف إن كان يستطيع أن يجعلها تمر دون أن يكتشف زيفها. أو أنه ربما فعل ذلك ليجعل عدوه اللدود هيراقليدس يبدو غبياً. ولدينا أمثلة أخرى في العالم القديم لبواعث مشابهة أي لخداع شخص ما أو لخداع الجميع. وكما تبين فإن مثل هذا الباعث ربما لا يزال جارياً في عالمنا اليوم وكما ظن بعض العلماء أن أحد أشهر «الاكتشافات» لإنجيل قديم في القرن العشرين كان في الحقيقة عملاً مزوراً عمله العالم الذي ادعى اكتشافه. وهذا هو (إنجيل مرقس السري) الشهير الذي تم الإدعاء بأنه وجد على يد مورتون سميث في عام 1958 (16).

وقد زور مؤلفون آخرون وثائق لأغراض سياسية أو عسكرية. وعلى سبيل المثال يروي المؤرخ اليهودي يوسيفيوس أن عدواً للاسكندر وهو ابن الملك هيرودس زور رسالة باسم الاسكندر أعلن فيها خططه لقتل والده. وحسب يوسيفيوس فقد كان المزور صاحب سر الملك الذي كان «رجلاً شجاعاً وماهراً جداً في تزوير أو تقليد خط أي إنسان» لكن انقلب السحر على الساحر فبعدما عمل عدداً من حالات التزوير كشف أمره وقبض عليه «وفي النهاية قتل من أجل ذلك». (17).

أما حالات التزوير السياسي فلم تكن عادة تعامل بلطف مع أنها كانت تنجح أحياناً. ففي القرن الثالث كان لدى الإمبراطور الروماني أورليان أمين سر خاص اسمه ايروس (Eros) والذي استوجب غضب سيده مرة وكان على وشك أن يعاقب. ولكي يستبق النتيجة زور قائمة بأسماء القادة السياسيين الذين كان من المفترض أن الملك قد قرر إعدامهم بسبب الخيانة ووضع القائمة المزورة قيد التداول، فهب الرجال الموضوعين على القائمة واغتالوا الإمبراطور. (18).

وفي بعض الحالات كان الباعث على التزوير دينياً أكثر منه سياسياً وذلك ليحمي مؤسسات أو ممارسات دينية أو ليدافع عن الإدعاءات الدينية لشخص معين ضد إدعاءات خصومه، ونجد واحدة من الروايات الأكثر ظرافة في كتابات لكاتب وثني من القرن الثاني وهو لوسيان ساموستا وهو ناقد ذكي لامع لكل الأشياء المزيفة. وإحدى الرسائل المرحة للوسيان باسم «الاسكندر النبي المزيف» وهي موجهة ضد شخص اسمه الاسكندر أراد أن ينشئ معبداً يتواصل فيه الإله مع البشر في بلدة أبونوتيخوس وقد كان الاسكندر هذا شخصاً عرف بأن عليه أن يقنع الناس أن الإله أبولو قد قرر حقاً أن يتواصل بواسطته (الاسكندر) في هذا المكان الذي أوجد حديثاً للنبوة بما أنه قد خطط لتلقي الأموال بسبب قدرته على إيصال أقوال أبولو إلى الذين يأتون ليسألوه. ولذلك وحسب أقوال لوسيان زور الاسكندر مجموعة من الألواح البرونزية ودفنها في واحد من أقدم وأشهر معابد أبولو في مدينة خلقيدونية (في آسيا الصغرى: تركيا حالياً) وعندما كشف تلك الألواح فيما بعد انتشرت الأقوال حول ما كتب في هذا الاكتشاف «المعجز». في هذه الألواح أعلن أبولو أنه قريباً سيتنقل ليقيم في مقر جديد في أبونوتيخوس.

وبعد ذلك أسس الاسكندر المعبد هناك وجذب أتباعاً كثيرين جداً بفضل الكتابات المزورة باسم الإله الذي ادعى أنه يمثله. وأحد الأمثلة عن تزوير يهودي عمل من أجل تأييد الدين اليهودي يمكن أن نجده في الرسالة الشهيرة باسم «رسالة أرستياس» (19). ويقال أن أرستياس كان عضواً في بلاط الملك المصري بطليموس الثاني فيلادلفيوس (عاش 285 ـ 246) قبل الميلاد. في هذه الرسالة يصف «أرستياس» كيف أن الملك قرر أن يضم نسخة من الكتاب المقدس اليهودي إلى مكتبته

الضخمة ولذلك قام بعمل ترتيبات مع الكاهن اليهودي الأكبر في إسرائيل ليرسل علماء إلى مصر ليتمكنوا من ترجمة النصوص المقدسة من لغتها العبرانية الأصلية إلى الإغريقية. وتم إرسال اثنين وسبعين عالماً وبتدخل سماوي معجز استطاعوا أن ينتجوا وبشكل فردي وبكل دقة نفس التعبير لترجماتهم للنصوص المقدسة.

وبما أن «رسالة أرستياس» كما يزعم قد كتبت من قبل شخص غير يهودي وأنها تعطي نوعاً ما رواية غير منحازة عن كيفية ترجمة الكتاب المقدس اليهودي إلى اللغة اليونانية فإنها تملك كل المظهر لوضع الحقائق «على ما كانت عليه». ولكن الحقيقة أن تلك الرسالة مزورة وقد كتبها شخص يهودي في مدينة الإسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد. وقد كتبت لحد ما لكي تبين الوحي السماوي للنصوص المقدسة اليهودية حتى في ترجمتها اليونانية.

وكما بينت في أمثلة سابقة فقد كانت حالات التزوير أحياناً تتم بالغاية المعلنة لجعل عدو شخصي يبدو سيئاً (كما في حالة ديونيسيوس المرتد) أو لإيقاع الخصم في ورطة عويصة (كما في حالة الشخص الذي زور رسالة للملك هيرودس) وكما تبين فهذا هو أحد البواعث الأكيدة لاختلاق الأكاذيب (حالات التزوير) في العالم القديم. ويشكو الشاعر الروماني مارشال (Martial)؛ وهو مؤلف عدد كبير من القصائد الشعرية المتسمة بالذكاء والفكاهة الشديدة. وفي كثير من قصائده أن أناساً آخرين زوروا قصائد باسمه وأنها كانت رديئة جداً أو بذوق سيء جداً وكان المقصود منها تماماً تشويه صورة مارشال بالذات (20). حتى أننا نجد حادثة أكثر طعناً في سمعة شخص ما في القصة التي رواها مؤرخ الفلسفة ديوجينيس ليرتيوس الذي يشير إلى أن عدواً للفيلسوف المشهور ابيقور وهو شخص حاسد له واسمه ديوتيموس زور خمسين رسالة فاحشة باسم ابيقور ووضعها في متناول الناس.

وقد كان ابيقور مسبقاً يعاني من مشكلة السمعة السيئة (التي لا يستحقها إطلاقاً) على أنه مدمن على الشهوات. هذه الحالات من التزوير قد أدت ببساطة على زيادة الطين بلة (21).

أو تأملوا قضية أناكساميتيس كما نقلها لنا الجغرافي اليوناني بوزانياس من القرن الثاني الميلادي. وكان أناكسامينس شخصاً ذكياً ولكنه سيء الطبع تشاجر مع

خطيب شعبي مشهور اسمه ثيوبومبوس، ولكي ينال من عدوه ـ يدعي بوزانياس ـ كتب أناكسامينيس رسالة بنفس أسلوب ثيوبومبوس وسمى نفسه باسمه. تحدث في هذه الرسالة بشكل عدائي ضد أهالي ثلاث مدن إغريقية وهي أثينا واسبارطة وطيبة (ثيبس). وحالما انتشرت الرسالة في تلك المدن أصبح ثيوبومبوس شخصاً غير مرغوب فيه رغم أنه ليس له أي علاقة بتلك الكتابة (22).

وقد أصدر مزورون آخرون أعمالهم من أجل أهداف أكثر نبلاً كإعطاء الأمل لقرائهم. وأحد أكثر الأشكال شيوعاً للتزوير في الكتابات اليهودية قريباً من زمن المسيحية الأول هو النوع الأدبي المعروف باسم أبوكاليبس (Apocalypse) (هي كلمة يونانية تعني «الموحي» أو «الكاشف») فهي نص يكشف عن حقيقة العالم السماوي للبشر ليساعدهم على فهم ما يجري هنا على الأرض. وأحياناً يتم كشف هذه الحقيقة من خلال رؤى غريبة ورمزية جداً يدعي الكاتب أنه يراها ويتم تفسيرها من قبل نوع من المفسرين الملائكيين. مثال على هذا هو سفر دانيال في الكتاب المقدس اليهودي (التوراة). وفي أوقات أخرى يقال إن الكاتب أخذ إلى السماء ليرى الحقائق المطلقة للعالم السماوي والتي تفسر أو تبين الأحداث الرهيبة التي تظهر للبشر هنا على الأرض والمثال المسيحي هو سفر الرؤيا في العهد الجديد.

المقصود من هذه الكتب أن تبعث الأمل في نفوس قارئيها. ورغم أن الأمور تبدو خارج نطاق السيطرة هنا على الأرض ورغم أنه يوجد ألم شديد ويؤس ومعاناة ورغم أن هناك حروباً ومجاعات وجوائح وكوارث طبيعية مهلكة للبشر ورغم أن الأمور تبدو وكأنها تسير بعيدة عن إرادة الله ـ فرغم كل هذا فإن كل شيء يجري وفق تدبير الله. وإن الله قريباً سيصحح كل ما هو خاطئ. ولو أن الناس فقط ينتظرون مدة أطول بقليل فإن ثقتهم بالله ستتحقق وسوف يتدخل في مجريات الأحداث هنا على الأرض ليعيد السلام والعدل والسرور إلى الأبد.

إن أمثال هذه الأسفار تكتب دائماً بأسماء مستعارة تعود إلى شخصيات دينية مشهورة من الماضي (23) ولدينا في الأوساط المسيحية أسفار رؤيا بأسماء بطرس وبولس والنبي أشعياء. وفي الأوساط اليهودية لدينا أسفار مماثلة بأسماء دانيال وإينوخ وإبراهيم وآدم أيضاً! ويدعي العلماء عادة أن هذه الأسفار لا يمكن

اعتبارها كتابات مزورة لأن كتابتها بأسماء مستعارة كان جزءاً من المهمة وأن ذلك الصنف الأدبي يتطلب أن تكون نوعاً ما مكتوبة من قبل شخص يعرف مثل هذه الأمور أي أنه شخص مقرب من الله. لكنني أعتقد أن هذه النظرة فيها نوع من التبسيط غير المقبول، والحقيقة هي أن القدماء فعلاً كانوا يصدقون أنها كتبت من قبل الناس المنسوبة إليهم كما نرى ذلك كثيراً في الشهادات القديمة (24).

وكذلك كان مؤلفو هذه الكتب يعرفون ذلك الأمر. وقد انتحلوا أسماء وهمية بالتأكيد لأن كتاباتهم ستثبت فعاليتها وتأثيرها بتلك الطريقة.

يتعلق هذا بأهم باعث بالنسبة للمؤلفين كي يدعوا أنهم أشخاص آخرون من العصر القديم. فببساطة شديدة كان الأمر من أجل الحصول على سماع لآرائهم. فإذا كنت شخصاً غير معروف ولكن لديك شيء مهم حقاً تريد قوله وأردت أن يسمعه الناس - وليس لكي يمدحوك ولكن لكي يعرفوا الحقيقة - فإن إحدى السبل لفعل ذلك هو أن تتظاهر بأنك شخص آخر، شخص معروف ومشهور وهو ثقة ومعتمد.

وهكذا مثلاً إذا أردت أن تكتب رسالة فلسفية تعالج فيها بعض أهم المشكلات الأخلاقية الأساسية التي يواجهها العالم ولم تكن أنت فيلسوفاً مشهوراً فإنك قد تلجأ لكتابة رسالة وتوقعها زاعماً أنك أفلاطون أو أرسطو. وإذا أردت أن تنتج رسالة كسفر الرؤيا تشرح فيها أن المعاناة هنا على الأرض هي شيء مؤقت فقط وأن الله سيتدخل قريباً ليطرد قوى الشر من هذا العالم وأردت أن يدرك الناس أن هذه رسالة ينبغي سماعها وإعلانها، فإنك لن توقعها باسمك الشخصي (جو مثلاً) ولكن باسم شخصية دينية مشهورة مثل (النبي دانيال). ولو أردت أن تروي أهم تعاليم إنجيل يسوع ولكنك في الواقع كنت تعيش بعد يسوع بمئة سنة ولم يكن لديك أي فرصة لسماع ما قاله يسوع بنفسك فإنك ستسجل الأقوال التي تجدها ضرورية للغاية وتدعي أن إنساناً سمع ما قاله يسوع فعلاً، وتسمي كتابك «إنجيل توما (توماس)» أو «إنجيل فيليب».

كان هذا الباعث معمولاً به في كل الأوساط المسيحية وغير المسيحية على حد سواء، ونحن نعلم هذا لأن مؤلفين قدماء أخبرونا بذلك. ومثالاً على ذلك أشار عالم وثني اسمه دافيد (David)، وهو معلق على كتابات أرسطو، إلى أنه «إذا أراد

شخص غير ذي نفوذ وغير معروف ولكنه يريد أن تقرأ كتاباته فإنه يكتب باسم شخص آخر جاء قبله وكان له نفوذ وسلطة وبذلك يحصل عمله على القبول بسبب نفوذ ذلك الشخص الآخر» (25).

وهذه قضية مثال موجود حول مزور مسيحي قبض عليه وشرح فيما بعد ما فعله كتابة. في القرن الخامس الميلادي كان رئيس كنيسة يدعى سالفيان يعيش في مرسيليا. وكما فعل كثيرون في زمنه قرر سالفيان هو وزوجته أن يعبروا عن إخلاصهم لله بنبذ الدنيا واتخاذ طريق الزهد بالحياة. كان سالفيان منزعجاً من التعلق الدنيوي في الكنيسة ومن أعضاء الكنيسة الذين كانوا مهتمين براحتهم الشخصية وأموالهم بدلاً من دعوات ومطالبات الإنجيل. لذلك كتب رسالة اسمها «من تيموثي إلى الكنيسة» ولأنها مكتوبة بأسلوب رسمي فقد بدت الرسالة لقرائها أنها فعلاً مكتوبة بواسطة تيموثي (Timothy) صاحب الرسول بولس الشهير قبل أربعمائة سنة. ولكن بطريقة ما شك الأسقف المسؤول عن سالفيان في الأمر وواجه سالفيان بالقصة واعترف بفعلته.

لكن سالفيان كان شخصاً لا يستسلم بسهولة ولذلك كتب تفسيراً لسبب كتابته لتلك الرسالة باسم مزور. وكما يفعل الأفراد والمجادلون في الغالب فقد قدم سالفيان الكثير من الأعذار. ومثالاً على ذلك فإن اسم تيموثي يعني حرفياً «المكرم من الله» ولذلك قال تيموثي إنه استخدم ذلك الاسم ليبين أنه كتب من أجل كرامة وسمعة الله. لكن دفاعه الرئيسي كان أنه شخص مغمور ولو أنه كتب رسالة إلى الكنائس فلن يهتم بها أحد. أو كما جاء في دفاعه المكتوب فإن المؤلف «اختار بحكمة اسماً مستعاراً لكتابه للسبب الواضح وهو أنه لم يرد أن يكون الجهل باسمه سبباً لضعف تأثير كتابه القيم» (26).

من ناحية أخرى وبكتابته باسم تيموثي، رجا بأن يحصل على قراء لكتابه. وقد كانت آراؤه مهمة لدرجة جعلته يستخدم اسماً مستعاراً، وليس في القصة ما يوحي إلى أن أسقف سالفيان قبل عذره باتزان (فالقصة رواها لنا سالفيان وليس رئيسه الأسقف). وبالعكس لو كان الأسقف ككل قارئ آخر من العالم القديم يعلق على مثل هذه الأمور، فهو لم يكن راضياً أبداً عن كذب سالفيان حول حقيقة شخصيته.

تقنيات المزورين:

لم يخبرنا أحد كيف تحقق أسقف سالفيان أن الرسالة التي يقال أن تيموثي كتبها كانت في الحقيقة من كتابة سالفيان التابع له ويرأس أحد كنائسه. ولكن ربما لم يكن من الصعب جداً اكتشاف ذلك. فالرسالة كانت تناقش قضايا كبرى كان سالفيان يعيشها وبدون شك بحثها مراراً بين مرتادي الكنيسة وقادتها. وبما أنه كان رجلاً متعلماً فلربما كتب رسائل وبحوثاً أخرى عن هذا الموضوع ومواضيع مشابهة. فإذا عرف الأسقف اهتمامات سالفيان النهائية وكان قد قرأ كتاباته السابقة حتى أصبح أسلوب كتاباته مألوفاً عنده فلربما استنتج وأدرك أن هذه الرسالة التي ظهرت بشكل غامض كانت إنتاجاً حديثاً قد كتب باسم مستعار.

في الواقع نجد أن هناك عدد قليلاً جداً من المزورين في العالم القديم تم ضبطهم متلبسين بجريمتهم. ويجب أن تكون الأسباب واضحة تماماً فأحد الأسباب هو أن العلماء القدماء الذين وظفوا الضبط حالات التزوير لم يكن لديهم الوسائل المتقدمة لتحليل الكتابات كما نمتلكها اليوم بوجود الحواسيب وقواعد البيانات والتحليلات المعقدة لأساليب الكتابة وكشف الخطوط... وغير ذلك.

وكان باستطاعة العالم القديم أن يقول أن نصاً أدبياً ليس لنفس المؤلف الذي كتب نصاً آخر (فمثلاً يمكن القول أن كتاب الرؤيا لم يكتبه الشخص ذاته الذي كتب الإنجيل الرابع). ولكن من الأسهل كثيراً أن تقول إن فلاناً لم يكتب كتاباً ما (فبولس لم يكتب رسالة العبرانيين) على أن تقول إن فلاناً كتبه.

(من كتب الرسائل إلى أهل أفسوس إن لم يكن بولس؟)

وأهم من هذا أيضاً أن المزورين ابتعدوا عن طريق أولئك المراقبين لكي لا يتم القبض عليهم. وفي أكثر الأحيان كانوا ينجون بفعلتهم. في إحدى المناقشات المدهشة الحديثة لموضوع التزوير يوضح أنتوني غرافتون من جامعة برنستون أنه على مدى القرون أصبح فن التزوير أكثر دقة لأن فن كشف التزوير طور أساليبه، وكلما تقدم العلماء في تمييز وكشف التزوير كلما تقدم المزورون في أساليب لتجنب الاكتشاف، فاضطر هذا العلماء أن يصقلوا أساليبهم وبالتالي دفع المزورون لتطوير فنهم.

عادة كان المزورون يستخدمون عدة أساليب لتجنب الاكتشاف أولاً والأكثر وضوحاً نجد أن أي إنسان يزور وثيقة باسم مؤلف معروف كان يبذل جهده لتقليد نمط كتابة المؤلف الأصلي ومفرداته التي يستخدمها. وكل شخص له أسلوب خاص في الكتابة وكل أسلوب من حيث المبدأ يمكن تقليده. أما المقلدون الأقل خبرة كانوا ببساطة يميزون الكلمات غير العادية التي يستخدمها المؤلف بشكل شائع فيستعملون تلك الكلمات كثيراً (وأحياناً أكثر من المؤلف الذي يقلدونه). وحاول آخرون تقليد الطرق المميزة التي استخدم المؤلف فيها القواعد النحوية مثل: طول الجملة، استخدام عبارات تحوي اسم الفاعل أو اسم المفعول واستخدام أقسام الجمل وما شابه ذلك.

وبالنسبة للمؤلفين المثقفين جداً كانت قضية تقليد أسلوب الكتابة طبيعة ثانية (شيئاً سهلاً) ففي التربية المتقدمة للتعليم المدرسي «البلاغي» (أي الذي يعنى بالأسلوب أكثر من المعنى) الذي يتلقاه طلاب النخبة من الطبقة العليا كان لديهم تدريب منظم على كتابة رسالة أو خطبة بأسلوب مؤلف أو خطيب مشهور. وأعلى الناس ثقافة في الإمبراطورية (الرومانية) كانوا يتدربون على فعل ذلك بالطبع (29). ومعظم أولئك الأشخاص طبعاً لم ينخرطوا في مهنة التزوير.

إن محاولة تقليد أسلوب مؤلف ما من قبل المزور يمكن أن تجعل كشف التزوير مهمة صعبة. لكن الحقيقة أن بعض الناس أكثر مهارة من الآخرين فكما أن معظم الناس اليوم لا يستطيعون تزوير لوحة للرسام رامبران إن كانت حياتهم تتطلب ذلك فكذلك معظم الناس لا يمكن أن يبدو كلامهم «مماثلاً تماماً» لكلام أرسطو أو بلوتارك أو بولس.

الحيلة الثانية للمزورين كانت تضمين كتاباتهم أشياء تحتمل التصديق والتكذيب. فهناك عبارات أو تعليقات أو ملاحظات تجعل ما كتب يبدو «مشابهاً جداً» لما يتوقع قوله من المؤلف المزعوم. ويقوم المزورون بعمل تعليقات حول متلقي الرسالة حتى لو أنهم في الواقع لم يرسلوها إلى أحد. فلماذا القول بأنك ستصلي من أجل متلقي الرسالة في وقت اضطهادهم إن لم تكن فعلاً ترسلها لأناس يعانون من الاضطهاد؟ لأنك إن قلت ذلك فهي بالتأكيد ستبدو وكأنك ترسلها إلى

أناس واقعين تحت الاضطهاد! ولماذا تطلب خدمة أو معروفاً شخصياً من شخص تكتب له. إن لم تكن حقاً تكتب لذلك الشخص؟ («إيه يا جيمس تأكد من أن تسلم لي على أمك: ولا تنس أن تحضر ذلك الكتاب الذي تركته في بيتك») لأنه ليس هناك طريقة أفضل لجعل الرسالة تبدو وكأنها حقيقية. لماذا تختلق أسماء مستلمي الرسالة وعلاقتك السابقة بهم وذكرياتك معهم وما إلى ذلك؟ كل هذه الأشياء تضيف مصداقية إلى كتاباتك وتجعلها تبدو وكأنك فعلاً ذلك الكاتب في هذا الزمن وفي هذه الأوضاع حتى لو كنت تكتب بعد ثلاثمائة سنة ليس إلى شخص بعينه.

لقد شاهدنا سابقاً نوعاً من شبه الحقيقة في مناقشاتنا السابقة. ففي الرسالة إلى أهالي سالونيك رقم (2) من القرن الأول والقوانين الرسولية بعد ذلك بثلاثمائة عام يخبر المؤلف الذي استخدم اسماً مستعاراً قراءه ألا يقرؤوا أمثال تلك الكتابات. أو لنكون أكثر دقة يحذر المزور قراءه من قراءة التزوير. لماذا؟ نوعاً ما ليجعل القراء أقل توقعاً لاحتمال الشك بأن الكتاب نفسه مزور. وذلك يعني أنه نوع مما يحتمل كونه صادقاً.

الأسلوب الأخير الذي يستخدمه المزورون هو «قصة الاكتشاف» فإذا ظهر فجأة هذا الأسبوع كتاب يزعم أنه كتب قبل مائتي سنة فإن المرء قد يستغرب أين كان طوال تلك المدة.

يبدو المزورون أحياناً أو يختمون كتاباتهم بذكر ما أدى إلى اختفاء واكتشاف كتاب ما. فمثلاً قد يبدأ مؤلف كتابه مبيناً أنه رأى حلماً وفي الحلم قيل له أن يحفر حفرة عميقة على الطرف الجنوبي لشجرة بلوط موجودة في الحقل عبر الجدول المقابل لمزرعته. وعندما حفر الحفرة وجد صندوقاً خشبياً قديماً وبداخل الصندوق كان هنالك مخطوطة بالية وأن المؤلف الآن قد قام بنسخ تلك المخطوطة وها هي ذي: إنها وحي جاء من يسوع مباشرة على الرسول (الحواري) جيمس (يعقوب) وقد كانت غائبة عن العالم حتى الآن.

بعد ذلك يدعى أن الكتاب ألفه جيمس (يعقوب) كما نسخه مكتشف المخطوطة. هذا الكتاب غير معروف بشكل واسع لأنه كان مخبأ طوال تلك السنين، لكنه الآن قد ظهر إلى النور وها هو ذا. إلا أنه ليس في الحقيقة هنا. ما يوجد هنا هو كتاب لم

يكتب من قبل جيمس ولكن من قبل مزور ادعى أنه جيمس وقام بشكل ملائم بتضمين تفسيره للأسباب التي منعت الناس من السماع بهذا الكتاب من قبل.

نظرة القدماء للتزوير:

أشرت سابقاً أن العلماء أحياناً يشمئزون من استخدام كلمة «تزوير» للكتابات التي تحمل اسماً مستعاراً والتي يدعي مؤلفوها أنهم أشخاص آخرون. فيما بعد سأعالج بشكل أكثر تفصيلاً ما قاله بعض العلماء حول هذه الظاهرة لكي يبتعدوا عن التفكير بمثل تلك الكتب بأنها تزوير وسيأتي هذا في الفصل الرابع بعد أن نكون قد أخذنا فصلين من البيانات لتساعدنا في التوصل إلى هذه المزاعم. كما ثبت لنا فإن كثيراً من علماء العهد الجديد الذين يذيعون البيانات الرسمية عن التزوير قالوا أمثال هذه العبارات: («لم يكن يقصد به الخداع»، «لم يعتقد به أحد أنه كذب»، «لم ينظر إليه باحتقار») وفي الحقيقة هم لم يقرؤوا ما قالته المصادر القديمة حول تلك الكتب أو الأسفار. وطوال الحديث في هذا الكتاب سيتضح تماماً من كتابات القدماء أنفسهم أنه ورغم أن التزوير كان مستخدماً بشكل واسع فقد كان كذلك مداناً ويعامل على أنه نوع من الكذب. ولنشرع في البيان هنا أريد أن أعطي فقط بضع أمثلة يمكن أن يضاف إليها أضعافها عن كيفية نظرة القدماء وكيف تحدثوا عن ممارسة التزوير.

أول ما تجدر الإشارة إليه هو أنه فعلياً وفي كل مثال يذكر فيه مؤلف قديم موضوع التزوير فإنه يدينه. وهناك القليل من الاستثناءات التي سأناقشها مطولاً في الفصل الرابع لكن هذه الاستثناءات هي في الحقيقة موضع اعتراض لأسباب سنراها لاحقاً. إلى حد بعيد كان الحديث السائد في العالم القديم معارضاً للتزوير وكانوا ينظرون إليه كعمل مخادع وغير مشروع ـ الزنا عادة ينظر إليه على أنه مخادع ومحرم في الوقت الحاضر لكن ذلك لا يوقف كثيراً من الناس عنه. وبالرغم من إدانته فإن ممارسة التزوير ازدادت كثيراً في العصور القديمة.

وإحدى قصص التزوير الأكثر شهرة تدور حول العالم الفيزيائي الروماني من القرن الثاني واسمه غالين (Galen) الذي ذكرته سابقاً. وفي إحدى كتاباته التي ما تزال باقية يعطي غالين في سيرته الذاتية تقريراً عن اكتشافه لحادثة تزوير حصلت

وكما يرويها غالين يقول إنه مرة كان يسير في أحد شوارع روما ومر بالقرب من محل بائع كتب. في واجهة المحل كان هناك شخصان يتجادلان حول كتاب يفترض أن غالين كاتبه! كان الأول يجادل بحماس أن غالين حقاً كتب ذلك الكتاب، أما الآخر فكان يصر على أن أسلوب الكتابة غير صحيح وأن غالين لا يمكن أن يكون قد كتبه. هذه الحادثة لامست أعمق أعماق قلب غالين لأنه في الحقيقة لم يكن قد كتب الكتاب ولذلك ذهب إلى بيته وألف كتاباً ما يزال موجوداً حتى يومنا الحاضر أحياناً يسمى هذا الكتاب «كيف تميز الكتب التي ألفها غالين».

هل كان غالين يعتقد أنه يجوز لأي شخص آخر أن يكتب باسمه؟ بالطبع لا. ولم يكتشف أحد كذلك كيف كشف التزوير الذي حصل باسمه هو. وقد ذكرت سابقاً الشاعر مارشال (Martial) الذي أثار سخطه أن شعراء آخرين حاولوا أن يمرروا أعمالهم (التي كان يعتبرها هابطة جداً) على أنها مساوية لأعماله. وبين المسيحيين لدينا شكاوى ساخطة حول حالات التزوير في كتابات أوريجن (Origen) وجيروم (Jerome) وأوغسطين (Augustine). لقد كانت مسألة التزوير مدانة بشدة في العصور القديمة حتى أن المزورين أدانوا التزوير ـ كما شاهدنا في حالة الرسالة (2) إلى أهل سالونيك وفي «القوانين الرسولية».

يناقش بعض العلماء بشدة ولكن بدون أدلة كافية أن التزوير كان ممارسة شائعة ومقبولة في مدارس الفلسفة فيكتب الشخص رسالة فلسفية ويوقعها باسم أستاذه (أفلاطون أو فيثاغورس... أو غيره) بدلاً من اسمه هو وأن أحداً لم ينظر إلى هذا العمل باستنكار.

وكما سنرى في الفصل الرابع هناك دليل ضئيل فعلاً أن هذا قد حصل. اسألوا عالماً معاصراً يدعي أن التزوير كان ممارسة منتشرة في العصور القديمة واطلبوا منه أن يذكر لكم مصدراً قديماً لذلك. في أكثر الحالات تقريباً ستجدون عالماً لا يحير جواباً (30).

أن يكون التزوير مداناً بشكل واسع في العصور القديمة يمكن رؤيته في بعض التعابير التي كانت تستخدم لوصف تلك الممارسة ومعظمها كان على الأقل تعبيراً سلبياً مثل التعبير الحديث وهو «تزوير».

في اللغة اليونانية أكثر كلمتين شائعتين لوصف نصوص أدبية يدعي مؤلفوها خطأً أنهم أشخاص مشهورين هما كلمة (Pseudos) التي تعني «خداع» أو «كذب»، وكلمة (Nothos) التي تعني «طفل غير شرعي» مع مدلولات مشابهة للكلمة الحديثة «ابن زنى» (31).

وفيما يخص الكلمة الأولى أكد بعض العلماء أن كلمة مزيف (Pseudos) لا ينبغي أن يكون لها الإيحاءات السلبية للكذب المكشوف (الصريح) لأنها تستخدم أحياناً وبكل بساطة للإشارة إلى معلومة غير صحيحة أو غش. وهذا صحيح بالتأكيد في بعض السياقات ولكنها تعني أن ذلك يكون فقط في الحالات التي يكون فيها الشخص الذي يقول المعلومة الخاطئة لا يدرك أن ما يقوله غير صحيح. وعندما يتحدث شخص بشيء كاذب ويعلم أنه كذب فإن الكلمة اليونانية تعني نفس كلمة «كذب» في اللغة الإنكليزية: إنها كذب متعمد بقصد خداع السامعين أو القارئين ليظنوا أنه صدق.

ولا يمكن أن نسأل أي الدلالات تنطبق على حالات التزوير القديمة. فالشخص الذي كتب «إنجيل بطرس» مدعياً أنه تلميذ يسوع سمعان بطرس (Simon Peter) بعد وفاة بطرس ـ هل كان يدرك أنه ليس سمعان بطرس حقاً؟ إلا إذا كان مجنوناً. إنه عن قصد ادعى أنه شخص آخر. وفي اللغة اليونانية هذا الشيء يدعى (Pseudos) كذب وهو في الإنكليزية كذب.

الاصطلاح أو الكلمة الثانية من اللغة اليونانية (Nothos) قد تبدو محيرة نوعاً ما. فهي تترجم غالباً بمعنى غير شرعي التي قد تكون واضحة تماماً ولكنها لا تحمل نفس مدلولات الكلمة اليونانية التي تشير عادة إلى ابن غير شرعي. إن منطق التعبير في سياق حالات التزوير واضح فلو ولد طفل خارج نطاق الزواج وربته أمه وزوجها (الذي هو ليس والد الطفل) عند ذلك هذا الطفل لا «يتبع» بالنسب إلى والده المزعوم فلا نسب بينهما. زيادة على ذلك في العصور القديمة مثل هذا الطفل لم يكن له حقوق قانونية. كذلك الحال بالنسبة لنص أدبي. فإذا كان مكتوباً باسم مؤلف لم يكتبه حقاً فهو إذاً لا ينسب فعلياً أو قانونياً لذلك الشخص بل مصدره شخص آخر ولذلك يسمى طفلاً غير شرعي أي أنه نص لا يتبع إلى المؤلف الذي ادعاه.

كلا هذين الاصطلاحين سلبيان وليسا حياديين ويبينان ما كان القدماء يعتقدونه حول ممارسة التزوير.

إن المؤلف الذي ينتج كتابة باسم شخص آخر يكون قد أنتج «كتابة مزورة» أي «كذبة» أو «طفلاً غير شرعي» أو «ابن زنى» وتستخدم كلمات مثيلة لهذه في اللغة اللاتينية لعملية التزوير وهي كلمات «الكذب»، «التزييف»، «الاختلاق» وما شابه ذلك.

وخلافاً لما ادعاه بعض العلماء (مرة ثانية ارجع إلى الفصل الرابع) فإن المزورين في العالم القديم فعلاً أرادوا أن يغشوا قارئيهم بادعائهم أنهم أشخاص لهم سلطة ومكانة. وقد تم إدراك هذا الأمر من قبل خبراء حقيقيين في حالات التزوير القديمة (32). وإن التمعن للحظة يرينا لماذا يجب أن تكون هذه هي الحالة. انظر إلى دوافع أو بواعث التزوير المذكورة سابقاً. المزورون الذين أرادوا أن يروا إن كان بإمكانهم أن تنطلي أفعالهم على الآخرين، أو ليروا إن كان بإمكانهم أن يخدعوا الناس لم يكونوا ليحاولوا جعل خدعتهم شفافة وواضحة لكنهم فعلاً أرادوا خداع الناس. لو أرادوا كسب المال بإنتاج «نسخة أصلية» مثلاً لحوار أفلاطون فإنهم لم يكونوا سينجحون لو علم الجميع حقيقة أمرهم ولو أرادوا تبرير مؤسسة سياسية أو ممارسة دينية بإيراد آراء سلطة ما أو أرادوا أن تقبل آراؤهم ذاتها على أنها معتمدة حتى لو كانوا مجهولين تماماً فلن يكون هناك معنى لادعائهم أنهم أشخاص آخرون ولعرفوا تماماً أنه لن يصدقهم أحداً.

وحقيقة أن الكتابة المزورة لم تكن أدباً شفافاً يدل عليها أيضاً الأشياء السلبية التي يقولها الناس حولها في المصادر القديمة، فممارستها كما ناقشت سابقاً مدانة في كل الأمثلة التي تمت مناقشتها، إضافة إلى أن ردات الفعل نحو المزورين عندما كانوا يكتشفون تبين بوضوح تام أنها كانت تتعمد الخداع وأنها في أكثر الأحيان كانت ناجحة وأن الناس لم يكونوا أبداً راضين عندما اكتشفوا الحقيقة. غالين ومارشال غضبوا كثيراً عندما وجدوا أشخاص آخرين ينتحلون أسماؤهم لكتاباتهم التي لم ينتجوها، وكان رد الفعل أحياناً أكثر عدائية.

أول مرة نسمع فيها عن اكتشاف أمر مزور تعود قديماً إلى القرن الخامس قبل الميلاد وفي كتابات المؤرخ اليوناني الشهير هيرودوتس (Herodotus) (33) في مقطع

محير وملغز يتحدث هيرودوتس عن أونوماركريتوس (Onomarcritus) الأثيني الذي كان قد اختلق نبوءة (أي وحياً من كائن سماوي) ونسبها إلى شاعر قديم اسمه موزيوس (Musaeus) وهو شخصية أسطورية يعتقد أنها قادرة على التنبؤ بالمستقبل. أشارت هذه النبوءة إلى أن مجموعة جزر معينة ستغرق في البحر. ويصعب علينا أن نفهم لماذا زور أونوماركريتوس هذه القصة أو لماذا انزعج الناس منه، ولكنهم فعلوا ذلك. وقد طرد هيباركوس حاكم أثينا أونوماركريتوس من المدينة فهرب إلى اليونان وانتهى به المطاف في إيران. وكذلك في حالات أخرى كان هناك اعتقاد بأن نبوءات أخرى زورها هو أيضاً وعوقب بشدة بسببها من قبل مؤلفين قدماء آخرين من أمثال بلوتارك (34).

وفي بعض الأحيان كانت عقوبة التزوير أكثر قسوة وقد ذكرت سابقاً الرسائل الخمسين الفاحشة التي زورها الفيلسوف ديوميتوس باسم ابيقور لكي يشوه سمعته. وحسبما جاء في أحد المصادر القديمة فإن أتباع ابيقور لم يكونوا مسرورين لذلك فقام رجل اسمه زينو (Zeno) بتتبع ديوميتوس وقتله بسبب فعلته (35). ويمكن مقارنة هذا بالحادثة التي ذكرت سابقاً من قبل المؤرخ اليهودي يوسيفوس (Josephus) الذي يشير إلى أن شخصاً زور رسالة باسم الاسكندر ابن الملك هيرود مشيراً إلى خطة الاسكندر بقتل والده. وكما رأينا فإن المزور كان صاحب سر الملك الشخصي والذي حسبما قال يوسيفوس «أعدم في النهاية من أجل ذلك».

ومن كل المناقشات حول التزوير في المصادر القديمة أعتقد أننا يمكننا بأمان أن نتوصل إلى عدة استنتاجات مهمة. كان التزوير يمارس بكثرة في العصور القديمة بين أوساط الوثنيين واليهود والمسيحيين. وإن المزورين مدفوعين بعدة عوامل قصدوا خداع قرائهم. والمؤلفون القدماء الذين يبحثون الموضوع أدانوا التزوير واعتبروه نوعاً من الكذب والغش. وإن المزورين الذين تم ضبطهم ونجوا وعوقبوا بقسوة أشد.

التبريرات المحتملة للتزوير:

أكثر دراسة معمقة للتزوير القديم تم القيام بها من قبل العالم النمساوي الشهير والمدعو وولفغانغ شبير يقول: «إن كل حالة تزوير تدعي أموراً لا تتوافق مع

حقائق القضية الواقعية. ولهذا السبب ينتمي التزوير إلى عالم الكذب والخداع» (36). وتتوافق هذه الفكرة تماماً مع الفكرة التي كنت أحاول قولها في هذا الفصل ولكنها تتركنا نواجه مشكلة.

عندما ندرس حالات التزوير المسيحية خصوصاً فإننا نتعامل مع كتابات أنتجها أتباع يسوع والذين يفترض أنهم ينسبونها إلى تعاليم يسوع الأخلاقية والمعايير الخلقية التي دعت إليها الكتب الدينية اليهودية. وبالتأكيد كانوا يعلمون أن الكذب والخداع خطأ. فلماذا يقدمون على فعل ما يعلمون أنه خطأ؟ وبالتأكيد ينطبق مثل هذا السؤال على الوثنيين واليهود أيضاً والذين كانوا أخلاقيين بقدر المسيحيين. فلماذا يخالف أحدهم آراءه الأخلاقية؟

في أحد المستويات بالطبع نعتبر السؤال سخيفاً. فكل الناس يفعلون أشياء يعلمون أنها خطأ. لكني أقصد السؤال في مستوى أعمق. هل ظن المزورون الذين ارتكبوا حالات التزوير أن لديهم مبرراً لعملهم؟ هل الكذب مبرر؟ سأعود إلى هذه القضية في الفصل الثامن ولكن الآن سأهيئ للموضوع على الأقل بسؤال أكثر عمومية. ماذا كان الناس في العصور القديمة يقولون عن الكذب والخداع؟

إن السؤال ماذا كانت نظرة الناس القدماء إلى الكذب هي مثل سؤال الناس في العصر الحديث ـ فذلك يعتمد بالكلية على الشخص الموجه له السؤال. فبعضهم يعتقد أن الكذب غير مقبول مهما كانت الظروف، وآخرون يعتقدون أنه في بعض الحالات يكون الكذب هو الشيء الأخلاقي الواجب فعله ولكن آخرين لا يرون بأساً على الإطلاق في الكذب كلما راق لهم ذلك، شكراً جزيلاً!

بعض الفلاسفة اليونانيين القدماء، وخصوصاً أرسطو أكد على أهمية أن يكون المرء صادقاً على العموم (37). لكن معظم الفلاسفة كانوا يعتقدون بأنه يمكن أن توجد حالات استثنائية. الفيلسوف زينوفون مثلاً يروي عن سقراط قوله إنه لا بأس من الكذب على ابن مريض أو صديق يريد أن ينتحر إذا كان بالإمكان منعه من فعل ذلك (38). وقال سقراط أيضاً من المفيد لقائد جيش ما أن يكذب على جنوده الخائفين في المعركة مخبراً إياهم أن قوات داعمة ستصل إليهم قريباً من أجل أن يحثهم على القتال بشجاعة أكثر، أو بالنسبة لوالد يكذب على ابنه ليجعله

يتناول دواء كريه الطعم وبأن ذلك سيفيده. وقال أفلاطون إن بعض الكذب يمكن أن يكون مفيداً كما يفعل بعض الأطباء عندما يكذبون على مرضاهم من أجل مصلحتهم أو عندما يكذب حكام بلد ما على شعبهم لكي يؤكدوا لهم حسن سير الأمور في المجتمع. وكما قال أحد المؤلفين القدماء واسمه هليودوروس «تكون الكذبة جيدة عندما تنفع قائلها دون أن تضر سامعها» (39).

ولكن ماذا عن المسيحيين؟ ألم يعلّموا دائماً أن يقولوا الصدق؟ وذلك بالتأكيد ما علمه للناس اللاهوتي الكبير من القرن الخامس أوغسطين في رسائله المخصصة لموضوع «الكذب» فهو أبداً، أبداً ومهما كانت الظروف غير مسموح به، وهذا الرأي عند أوغسطين ليس مبنياً على معنى ساذج وهو أن من الخير أن تقول الصدق، لكنه مبني على فهم ديني عميق حول ما يعنيه أن يكون المرء بشرياً حقاً في علاقته مع إله الحقيقة الذي أصبح هو نفسه بشرياً تماماً (40).

لكن كثيراً من المفكرين المسيحيين سواء قبل أو بعد أوغسطين كانوا يفكرون بطريقة أخرى، فبعضهم كالمفكر المسيحي الهام كليمنت من الإسكندرية في نهاية القرن الثاني إضافة إلى زميله أوريغن الإسكندري في بداية القرن الثالث ـ والذي يعتبر أهم شخصية لاهوتية للكنيسة قبل أوغسطين ـ يتفقان مع أفلاطون حول «الكذبة الدوائية» أي أن كذبة الطبيب ستجعل مريضة تأخذ دواءها فهذا مبرر أخلاقياً (41). وأشار كلاهما أنه في العهد القديم يظهر الإله نفسه وهو يستخدم الخداع أحياناً. فعندما قال الإله ليونس (Jonah) أن يعلن لمدينة نينوى أنه خلال أربعين يوماً ستهدم المدينة ومن الواضح أنه كان يعلم تماماً أن الناس سيتوبون وأنه سيوقف تنفيذ الحكم. فالله إذن لم يرد أن يهدم المدينة رغم أن ذلك ما قاله لنبيه أن يعلنه للناس.

فعبارة كاذبة يمكن أحياناً أن تعمل خيراً كثيراً.

وهنالك الكثير الكثير من الأمثلة الأخرى في الكتاب المقدس التي أدت فيها حالات كذب من أصفياء الله إلى نهايات حسنة. فلو أن إبراهيم لم يكذب بشأن زوجته سارة عندما قال: «هي أختي» لأدى ذلك إلى قتله ولما جاء شعب إسرائيل إلى الوجود (سفر التكوين ـ 12). ولو أن المومس راحاب لم تكذب بشأن مكان اختباء بني

إسرائيل لكانوا قتلوا ولما تمكن بنو إسرائيل من أخذ أرض الميعاد (سفر يوشع ـ 2) ويمكن إيراد العديد من الأمثلة. فأحياناً يكون الكذب هو الفعل المناسب.

هل هذا ما فكر به المزورون؟ وأن الكذب بشأن حقيقة أشخاصهم يستحق ذلك؟ وأن النتائج الحسنة لكذبهم ترجح على المساوئ؟ وأن الغاية تبرر الواسطة؟

الذي أخشاه هو أننا قد لا نعرف ما دفع أولئك الناس لفعل ما فعلوه. فنحن ببساطة لا نستطيع أن ننظر إلى قلوبهم وعقولهم لنرى ماذا كانوا يفكرون في أعماق نفوسهم عندما قرروا أن يخفوا حقيقة شخصيتهم وأن يدعوا كذباً أنهم أشخاص آخرون. وإن قراءهم لو علموا ذلك فلربما سموهم كذابين وأدانوا أفعالهم. ولكنهم في عيون أنفسهم وفي ضمائرهم ربما كانوا غير ملومين ولربما كانت دوافعهم نقية كالثلج. كان لديهم حقيقة يريدون نشرها وكانوا سعداء في كذبهم ليبلغوها للناس.

الفصل الثاني
الكتابات المزورة باسم بطرس

إلى هذا الحد في مناقشتي للكذب والخداع والتزوير في الماضي كنت استخدم كلمة «حقيقة» بالمعنى البسيط للغاية الذي يدل على أنها «معلومة صحيحة» نوعاً ما، لكن في الواقع الحقيقة وضدها الباطل هما شيئان معقدان. وأعتقد أننا جميعاً ندرك هذا في أعماق نفوسنا حتى لو أننا لم نتأمل هذه الأفكار بشكل معمق. عندما نشاهد فيلماً غالباً ما نسأل أنفسنا: «هل هذه قصة حقيقية؟» ونعني بذلك: «هل هو شيء حدث فعلاً؟» فإذا كان الجواب نعم عند ذلك نشعر بالاطمئنان والارتياح لأن الأحداث وقعت ولذلك فهي كقصة «أكثر صحة» من القصة المختلقة (الخيالية). وحتى لو كان الأمر كذلك فإننا لا نعتقد أبداً أن كل شيء موجود في الفيلم ـ كل الشخصيات والحوار والمشاهد الفردية وخلافها ـ هي تماماً ومطلقاً نفس الطريقة التي حدثت فيها القصة «في الحقيقة». إننا تسمح بنوع من الترخص الشعري للتحريف حتى عندما نعترف بأن القصة «حقيقية» نوعاً ما.

بإمكان المرء أن يقول أن فيلماً يمكن أن يكون حقيقياً في مفهوم أعمق حتى لو كان يتحدث عن شيء لم يحدث مطلقاً. كانت هذه نظرتي لسنوات عديدة وقد كانت تدفع أولادي للجنون عندما كانوا صغار السن. كنا نشاهد فيلماً وكانوا يقولون لي «أبي، هل هذه قصة حقيقية؟» وكنت دائماً تقريباً أقول لهم نعم. لكنهم بعد ذلك يتذكرون أنني أميل إلى أن تكون لي نظرة مختلفة للأشياء وكانوا يسألونني السؤال الذي يليه «لا يا أبي، نقصد هل حدث هذا حقاً؟» فأقول لهم لا ويبقون حائرين.

كما سيكون بعض قرائي كذلك فكيف يمكن أن تكون قصة ما «حقيقية» إذا كانت لم تحدث؟ في الواقع هناك كل أنواع القصص الحقيقية التي لم تحدث كما سيقر الجميع باعتقادي لو أنهم فكروا بذلك قليلاً. وعندما أحاول شرح هذا الأمر لطلابي فإنني عادة أعيد على مسامعهم قصة جورج واشنطن وشجرة الكرز.

قصص حقيقية لم تحدث:

كل طالب في المدارس الابتدائية (في أمريكا) يعرف قصة شجرة الكرز. فعندما كان جورج واشنطن صبياً صغيراً ولسبب مجهول أخذ الفأس واتجه إلى شجرة الكرز التابعة لأبيه. وعندما جاء والده إلى البيت رأى الشجرة وقال «من قطع شجرة الكرز؟» فأجابه جورج واشنطن «لا أستطيع أن أكذب، أنا فعلتها».

إن الطريقة التي تروى بها القصة عادة لا نكتشف منها ما الذي حصل بعد ذلك ـ هل أخذ جورج الصغير إلى مستودع الحطب؟ (عقوبة له). وتنتهي القصة بجواب جورج المكون من سطر واحد.

إننا نعلم أن القصة لم تحدث أبداً لأن الشخص الذي اختلق الحكاية اعترف بعدها بفعلته لذلك. لقد كان قساً مسيحياً اسمه ميسون لوك ويمز (Mason Locke Weems). اعترف هذا القس أنه ألف هذه القصة مع أنه قد سبق له الإدعاء أنه تلقاها من شاهد عيان موثوق (إنه تناقض طريف: لقد كذب في هذه القصة حول عدم الكذب) ها هنا إذن قصة نعرف أنها ليست تاريخية لكننا مع ذلك نرويها لأطفالنا. لماذا؟ ليس لأننا نحاول تعليمهم الحقائق حول التاريخ الاستعماري، بل لأننا نعتقد أن القصة تبلغ «حقيقة» نريد أن نعلمها لأطفالنا. إن المطالب الموجودة في القصة تعمل حقاً على عدة مستويات، أحدها أن القصة قطعة صغيرة من الدعاية السياسية للولايات المتحدة. من كان جورج واشنطن؟ لقد كان أباً للأمة (الأمريكية) وأي نوع من الأشخاص كان؟ لقد كان إنساناً صادقاً لا يكذب أبداً، هل هو كذلك حقاً؟ إلى أي حد كان صادقاً؟ حسناً، في يوم من الأيام عندما كان طفلاً... والنتيجة واضحة. إن هذا البلد مبني على الصدق. هذا البلد صادق. هذا البلد لا يمكن أن يكذب. أو هكذا تجري الحكاية.

لكن قصة جورج واشنطن وشجرة الكرز تعمل على مستوى آخر أيضاً ولربما لهذا السبب معظم الآباء يسرون عندما يتعلم أولادهم تلك القصة. إنها قصة حول الخلق الشخصي والمسؤولية، حكيت هذه القصة لأولادي لأنني أردت لهم أن يكونوا مثل جورج الصغير. وحتى لو ارتكبوا خطأ فقد أردت منهم أن يأتوا إلي بصراحة ويحكوا حقيقة ما جرى. إنه من الأفضل أن تكون صادقاً وتواجه العواقب على أن تعيش حياة ملؤها الكذب، من الأفضل ألا تكذب.

ما أريد قوله هو أن الخيال، حتى الخيال التاريخي، يمكن في بعض الحالات أن ينقل لنا «الحقيقة» حتى لو كانت شيئاً «لم يحصل» فالحقيقة هي أكثر من مجرد معلومة صحيحة.

لكن هذا لا يعني أنه لا يوجد شيء اسمه الباطل، على العكس تماماً، فهناك الكثير من أنواع الباطل مثل: معلومة غير صحيحة وخدعة مكشوفة. قصص تعطي رسائل لا نقبلها على أنها «صادقة» مبنية على فهمنا للعالم. فلو كنت سأقرأ قصة عن طفولة جوزيف ستالين تؤكد على مزاجه الفطري الجميل وطبيعته اللطيفة الرحيمة واهتمامه الكبير برعاية الآخرين لقلت إن القصة كاذبة.

الناس القدماء أيضاً كان لديهم عدم تحديد دقيق تماماً للفرق بين الحق والباطل. هم أيضاً كانت لديهم قصص قبلوها على أنها «حقيقة» بمعنى ما بدون أن يفكروا هل هي وقعت فعلاً، ويدرك معظم العلماء حالياً أن غالبية الناس المثقفين في اليونان القديمة وروما لم يصدقوا حرفياً أن الأساطير المتعلقة بالآلهة قد حدثت فعلاً في التاريخ. لقد كانت قصصاً يقصد منها أن تعطي نوعاً من الفهم الحقيقي لعالم السماء وعلاقة البشر بذلك العالم. وكان لدى القدماء ما يوازي القصص الخيالي الحديث.

من الصحيح أن بعض العلماء قد أكدوا أن الأفكار الحديثة حول الأدب الخيالي أكثر تعقيداً وضبابية من أي شيء يمكن أن تجده في العصور القديمة. لكن بالإضافة إلى الأساطير كان لدى القدماء الملاحم الشعرية والخرافات والروايات (التي تدعى أحياناً «قصص الحب والمغامرات») التي تتطابق في أوجه كثيرة مع أشكال الروايات الخيالية التي نملكها اليوم. الناس لم يرووا ولم يعيدوا الرواية، لم يقرؤوا ولم يقصوا هذه الأصناف من الأدب لمجرد أنهم اعتقدوا أنها صحيحة فعلياً بل لنفس السبب الذي نقرأ فيه القصص حالياً: أي للتسلية ولتعلم شيء ما أو ليساعدهم على فهم أنفسهم وعالمهم بشكل أفضل.

إن فكرة «الخيال» أو القصص ممتعة جداً، إذا قرأنا كتاباً يدعي أنه سيرة موثقة لرونالد ريغان (رئيس أمريكي سابق) فإننا نتوقع أن يلتزم بالحقائق وألا ينقل معلومات غير صحيحة تاريخياً. لكن إذا قرأنا رواية حول رئيس للولايات المتحدة في الثمانينات ـ كتاب يصف نفسه بأنه خيال محض ـ فقد نتوقع بعض أنواع من تقليد

أو محاكاة للحقيقة التاريخية (فلن يظهر الرئيس وهو يتصفح الانترنت أو يراجع صفحته على فيس بوك Facebook)، ولكننا لا نتوقع أن نحصل على حقائق تاريخية واقعية حول شخصية تاريخية. أشياء قديمة مماثلة للقصص الخيالي الحديث عملت بنفس الطريقة. فالقراء كانوا يتوقعون من الروايات أن تصنع نوعاً ما من المعنى التاريخي ـ أي أن تكون معقولة ـ ولكنهم لم يتوقعوا من القصة أن تكون مطابقة لحقائق الواقع التاريخي.

إن الفرق بين السيرة الحديثة والرواية العصرية بالطبع هو مسألة كونها لوناً أدبياً من ألوان الكتابة. وقد أجرى العلماء نقاشات مطولة ومعمقة حول فكرة ما تعنيه كلمة «لون أدبي» حقاً ولكن من أجل أهدافنا من الكتاب فأعتقد أن وصفاً مبدئياً جاهزاً سوف يفي بالغرض. فاللون الأدبي هو «نوع» من الكتابة التي تلاءم أشكالاً متوقعة معينة، فالقصة القصيرة مثلاً تكون قصيرة والرواية أطول منها. كلا اللونين فيه شخصيات وحبكة وملامح أخرى مشتركة تجعلهما مختلفتين عن الـ (Haiku) الذي هو نوع من الشعر الياباني الذي يتألف من ثلاث أبيات وغالباً موضوعه الطبيعة. وما يسمى (Limerick) هو شعر يحوي قوافي ذكية وسطراً ختامياً مفاجئاً. والشعر الحر ليس فيه أي مما سبق ولكنه يعتمد على عمق اللغة ليعطي معنى ما. وهكذا، إن خصائص كل لون أو نوع أدبي يمثل اتفاقاً ضمنياً بين المؤلف والقراء. وهو تقريباً اتفاق تعاقدي يقدم فيه المؤلف ما هو متوقع منه لهذا اللون من الكتابة ولا يسمح للقراء أن ينتظروا أي شيء آخر غير الذي يكون عادة في هذا النوع من الكتابة.

عندما يتعلق الأمر بالقصص، في كل أنواعه تقريباً، فإن القراء يوافقون على تأجيل حكمهم على الدقة التاريخية لتفاصيل الرواية ولكن لا بد من أن تكون معقولة تاريخياً (4). والسبب في أن القصص ينجح هو أنه سبيل الاستمتاع يكون القراء راغبين في عمل هذا الاتفاق الضمني مع المؤلف.

وأما بالنسبة لكتابة السيرة أو الكتابة التاريخية فإن القراء لا يعملون هذا الاتفاق. وإنما في هذه الحالة يوافق المؤلف على الالتزام بالحقائق التاريخية بأقصى ما يمكنه ويتوقع القراء منه ذلك. وأي خرق لهذا الاتفاق ينظر إليه كمخالفة للقوانين ويدان.

في الكتابات التاريخية القديمة كان الأمر أكثر تعقيداً بعض الشيء. ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى أنهم لم يكن لديهم في الماضي أدوات البحث المتوفرة لدينا الآن مثل: إمكانية التوصل الكبيرة لمصادر موثوقة وسجلات مكتوبة غزيرة، وقواعد بيانات وأنظمة لاسترجاع المعلومات والإمكانيات التي توفرها لنا وسائل الإعلام والأنظمة الإلكترونية للاتصالات.

كان على المؤرخين القدماء أن يبذلوا جهدهم لتقصي وتجميع الروايات المعقولة للأحداث الماضية من هنا وهناك. وكان من الشاق جداً بالفعل أن تعطي وصفاً «دقيقاً» لأمر ما رغم أن معظم المؤرخين حاولوا فعله. ولم يكن هذا الأمر يعتبر مشكلة واضحة سوى عندما أرادوا تسجيل الكلمات الحقيقية ذاتها لشخص عاش قبل مدة طويلة. وبعض أفضل الكتابات التاريخية من العصور القديمة مليئة جداً بخطب ألقاها بعض شخصياتهم الرئيسة. ولكن إذا كانت الوقائع قد حدثت قبل عقود أو حتى قرون مضت في عصر لم يكن فيه مسجلات للصوت ولا حتى آلة اختزال الكتابة والتقارير اليومية فكيف لمؤرخ أن يعرف ما قاله فعلاً ذلك الشخص؟ في الواقع ليس بإمكانه ذلك.

ولهذا السبب فإن مؤرخاً جليلاً مثل ثوسيديدس من القرن الخامس قبل الميلاد يذكر بصراحة أنه بكل بساطة لفق الخطب بنفسه. فما الخيار الذي كان أمام المؤرخين القدماء؟ أفضل ما أمكنهم فعله هو أن يختلقوا خطاباً بدا لهم متلائماً مع شخص المتحدث والمناسبة واعتقدوا أنه نوعاً ما يعتبر مقاربة لما قاله فعلاً. ولم يكن هناك وسيلة تبين إن كان المؤرخ قد أصاب. لكن القراء المثقفين أدركوا أن هذا هو ما كان المؤرخون يقومون به ولذلك فقد كان هنا أيضاً نوع من اتفاق ضمني بين المؤلف والقارئ حيث يقوم المؤلف أفضل تخمين لما قاله المتحدث وسيقبل القارئ ذلك على ما هو عليه أي أنه أفضل تخمين.

اعتقد بعض العلماء أن التزوير كان كما ذكر، أي أنه نوع من الخيال (أو القصص) الذي يمكن مقارنته بتلفيق الخطب في حدث من التاريخ اتفق فيه كل من المؤلف الحقيقي والقراء الحقيقيين ألا يأخذوا موضوع الاسم المزور الملصق بكتابة ما بشكل جدي. وكما بينت من قبل فإن العلماء الحاليين الذين درسوا فعلاً

المناقشات القديمة لعمليات التزوير يشيرون إلى أن هذه النظرة ليست صحيحة على الإطلاق. الأشياء المزورة كانت نصوصاً أدبية استخدم المؤلف فيها نوعاً من القصص بدون إذن القراء والقراء لم يعجبهم ذلك عندما اكتشفوا أمره. وكان القدماء يعاملون الروايات التاريخية المزورة والأطروحات والرسائل وما شابه ذلك على أنها «كتابات مزورة» و «أكاذيب» وليس كنوع غير ضار من القصص البريء.

ولهذا السبب كان القدماء مهتمين بمعرفة ما إذا كانت الكتب «أطفالاً شرعيين» للمؤلفين المذكورين أم «غير شرعيين» (Notha) ولا ينسبون حقاً للشخص المذكور اسمه كمؤلف للكتاب.

وكذلك أيضاً ميز القدماء الفرق بين الروايات القصصية المختلفة والروايات التاريخية. وبعض المؤرخين أمثال لوسيان (Lucian) من ساموستا (Samosta) وبوليبيوس ـ ولكن ليس مثل ثوسيديدس ـ كانوا يلحون على أن الروايات التاريخية يجب أن تشير فقط لما حدث فعلاً. ولا ينبغي للمؤرخين أن يلفقوا قصصاً ولا حتى الخطب التي ألقاها الأشخاص في كتاباتهم التاريخية. وكما قال بوليبيوس المؤرخ اليوناني من القرن الثاني ق.م عن صعود روما إلى السلطة وهو يذكر ذلك ببلاغة: «إن على المؤرخ أن يسجل ببساطة ما حصل فعلاً وما قيل فعلاً». وبرأي بوليبيوس أن المؤرخ يختلف عن «الشاعر المأساوي» (أي مؤلف الدراما الخيالية): «فالشاعر المأساوي يثير ويجذب قراءه للحظة بمحاكاة حقيقة الكلمات التي يضعها في أفواه شخصياته ولكنها مهمة المؤرخ أن يوجه ويقنع الدارسين الجادين في كل الأزمان بحقيقة الوقائع والخطابات التي يرويها» (5).

السبب الذي جعل مؤرخاً كبوليبيوس (Polybius) يناقش هذه النقطة بشكل عنيف طبعاً هو أن مؤرخين آخرين فعلوا بالضبط ما كان يعارضه مخترعين خطابات وحتى روايات عندما رأوا ذلك ملائماً لوقائعهم «التاريخية». وصحيح بالتأكيد أن الناس عموماً وليس فقط المؤرخين المحترفين لفقوا كثيراً من القصص حول الشخصيات التاريخية.

ويمكن أن نلاحظ ذلك في الأوساط المسيحية فيما يتعلق تقريباً بكل الشخصيات التاريخية الهامة التي نعرفها مثل: يسوع (المسيح) وبولس وبطرس

وأعضاء آخرين من المجموعة الرسولية. وفي هذا الفصل وبما أنني مهتم بالكتب التي زعم أنها مكتوبة من قبل بطرس ولكنها في الحقيقة زورت باسمه، دعونا نبدأ بدراسة بعض القصص المخترعة حوله قبل أن ننظر في الكتب التي نسبت له كذباً.

قصص حول بطرس:

لدينا عدد من الكتب من بدايات المسيحية تحكي قصصاً حول بطرس. وكل هذه الكتب تقريباً تم «اختلافها» من قبل واحد من رواة القصص أو غيره. وبحسب تعريفاتي فهذه القصص ليست تزويراً فهي ليست روايات يقال أن كاتبها بطرس بل هي مما يمكن تسميته «تلفيقات» أي قصص لفقت أو اخترعت حول بطرس. (6).

وإحدى أهم هذه القصص موجود في وثيقة مزورة. إلا أن هذه القصة ليست باسم بطرس بل كتبت باسم تيتوس (Titus) رفيق بولس. ويحوي العهد الجديد رسالة يقال إنها من بولس إلى تيتوس (وهذا ما أناقشه في الفصل الثالث) وهي باسم مستعار (أي مزيفة). وبعد حوالي أربعمائة سنة ظهرت رسالة أخرى يزعم أنها كتبت (من قبل) تيتوس وهي رسالة محيرة لأنها تؤكد بقوة أن السبيل الوحيد للحصول على الحياة الأبدية هو بأن يعيش المرء حياة زهد وعفة أو بصراحة أكثر يمكن أن يحصل المرء على النجاة فقط بالامتناع عن الجنس.

وفي سياق مناقشة المزور يورد قصة حول بطرس تساعد في تبيان هذه النقطة.

يحضر أحد الفلاحين ابنته العذراء إلى بطرس لمباركتها، ويتلو بطرس دعاء فوق البنت سائلاً الله أن يختار لها الأفضل فتسقط على الأرض ميتة. وينزعج الفلاح بشكل غريب لما حصل لكن مؤلف القصة يدعوه «متألماً» وحزيناً لأنه لم يصدق أن ما جرى هو خير ولصالح ابنته. فيتوسل إلى بطرس أن يعيد ابنته إلى الحياة ويقوم بطرس بذلك. لكن بعد أيام قليلة يأتي زائر يدعي بأنه مسيحي وينزل في بيت الفلاح ويغوي ابنته فيهربان معاً ولا يراهما أحد أبداً بعد ذلك. وتلك هي نهاية القصة. الرسالة الموجودة في السياق واضحة تماماً: فأفضل بكثير للبنت أن تموت على أن تقع في شهوة جنسية.

ويمكن أن نرى رواية مشابهة في مجموعة قصص حول نشاطات بطرس الدعوية وربما كتبت في القرن الثاني المسيحي.

الرواية المسماة ببساطة «أعمال بطرس» تصف المعجزات الكبيرة التي قام بها بطرس بعد قيامة يسوع وصعوده إلى السماء لأنه يظهر قوة ربه المرفوع ويدخل أشخاصاً لا يمكن تقدير عددهم في الإيمان.

في واحدة من القصص يتحدث بطرس إلى حشد من المسيحيين في بيته في يوم أحد. لقد أحضروا مجموعة من الأشخاص المرضى إليه ليشفيهم. لكن أحد الأشخاص من بين المحتشدين يقول له لماذا لا يشفي ابنته هو (ابنة بطرس) وكانت مستلقية مشلولة في زاوية البيت.

ويطمئن بطرس زواره أن الله قادر على شفاء البنت لو اختار أن يفعل ذلك. ولكي يثبت قوله يأمر بطرس البنت أن تقف وتمشي بشكل طبيعي وتفعل البنت كذلك لكنه يأمرها أن تعود إلى زاويتها مشلولة فيصبح الجميع مندهشين ومذهولين بعد ذلك يحكي بطرس قصة ابنته عندما كانت صغيرة علم بطرس في رؤيا من الله أنها إذا بقيت صحيحة فسوف ـ تضل الكثيرين ـ ويبدو أنها كانت جميلة في طفولتها، وعندما تكبر ستغري الرجال لينامو معها. فعندما بلغت سن العاشرة حاول أحد جيرانها في البيت المجاور أن يغويها ولكنه قبل أن يتمكن منها أصابها الشلل برحمة من الله. وأصيب ذلك الجار بالعمى بسبب مشاكله إلى أن شفي على يد بطرس وتحول إلى مؤمن بالمسيح. لكن كان على البنت أن تبقى مشلولة لئلا تضل أناساً آخرين. مرة أخرى المغزى واضح تماماً وهو: إن الفاحشة خطيرة ويجب تجنبها مهما كلف الأمر حتى لو بقي المرء مريضاً طول عمره.

إن أعمال «الرسول» بطرس مبنية على سلسلة من المنافسات بين بطرس، ممثل الإله الحقيقي، والمبتدع المسمى سمعان (Simon) وهو ساحر يستمد قوته من الشيطان. ويستطيع كل منهما فعل أشياء خارقة ويحاول كل منهما إقناع الجماهير أنه هو وليس خصمه يمثل الحقيقة. أحد الخوارق تتحدث عن بطرس وسمكة التونا المدخنة. تحدثنا القصة أن بطرس كان يحاول إقناع الجمهور وكان يحقق نجاحاً ضئيلاً. لكنه كان واقفاً أمام دكان بائع سمك وكان ينظر إلى سمكة التونا المدخنة المعلقة في الواجهة.

ويسأل الناس إن كانوا سيؤمنون إذا هو أعاد السمكة إلى الحياة. فأجابوا بنعم وأنهم سيؤمنون عندئذ. وينزع بطرس السمكة من الخطاف ويرميها في بركة ماء

قرية ويأمرها أن تعود من بين الأموات فتعود السمكة حية ـ ليس لبضع دقائق فقط ولكن دائماً فيفرح الجمهوري ويؤمنون مع بطرس.

وهناك في الجعبة خوارق أكبر. يستدعي بطرس وسمعان الساحر من قبل الحاكم الروماني المحلي إلى ساحة ليتنافسا لكي يعرف الناس من هو المتحدث الحقيقي باسم الله. ويؤمر بخادم صغير بالحضور إلى الساحة، يؤمر سمعان بقتل الولد ويؤمر بطرس بإعادته حياً من بين الأموات. فيتكلم سمعان بكلمة في أذن الولد ويسقط على الأرض ميتاً (إنه المبتدع الساحر الذي قال كلمة الموت). لكن بطرس يقول لسيد الغلام أن يأخذ بيده ويوقفه وفي الحال يعود الولد إلى الحياة (الإنسان المؤمن بالله لديه كلمة الحياة).

بعد ذلك تأتي امرأة ثرية إلى بطرس وتبكي أمامه طالبة منه أن يساعدها أيضاً. لقد مات ابنها وهي بتوسل شديد تريد من بطرس أن يعيده للحياة. ويتحدى بطرس سمعان إلى منافسة: من منهما يستطيع بعث الرجل من موته. وبينما الجمهور واقفون ينظرون يقوم سمعان ببعض الخدع فينحني أمام الجسد الميت ينحني ثلاث مرات ثم يقف ويا للهول! يرفع الميت رأسه. يقتنع الجمهور أن سمعان هو سلطان الله وان بطرس لابد أنه كاذب مخادع.

ويستعدون لإحراق بطرس على الخازوق. لكن بطرس يصرخ في وجوههم ويسكتهم ويبين لهم أن الميت لم يعد إلى الحياة حقاً، بل حرك رأسه فقط. وإن كان سمعان حقاً من عند الله فسيتمكن من أن يجعله يقف ويتكلم. وعندما لم يستطع سمعان فعل ذلك يجد بطرس فرصته فيقول كلمة ويعيد الميت للحياة بشكل كامل ويجعله يتكلم. ومنذ تلك الساعة بدأ الناس «يقدسون بطرس كإله».

تأتي ذروة القصة عندما يعلن سمعان للجماهير أنه سيبرهن قوته الفائقة بالطيران كطائر فوق تلال ومعابد روما. وعندما يحين موعد عمله الخارق يصدق في كلامه ويقلع طائراً كأحد الطيور. ولكي لا يهزم بطرس يدعو الله بصوت عالٍ ويحرم سمعان من قوته في أثناء طيرانه فيرتطم بالأرض وتنكسر رجله وتأتي الجماهير لينتقموا منه ويرجمونه بالحجارة حتى الموت كونه كاذباً مخادعاً. إن بطرس هو الذي يمتلك قوة الله الحقيقية.

ويمكن أن نعد الكثير الكثير من أمثال هذه القصص بسهولة. وهي في الواقع قد تعددت حيث أن رواة القصص المسيحيين لفقوا روايات أسطورية عن أبطال الدين العظماء في القرنين الثاني والثالث الميلاديين. وهكذا اخترعوا قصصاً «حول» بطرس. فهل زوروا كتابات أيضاً باسمه؟ يبدو أنه لاشك في أنهم قاموا بهذا الأمر أيضاً. ولا توجد شكوك كثيرة حول سبب اختلاقهم لمثل هذه الكتابات، وأكثرها من أجل السبب الذي مر معنا سابقاً.

وكان لمختلف المسيحيين إدعاءات أو وجهات نظر أو ممارسات أو نظريات لاهوتية منافسة وكلها بحاجة إلى «سلطة» رسولية لتدعمها وإن كتابة باسم بطرس يمكن أن تؤيد مجموعة آراء باسم شخصية «ذات سلطة» على أنه «المؤلف» أو القائل.

كتابات غير موثقة زورت باسم بطرس:

إنجيل بطرس:

إن أحد أهم الأناجيل التي أعيد اكتشافها في العصور الحديثة هو ما يسمى بـ «إنجيل بطرس». وأقول أعيد اكتشافه لأننا فعلاً عرفنا بوجوده منذ قرون قبل أن يكتشف في حفريات أثرية قريباً من نهاية القرن التاسع عشر. وكان مصدر معلومتنا القديمة هو يوسيبيوس (Eusebius). يدعى يوسيبيوس «أبا تاريخ الكنيسة» لأن كتابه ذا المجلدات العشر واسمه «تاريخ الكنيسة» كان أول كتابة روائية حول الكنيسة المسيحية القديمة. وفي هذا الكتاب يتتبع يوسيبيوس انتشار الحركة المسيحية من زمن يسوع وحتى زمانه هو في القرن الرابع.

يعتبر يوسيبيوس مصدراً قيماً للمعلومات للسنوات الثلاثمائة الأولى للمسيحية. ويعتبر كتابه «تاريخ الكنيسة» المصدر الوحيد الذي نملك لكثير من رواياته. وكما أقر العلماء فقد صح أن يوسيبيوس كثيراً ما كان يضع تعليقاته حول ما يرويه وله آراؤه الشخصية ونظراته اللاهوتية وخططه الخفية التي تملي عليه كيف يروي معلوماته وهو كثيراً ما «يبهّر» كلامه (يبالغ ويحور في بعض الأمور). لكنه يعتبر مصدراً قيماً عندما يقتبس حرفياً من مصادر سابقة كانت متوفرة لديه:

في تلك الحالات نحصل على مصادر أساسية محفوظة لنا من مؤلفين كانوا يعيشون قبل عصره ووصولاً مباشراً لمؤلفين مسيحيين سابقين ولولاه لفقدت كتاباتهم.

في المجلد السادس من كتاب «تاريخ الكنيسة» يروي يوسيبيوس قصة أسقف مهم من الكنيسة الكبرى في أنطاكية بسوريا قريباً من نهاية القرن الثاني وهو رجل اسمه سيرابيون (Serapion) تتعلق القصة بـ «إنجيل بطرس» ولحسن الحظ هي أحد الأمثلة التي يقتبس منها يوسيبيوس فعلاً مصدراً هاماً وهو كتابة يوسيبيوس ذاته. كأسقف لأحد أكبر المجتمعات في العالم المسيحي كان يوسيبيوس مشرفاً وله سلطان على كنائس قرى وبلدات المنطقة المجاورة بما فيها الكنيسة الموجودة في بلدة روسوس (Rhossus). ويشير يوسيبيوس أنه في إحدى جولاته لتفقد الكنائس زار روسوس ووجد فيها انقساماً في الجماعة. فعزا ذلك الانقسام إلى خلاف بسيط وعلم أنه ربما كان سبب ذلك أشياء في الإنجيل الذي كان مستخدماً في الكنيسة. لم يكن ذلك إنجيل متى ولا مارك ولا لوقا ولا يوحنا (وهي أناجيل لا يذكرها يوسيبيوس) ولكن «إنجيل بطرس». وكان جواب سيرابيون أن بطرس بالطبع كان من تلاميذ يسوع؛ فأي إنجيل كتبه يجب أن يكون مقبولاً بشكل كامل. وعلى هذا الأساس سمح للقساوسة في روسوس بالاستمرار في استخدامه.

لكنه فعل ذلك دون أن يقرأ الكتاب بنفسه. وعندما عاد إلى أنطاكية علم من عدة مخبرين أن الإنجيل في الحقيقة فيه مشكلة ـ فهو يحتوي على تعاليم مخالفة للشرع. وكان يستخدم بشكل خاص من قبل مجموعة مسيحية تعرف بـ (الدوستيين) الذين كانوا يقولون أنه بما أن المسيح إلهي (سماوي) بشكل كامل فلا يمكن أن يكون بشرياً كاملاً ولا يمكن أن يكون قد تألم وعذب (فالناس هم الذين يتألمون أما الإله فلا) فلماذا إذن «بدا» المسيح بشراً؟ حسب ما يراه معتقدو هذه الطائفة فقد كان ذلك كله وهماً أو خيالاً. فالمسيح لم يكن له جسد من لحم ودم ولم يعذب حقيقةً ولكن بدا للناس أنه كذلك.

قال الدوستيون (الخياليون) أن المسيح لم يكن مخلوقاً بشرياً في الحقيقة بطريقتين مختلفتين. بعضهم قال إن جسد المسيح فقط كان يظهر للناس أنه بشري لأنه في الواقع كان شبحاً (خيالاً) (مثل كاسبر الشبح الودود). والآخرون كانوا يرون الأمر بشكل أكثر تعقيداً. وقد زعموا أنه وجد رجل حقيقي اسمه يسوع (وهو من لحم ودم مثلنا جميعاً) ولكن كان هناك أيضاً مخلوق آخر عرف باسم

المسيح وقد كان المسيح كائناً مقدساً نزل من السماء إلى الأرض ودخل في يسوع عند تعميده (راجع فكرة الحمامة التي هبطت عليه ثم حلت بداخله) لتعطيه القدرة على فعل المعجزات وتسلمه التعاليم السماوية (الوحي).

وبعد ذلك، وقبل أن يموت يسوع، رفعه المسيح إلى وطنه السماوي. ولذلك ظن بعض الناس خطأً أن المسيح كان بشراً ومات فعلاً. لكن الذي مات هو يسوع فقط والمسيح كان سماوياً ولا يمكن أن يتألم أو يعذب.

وعندما علم سرابيون أن الإنجيل الذي أقره ربما يحوي تعاليم من طائفة الدوستيين (الخياليين) انزعج بالطبع ولذلك أحضر نسخة ليقرأها. وبالطبع توصل إلى أنه رغم كون معظم الوارد في الإنجيل صحيحاً تماماً (Orthodox) فإن بعض الأجزاء لم تكن كذلك. فقرر سيرابيون أن الكتاب مزور وكتب رسالة إلى مسيحيي روسوس يمنعهم من استخدامه وفيما يشبه الفهرسة أعطى روسوس قائمة بالمقاطع المخالفة.

ويقتطف يوسيبيوس شيئاً من الرسالة في كتابه «تاريخ الكنيسة» ولكنه لسوء الحظ لا يضمنها القائمة التي تحوي المقاطع التي اعتبرها موضع اعتراض، وهذا شيء مؤسف حقاً بالنسبة لإنجيل بطرس الذي تم اكتشافه في العصور الحديثة وبدون معرفة ما قاله كتاب يوسيبيوس عنه فمن الصعب أن نعرف ما إذا كان ما لدينا الآن هو الكتاب نفسه الذي كان عند يوسيبيوس.

حصل الاكتشاف الحديث في عام 1886 أو 1887 أثناء حفريات أثرية قرب مدينة أخمين في صعيد مصر. ويوجد في الشمال الشرقي من هذه المدينة ثلاث مقابر وخلال أشهر الشتاء عام 1886 أو 87 كانت مجموعة آثاريين فرنسيين من المشتغلين خارج القاهرة تنقب في القبور. وكشفوا قبراً لشخص اعتقدوا أنه راهب لأنه كان مدفوناً ومعه كتاب مقدس (والعلماء العصريون ليسوا متأكدين أنه كان راهباً فكل شخص يمكن أن يدفن ومعه كتاب مهم). وكان الكتاب نفسه مهماً للغاية فهو يبلغ ستاً وستين صفحة ومكتوب باللغة اليونانية على رق (جلد حيوان) ويحتوي على مقتطفات مختارة من أربعة نصوص. أولى هذه النصوص تحتل الصفحات العشر الأولى وهي إنجيل لم يكن معروفاً من قبل. (8).

هذا الإنجيل ليس نصاً كاملاً له بداية ووسط ونهاية. ويبدأ من منتصف القصة «... لكن لم يغسل أحد من اليهود يديه ولا هيرود أيضاً ولا أحد من قضاته، وبما أنهم لم يرغبوا بالغسل نهض بيلاتي (بيلاطس)». وما يأتي بعد ذلك هو رواية بديلة للمحاكمة والصلب وقيامة يسوع ـ وهي بديلة لأن القصة تختلف بشكل ملحوظ عما جاء في أناجيل العهد الجديد. ويمكن رؤية أحد الفروق الهامة في هذه العبارة الافتتاحية.

في العهد الجديد نجد فقط في إنجيل متى أن لدينا قصة بيلاطس وهو يغسل يديه عند محاكمة يسوع معلناً نفسه «بريئاً من دم هذا الإنسان» (الإصحاح 27: 24).

ولا يقول متّى أي شيء عن أي شخص آخر يغسل أو يرفض غسل يديه. لكن ذلك مؤكد هنا. ومن هم الذين لا يغسلون أيديهم. «اليهود» هيرود (الملك اليهودي) وقضاته (اليهود).

يزعم هذا الإنجيل بتوكيد أكثر من أناجيل العهد الجديد أن مسؤولية موت المسيح تقع على عاتق الشعب اليهودي وزعمائه. وهذا التأكيد المعادي لليهود هو جزء من توجه عام نستطيع رؤيته وهو يزداد وينمو في كل التراث المسيحي. ومع مرور الزمن تتراجع حقيقة أن الرومان قتلوا المسيح وتزداد فكرة أن اليهود وزعماءهم هم الملومين. وذلك لا يمكن رؤيته ببساطة بالنظر إلى أناجيل العهد الجديد بالترتيب الزمني.

أقدم إنجيل لدينا وهو إنجيل مرقس يبدو أنه يلمح إلى أن قرار قتل المسيح يشترك فيه الزعماء اليهود والحاكم الروماني بيلاطس (رغم أنه حتى يد بيلاطس يبدو أنها أقحمت). وعندما نأتي إلى إنجيل لوقا الذي كتب بعد ذلك نجد بيلاطس فعلاً يبرئ يسوع ثلاث مرات ـ ولذلك فإن غلطة موته تقع على القادة اليهود الذين يطالبون بها. وإنجيل متّى الذي كتب حوالي نفس الزمن الذي كتب فيه إنجيل لوقا، فيه أن بيلاطس غسل يديه ليعلن أنه بريء من سفك دم يسوع. ويعلن الشعب اليهودي سيء السمعة (وهذا فقط في إنجيل متّى) قائلين: «ليكن دمه علينا وعلى أبنائنا» (الإصحاح 27: 25).

وبمعنى آخر فبالنسبة لمتّى الشعب اليهودي راغب في قبول المسؤولية وتبعاتها حول موت يسوع ونقل المسؤولية إلى ذريتهم بعدهم. وهذه العبارة بالطبع

أدت إلى أعمال رهيبة من معاداة السامية لدى المسيحيين حتى العصور الوسطى وحتى يومنا الحاضر.

ويذهب إنجيل يوحنا، وهو آخر أناجيلنا المعترف بها، خطوة أبعد حيث يقول إن الشعب اليهودي رفضوا أن يكون يسوع ملكاً عليهم وأعلنوا قائلين: «ليس لنا ملك إلا قيصر» (رغم أن الله نفسه كان سيصير ملكاً عليهم). وبعد ذلك يقول يوحنا أن بيلاطس «سلم يسوع لهم كي يصلب» (الإصحاح 19: العدد 16) وفي هذا التشويه للحقيقة التاريخية فإن اليهود أنفسهم هم الذين قتلوا يسوع فعلاً.

وهكذا ومع مرور الوقت ومن داخل التراث المسيحي نجد أن بيلاطس يصبح بريئاً بشكل متزايد في قضية موت يسوع والشعب اليهودي وقادته يصبحون مذنبين بشكل أكثر فأكثر. إن إنجيل بطرس هو أحدث حتى من إنجيل يوحنا وهنا يزداد التركيز على مسؤولية اليهود.

الآن ليس الحاكم الروماني بيلاطس هو الذي يأمر بصلب يسوع بل الملك اليهودي هيرودس: «ثم أمر الملك هيرودس بأن يؤخذ الرب بعيداً وقال لهم (افعلوا كل ما أمرتكم به نحوه)». (العبارة 2).

وفي آيات أخرى من هذه الرواية تزداد شدة إيذاء اليهود ليسوع فالسلطات اليهودية تصلب يسوع ثم تزيحه عن الصليب. والمؤلف متأكد تماماً أنهم هم المخطئون فيقول: «لقد أنجزوا كل شيء وأتموا كل المعاصي على رؤوسهم» (الآية 17).

والأهم من ذلك أيضاً أن الشعب اليهودي يدركون أن ما قاموا به خطأ وأنهم سيعاقبون عليه: «ثم إن اليهود والكبراء والقسيسون أدركوا كم جلبوا لأنفسهم من الذنوب وبدؤوا بضرب صدورهم قائلين: (يا ويلنا مما أذنبنا. إن القيامة ونهاية أورشليم / القدس/ قد اقتربت)».

وفي هذا إشارة إلى فكرة وجدت بين المسيحيين في القرن الثاني وما بعده، أنه عندما هدمت جيوش الرومان مدينة القدس عام 70م بعد ثورة يهودية فذلك لم يكن لأسباب سياسية أو حربية بل لأسباب دينية. لقد هدمت القدس وأحرق المعبد اليهودي عن آخره كعقوبة إلهية لليهود بسبب معصيتهم في قتل مسيح الله. هنا في «إنجيل بطرس» يقر اليهود أنفسهم بذنبهم وبعقوبتهم الوشيكة.

بالإضافة إلى الصبغة المعادية لليهود في هـذه الرواية يوجد عـدد مـن ملامـح أسطورية مهمة أخرى. في أناجيل العهد الجديد يصلب مع يسوع شخصان آخران كـما يحدث هنا. ولكن في هذا الإنجيل نجد حادثة غريبة فعندما يقـوم الأشـخاص الـذين صلبوا يسوع بالمقامرة لأخذ ملابسه يقول لهم أحد «الأشرار» الذين صلبوا معه، حاقداً عليهم: «لقد عذبنا بهذا الشكل للشرور التي فعلناهـا، لكـن هـذا الـشخص، مخلـص الناس، ماذا أذنب بحقكم؟» فيغضب الجنود على الرجل ويأمرون قائلين: «لا تكسروا رجليه حتى يموت وهو في العذاب» (الآيات 14 ـ 15) (9).

والفكرة هي أن الشخص المصلوب يموت بسرعة أكبر إن لم يستطع أن يدفع نفسه للأعلى برجليه ليخفف الضغط عن رئتيه ويتنفس ويعدم كسر رجلي المجرم فإن عذابه يطول أكثر.

إحدى القضايا الكبرى لهذا الإنجيل هي ما إذا كان يسوع نفسه يعاني من أي ألم. في العدد (الآية 11) نقرأ أن يسوع كان «صامتاً كأنه لم يشعر بألم» فهل يمكـن أن تكون هذه الآية إحدى الآيات التي وجدها سيرابيون قابلة للاعتراض؟ وأن يسوع بدا أنه لم يجد ألماً لأنه في الحقيقة لم يحس بأي ألم؟ وأن جسده كان وهماً أو خيالاً؟

وفي آية لاحقة نجد شيئاً محيراً بشكل مماثل لهذا السؤال. فعندما كـان عيـسى على وشك أن يموت وبدلاً من أن يصرخ قائلاً: «إلهي، إلهي لماذا تركتني؟» كما جـاء في إنجيل مرقس (إصحاح 15 ـ آية 34) وبدلاً من ذلك هو ينادي قائلاً: «يا قوتي، يا قوتي لماذا تركتني ورائك!» ثـم يقـال لنـا: «عنـدما قـال (يـسوع) ذلـك أخـذ إلى السماء». ألا يبدو هذا مثل النوع الآخر من المذهب الخيالي، النوع الذي نجد فيـه ان المسيح يترك يسوع البشري يموت وحده؟ (10).

المقطع الذي يذهلنا جداً من هذا الإنجيل نجده في النهاية وهو مقطـع يقـدم لنا شيئاً لا نجده أبداً في أناجيل العهد الجديـد وهـو وصـف لعمليـة القيامـة (مـن القبر). وكما أشرت في الفـصل الأول فـإن الأناجيـل المعـترف بهـا لا تـروي قيامـة يـسوع. بل نجد في قصصهم أن عيسى يـصلب ويمـوت ويـدفن وفي اليـوم الثالـث تذهب النسوة إلى القبر ويجدنه خالياً. ولكن لا توجد قصة في أناجيل العهد الجديـد عن يسوع يخرج من قبره حياً. لكن إنجيل بطرس فيه مثل هذه القصة.

وكما يحدث في إنجيل متى دون الأناجيل الأخرى المعتمدة، فإن حارساً عين على قبر يسوع ليتأكدوا ألا يأتي أحد ويسرق الجثة. ولكن ليس كما في إنجيل متى نجد في إنجيل بطرس سلسلة غريبة جداً من الأحداث تقع بينما الحراس ينظرون، تنفتح السماء ويهبط «رجلان» وفي هذه الأثناء يتدحرج الحجر الموجود أمام القبر إلى الطرف ويدخل الرجلان السماويان داخل القبر.

وينطلق الجنود مذعورين لإيقاظ رئيسهم (قائد كتيبتهم) وإخباره بما جرى. ولكن بينما كانوا يتحدثون نظروا إلى الأعلى ورأوا ثلاثة أشخاص خارجين من القبر. كان اثنان منهم بالغي الطول حتى أن رؤوسهما بلغت السماء. والشخص الذي كانا يسندانه ـ وواضح أنه يسوع ـ كان أطول منهما أيضاً، فإن رأسه وصل أعلى من السماء. وبعد ذلك يخرج من خلفهم الصليب ذاته خارج القبر. ويأتي صوت من السماء يسألهم: «هل بلغت أولئك النائمين؟» ويجيب الصليب: «نعم» ولذلك عند القيامة لدينا يسوع ضخم ولدينا صليب يمشي ويتحدث.

المقصود من هذه الرواية بالطبع أن تكون رمزية تماماً. فالكائنات السماوية تصور غالباً بأنها ضخمة في النصوص القديمة. وعيسى هو الأطول بما أنه الأكثر قداسة. ويقال إن الصليب أذاع رسالة وهي أنباء الخلاص القادم إلى أولئك «النائمين» أي إلى أولئك الذين ماتوا سابقاً وينتظرون مجيء الخلاص إليهم.

ويستمر الإنجيل بالإشارة إلى أن السلطات اليهودية تذهب إلى بيلاطس وتحثه على كشف القصة بأن يأمر الجنود ألا ينبسوا ببنت شفة عما شاهدوه. ثم تأتي رواية النسوة اللاتي يذهبن إلى القبر لكي يدهنوا جسد يسوع بالزيت ويفاجئون بأنه قد رفع. تلاميذ يسوع ما يزالون حزينين على ما حدث غير عارفين بقيامته. ثم نجد الجمل الأخيرة من الإنجيل: «لكننا، نحن التلاميذ الاثني عشر للرب بكينا وحزنّا، ورجع كل واحد منا إلى بيته، آسفين على ما جرى ولكني أنا ـ سمعان بطرس وأخي أندراوس (Andrew) أخذنا شباكنا وانطلقنا إلى البحر ومعنا كان لاوي (Levi) والابن ألفيوس (Alphaeus) الذي... الرب...» (الآيات 59 ـ 60) وهنا تنتهي الرواية تماماً في منتصف الجملة.

السبب الذي من أجله يبدو أن الرواية بدأت في منتصف الفكرة وتنتهي بالتحديد في منتصف الجملة هو أن الشخص الذي ابتدع هذا الكتاب ذا الصفحات

الست والستين - وربما في القرن السادس - كان لديه تقرير مجزأ أمامه. ومن المستحيل القول إن كان إنجيل بطرس الكامل يحوي قصصاً عن ولادة يسوع وحياته وتكريسه وتعاليمه ومعجزاته وما شابه ذلك قبل الكلام عن آلامه وقيامته. وما هو واضح من العدد الأخير (الآية الأخيرة) هو أن هذا الإنجيل، بخلاف الأناجيل في العهد الجديد، مكتوب بصيغة المتكلم. ويقول المؤلف إنه بطرس. ولكن يستحيل أن يكون بطرس. هذا مؤلف يدعي أنه شخص آخر. وهذا تزوير.

والسبب أن سمعان بطرس لا يمكن أن يكون قد كتب هذه القصة هو أنها تعود بالتأكيد إلى القرن الثاني بعدما مات بطرس بستين سنة على الأقل. وفعلياً يتفق كل العلماء على هذا لأسباب مؤكدة. أحد الأسباب هي أن العداء الشديد للسامية يناسب وجوده أكثر في القرن الثاني عندما أصبح شائعاً مثلاً عند المسيحيين لوم خراب القدس على اليهود أنفسهم بسبب قتلهم ليسوع. إضافة لذلك هناك جوانب أسطورية جداً للقصة مثل اللص الذي لم تكسر رجلاه، ويسوع العملاق والصليب الذي يتكلم. هذه الأمور أيضاً تشير إلى أن القصة رويت لاحقاً. ويدور الجدل بين العلماء حول ما إذا كان مؤلف الإنجيل توصل إلى قصص متى ومرقس ولوقا ويوحنا فهناك تطابقات كثيرة مع واحد من الأناجيل أو أكثر في القصة كلها. فإذا كان قد استخدمها فمن الواضح أنه كتبها بعدهم أي أنه كتبها فور بداية القرن الثاني.

كما يناقش العلماء ما إذا كان إنجيل بطرس هذا هو نفسه الذي كان معروفاً لدى سيرابيون. لحد ما كان النقاش حول ما إذا كانت الرواية هي رواية دوستية حقاً لأن الإنجيل الذي وصفه سيرابيون كان كذلك بالتأكيد على الأقل في عيني سيرابيون. لدى بعض العلماء شكوكهم. فعندما يقال إن يسوع كان صامتاً على الصليب «كما لو» أنه لم يشعر بالألم فهذا في الحقيقة ليس الشيء نفسه وغالباً ما تجري المناقشات على أن ذلك يعني كما لو قلنا إنه لم يحس بالألم. وعندما يقال: «إنه رفع» قد لا تعني أن المسيح ترك يسوع. فمثلاً ما يزال يسوع يملك جسداً، وقدرة سماوية عند قيامته من القبر. لذلك فإن العبارة التي تتحدث عن أخذه إلى السماء ببساطة قد تكون طريقة ثانية لقولنا «إنه مات».

رأيي الشخصي هو أن الإنجيل لا يحتاج أن يكون كما يراه الدوسيتيون (الخياليون) ليكون الإنجيل الذي ذكره سيرابيون. وقد اعترف سيرابيون أن معظم الإنجيل مستقيم تماماً لكنه وجد بعض «الإضافات» المزعجة والتي يمكن أن يستخدمها المسيحيون الخياليون.

وهذا الإنجيل بالتأكيد يلائم تلك الوثيقة. إنها على العموم مقبولة تماماً من منظور أرثوذكسي دوستاني (خيالي) لكن عدة أعداد (آيات) ربما يسهل اعتبارها قراءة دوستية (خيالية). وهذا سيتضمن الرواية الرئيسية لخروج يسوع من القبر حيث يبدو وكأنه يملك كل شيء إلا الجسد الحقيقي الذي عاني لتوه من آلام الصلب! سواء كان هذا إنجيل سيرابيون أم لا فإنه بالتأكيد إنجيل لبطرس. وهو بلا شك يستمد شرعيته من اسم أقرب تلاميذ يسوع لحد ما ليجعل رواياته المعادية لليهودية التي لا تصدق تبدو معقولة تماماً. لكن بطرس لم يكتب ذلك الإنجيل. إنه تزوير باسم بطرس وهو ليس التزوير الوحيد. (11).

رسالة بطرس:

إن كثيراً من العلماء اعتقدوا بأن الكنيسة المسيحية الأولى كانت منقسمة بشكل حاد. فمن طرف كان هناك الأتباع اليهود ليسوع كأخيه جيمس (يعقوب)، الذي كان رئيس الكنيسة في القدس، والتلميذ بطرس. وفي الطرف الآخر هناك أناس مثل التلميذ بولس الذي ركز على إدخال (غير اليهود) في الدين المسيحي. في هذه الخطة يعتقد أن جيمس (يعقوب) وبطرس كانا أكثر «صدقاً» مع رسالة يسوع الأصلية، وأن إله إسرائيل هو الذي جلب الخلاص للذين حفظوا تعاليمه كما هي موجودة في الشريعة اليهودية. بالنسبة لهؤلاء المسيحيين الأوائل كان يسوع هو المسيح اليهودي (مسايا) المرسل من عند الله إلى الشعب اليهودي تحقيقاً للشريعة اليهودية. وبالطبع أن يكون الشخص متبعاً لهذا المخلص اليهودي فلابد أن يكون يهودياً. وبالطبع كان غير اليهود يتم الترحيب بهم بأذرع مفتوحة ولكن إذا دخلوا في الدين اليهودي فقط. بالنسبة للرجال كان ذلك يعني أن يتم تطهيرهم (ختانهم)، وبالنسبة للرجال والنساء كان ذلك يعني أن يلتزموا بمراعاة يوم السبت واتباع النظام الغذائي اليهودي (كعدم أكل لحم الخنزير والأشياء الأخرى المحرمة في اليهودية) واتباع الشرائع اليهودية الأخرى.

بهذا المفهوم علم بولس شيئاً مختلفاً تماماً وعلـم بـأن الإيـمان بمـوت وقيامـة المسيح هو الطريقة الوحيدة للوقوف بشكل صحيح أمام الله. وأكثر من ذلـك فـإن هذا الخلاص ينطبق بشكل متساوٍ على اليهود وعلى الأمميين (غير اليهود) ولذلك لا يشترط أن يكون المرء يهودياً حتى يعتبر من أتباع يسوع. وبالنسبة لبولس، وفقاً لهذا الرأي، فإن الشريعة قد ذهبت وباستطاعة اليهود أن يحافظوا عليها إن اختاروا ذلك (وكيهودي فهو نفسه قد حافظ عليها).

ولكن غير اليهود لا يفترض بهم أن يحـافظوا عليهـا، كـان هـذا هـو الـشرع القومي للإسرائيليين وليس له علاقة بهذا الخلاص. وحده موت يسوع وقيامته (من القبر) يمكن أن يجلب النجاة. فعن طريق بولس إذن امتلأت الكنيسة لحد كبير مـن غير اليهود الذين لم يروا أنفسـهم كيهود والذين عبدوا إله إسرائيل دون إتباع شرعه.

ولا أجد من الواجب علي هنا أن أقيم هذا الفهم الشائع للعلاقة بـين بـولس والحواريين الآخرين قبله وخصوصاً جيمس (يعقوب) وبطرس. لكنني أريد أن أقـول أن هذه الفكرة القائلة بأن هناك فصاماً بين أرائهم ليست مجرد فكرة حديثة. بل إنهـا تعود إلى أقدم فترات المسيحية. فمـن الناحيـة التاريخيـة صـحيح أن بـولس أسـس الكنائس المكونة مـن غـير اليهـود وأنـه أصر أن لا يراعـي المتـسبون لهـا الـشريعة اليهودية. وهذه حالة يؤكد عليها بشدة كما في رسالته لأهل غلاطية (وهي الكتـاب التاسع في العهد الجديد). بالنسبة لبـولس أي إنـسان غـير يهـودي يحـاول الالتـزام بالشريعة لم يفهم تماماً أن الخلاص يأتي مـن مـوت يـسوع فقـط، وأن يتلقـى ذلـك بالإيمان. إن الالتزام بالشريعة هو أسوأ من كونه غير وارد، إنه اعـتراف بـأن مـوت المسيح لم يكن كافياً للنجاة والخلاص (أنظر الإصحاح رقم 2: 15 ـ 16 و 21).

وفعلاً اختلف مسيحيون آخرون، وكان كثير منهم خصوم بولس في كنائسه المتعددة. وفـيما بعـد أي في القـرن الثـاني الميلادي اسـتمر وجـود مجموعـات مـن المسيحيين اليهود الذين أصروا على وجوب اتباع الشريعة من قبل أي شخص يريـد الانتماء إلى شعب الله. أرسل الله الشريعة ولم يغير إرادته. لقـد كانـت الـشريعة هـي التي أخبرت الناس كيف يحيون وهي الشريعة التي بـشر بهـا يـسوع نفـسه وطبقهـا وهي الشريعة التي يجب اتباعها خصوصاً من قبل أتباع المسيح.

هذا الانقسام في الكنيسة القديمة بين ما يعتبر (حالياً) الأقلية من المسيحيين اليهود والأغلبية السائدة من غير اليهود لا يمكن رؤيتها بشكل أوضح من كتابة مزورة باسم بطرس تدعى «رسالة بطرس» (12).

ولا ينبغي أن نخلط بين الرسالتين 1 و 2 لبطرس في العهد الجديد. وهذه كتبت بعد سنوات من إتمام كتابة العهد الجديد.

«رسالة بطرس» وجدت كنوع من التقديم لمجموعة كتابات يسميها العلماء «Pseudo-Clementines» وكما نستشف من اسمها العلمي فهذه المجموعة من الكتابات تدعي كذباً أنها كتبت من قبل كليمنت Clement والذي ـ كما رأينا سابقاً ـ كان يظن بأنه أسقف أو بابا روما الرابع والذي تم تعيينه في منصبه من قبل بطرس ولا أحد غيره. هذه الكتابات لها تاريخ أدبي معقد جداً. ولأكثر من قرن ناقش العلماء ما هي المصادر التي استخدمتها تلك الكتب وما هي علاقة بعضها مع بعض وأسئلة فنية أخرى. لكن الميزة الأساسية لهذه الكتابات واضحة.

فهي روايات عن رحلات ومغامرات كليمنت وخصوصاً عندما يدخل في المسيحية من طريق تبشير بطرس ثم يتنقل مع بطرس وهو ينشر الإنجيل ويلقي خطباً ويفعل الخوارق (المعجزات). وهذه الخوارق تتضمن منافسات مع المرتد الكبير سمعان الساحر الذي ذكر في مكان سابق (من هذا الكتاب): «أعمال الرسول بطرس» ربما كانت إحدى مصادر هذه القصص.

كتب كليمنت يبدو واضحاً أنها لم تكتب من قبل كليمنت (المعروف تاريخياً) إلا بعد موته بمدة طويلة رغم أنه كثيراً ما يدعى بأنه رواها بنفسه بصيغة المتكلم. ولذلك فهي مزورة. في إحدى المجموعات من هذه الكتب يتم التمهيد لمغامرات كليمنت بـ «رسالة بطرس» وهي رسالة يفترض أن بطرس كتبها لأخ عيسى المسمى جيمس (يعقوب) رئيس الكنيسة في مدينة القدس. توجه الرسالة جيمس أن لا يسمح بإيصال كتابات بطرس إلى أي شخص لأنها قد يساء فهمها أو تبدل، ويسمح له بتبليغها فقط إلى مجموعة مختارة من الأشخاص الثقات. المؤلف (بطرس) يهاجم المسيحيين الذين يترجمون رسالته على أنها تقول إن الشريعة اليهودية لم تعد نافذة المفعول. ويقول المؤلف وهذا كذب تماماً لأن يسوع نفسه أشار قائلاً: «لن يزول من

الشريعة أي حرف أو أصغر من ذلك» وأنها ستبقى صالحة طوال الدهر (انظر إنجيل متّى الإصحاح 5: 17 ـ 20). وحسب ما جاء في هذه الرسالة فإن أحد خصوم بطرس بالتحديد قد دفع «غير اليهود» لكي يرفضوا «تعاليم بطرس الشرعية» وأن يفضلوا عليها «عقيدة غير شرعية وغبية للرجل الذي هو عدوي».

ولا يحتاج المرء لكثير من التفكير حتى يعرف من هو الخصم الذي يعادي ويخالف بطرس. إنه شخص يبشر ويدعو غير اليهود ويصر على إنجيل بعيد عن الشريعة اليهودية («عقيدة غير شرعية» ويدعي أن بطرس نفسه يقر هذه النظرة (انظر غلاطية 2). وبدون أن يسميه بطرس فإن المؤلف يتكلم عن بولس.

لدينا هنا فكرة متضاربة تماماً عما نجده في بعض كتابات العهد الجديد (13). في تاريخ الكنيسة القديمة الموجود في كتاب أعمال الرسل مثلاً نجد أن بطرس وبولس يتفقان اتفاقاً تاماً ويوافقان على كل أمر جوهري ويقفان متساندين في مهمة نشر الإنجيل والأهم من ذلك فهما من كل قلوبهما يتفقان على أن الأمم غير اليهود لا يشترط أن يكونوا يهوداً حتى يكونوا أتباعاً ليسوع (انظر أعمال الرسل الإصحاح العاشر حتى الحادي عشر والخامس عشر) لكن ليس الواقع كذلك بالنسبة لمؤلف «رسالة بطرس»، فهنا خلاف واضح بين بطرس حواري يسوع المقرب جداً وبولس المتطفل الذي أساء فهم بطرس. إن بولس قد أساء فهم الإنجيل.

هذا إذن مؤلف رأى بولس على أنه العدو واعتبر عقيدته «الباطلة والغبية» هرطقة وردّة. بالنسبة لهذا المؤلف لم يختلف بولس مع بطرس فقط بل كان مخطئاً. وعلى أي أساس يدعي المؤلف هذا؟ إنه يفعل ذلك بناء على سلطة بطرس نفسه. المؤلف زور رسالة باسم بطرس لكي يثبت فكرته.

رؤيا بطرس:

لن أتكلم مطولاً في هذا الكتاب عن كيفية حصولنا على كتب العهد الجديد السبعة والعشرين أي كيف تمت صياغة القانون الكنسي وكيف تمت إضافة بعض الكتابات لقائمة النصوص الشرعية وكيف تركت نصوص أخرى. وهناك العديد من الكتب الأخرى التي تصف هذه العملية بالتفصيل (14). مع ذلك يمكنني القول أنه كانت هناك بعض الكتابات التي تعتبر «نداء قريباً» والتي كادت أن تضم

لكن ذلك لم يتم. كما أن كتباً أخرى كادت أن تترك لكنها في النهاية قبلت. وأحد الكتب التي قبلت يسمى «رؤيا بطرس» (15).

ونعلم من بعض المؤلفين كيوسيبيوس (Eusebius) أنه كانت هناك طوائف (جماعات) مسيحية ترجع إلى القرن الرابع ممن كانوا يعتقدون أن «رؤيا بطرس» يجب أن تضم إلى الكتب المعتمدة في الأناجيل إما بدل رؤيا يوحنا (أي كتاب الرؤيا / الكشف/)، والذي انتهى به الأمر إلى القبول كما هو معلوم أو بالإضافة له (أي الكتابان مع بعضهما) (16).

لكن رؤيا بطرس مختلفة تماماً عن رؤيا يوحنا. كلا الكتابين هما رؤى يكشف للمؤلف فيها عن معلومات سرية حول أمور غامضة يمكن أن تعطي معنى للحقائق الدنيوية الأرضية. في العهد الجديد نجد أن رؤيا يوحنا لها علاقة بمجرى التاريخ المستقبلي الذي سينجلي ويتحقق في الدنيا كما سبق تقديره في السماء. وفي رؤيا بطرس غير المقرة قانونياً (حسب الكنيسة) تتعلق هذه الرؤيا بمصير الأرواح في الحياة القادمة بعد الموت. ويصف هذا الكتاب رحلة شخصية منحت لبطرس إلى عالم الأبرار وعالم الملعونين (الأشرار).

معظم القراء لديهم اطلاع على فكرة جولة في الجنة والنار من كتاب دانتي المسمى «الكوميديا الإلهية». إلا أن دانتي لم يخترع هذه الفكرة. إنما وقف في صف طويل من المؤلفين الذين استخدموا هذا الموضوع لرحلة إلى الدار الآخرة لتأكيد ما يريدونه من أفكار مهمة حول الحياة هنا في الدنيا. وأقدم مثال من هذا النوع من الكتابات هو رؤيا بطرس.

هنا مرة ثانية علمنا بكتاب قبل أن يظهر بقرون. وكما يتضح كان هذا الكتاب آخر للنصوص الأربعة التي وجدت في الكتاب ذي الصفحات الست والستين الذي اكتشفه المنقبون الآثاريون بالقرب من أخميم في مصر عامي 1886 و 87. ومن ذلك الوقت وجدت نسخة أثيوبية تعطي تفصيلاً أوفى.

تبدأ الرواية ببطرس والحواريين وهم يتحدثون عن يسوع على جبل الزيتون (انظر إنجيل مرقس 13). إنهم يسألون يسوع عما سيحدث عند نهاية العالم، وهو يزودهم بوصف موجز. لكن المناقشة تتحول إلى وصف مع بعض التفصيل التصويري لما سيحدث للنفوس بعد المهات إما في مكان التعذيب أو في مكان السعادة الخالدة. وكما

يجري أحياناً في هذه الجولات الشخصية إلى الجنة والنار فإن وصف عوالم المنعمين يكون نمطياً ومقتضباً. فهناك في النهاية فقط طرق كثيرة تستطيع أن تصف بها السرور الأبدي المستقر. إنها «مدهشة». ماذا يمكن للمرء أن يقول أكثر من ذلك؟

أما عوالم الملعونين فهي قضية مختلفة جداً. وأي شخص لديه إبداع وخيال يمكنه أن يخترع أوصافاً رهيبة ومفصلة لأنواع عذاب المذنبين.

في رؤيا بطرس يتم تعذيب المجرمين بطرق مختلفة تتناسب مع ذنوبهم بحيث تكون العقوبة ملائمة للذنب الذي ارتكبوه فالناس الذين كانوا يجدفون على الله مثلاً، أي أنهم ارتكبوا معصية بما قالوا، يعلقون من ألسنتهم فوق نار أبدية. والنسوة اللاتي كن يضفرن شعرهن لكي يكن جذابات للرجال ويغووهم فإنهن يعلقن من شعورهن فوق نار خالدة. والرجال الذين تم إغواؤهم يعلقون من جزء «آخر» من أجسامهم فوق اللهب. في هذه الحالة يصرخ الرجال كما يمكن أن تتصورهم قائلين: «لم نكن نعلم أن الأمر سيصل إلى هذا الحد!».

إن الرسالة البليغة لهذا الكتاب واضحة تماماً وليست خافية على الإطلاق: إذا كنت تريد التمتع بنعيم الجنة المذهل وتتجنب عذاب النار الرهيب فلا تذنب! هذه الرسالة تنقل حقيقة موثوقة لا يمكن دحضها، كيف نعلم هذا؟ لأن شخصاً شاهد تلك العوالم حول العصاة وأخبرنا وهو اليد اليمنى ليسوع أي بطرس بالذات. ولكي يوصل فكرته يكتب المؤلف بصيغة المتكلم -ليس باسمه الشخصي ولكن باسم الحواري الأساسي. هنا أيضاً لدينا حالة تزوير باسم بطرس.

كتابات «بطرسية» في العهد الجديد:

إن الكتب التي تحدثت عنها هنا بشيء من التفصيل وهي أعمال الرسل وإنجيل بطرس والكتابات المنتحلة عن كليمنت ورسالة بطرس ورؤيا بطرس ليست الاختلاقات الوحيدة حول بطرس والكتابات التي ادعي كذباً أن بطرس هو كاتبها منذ عهد الكنيسة القديمة.

لقد كان هناك كتابات أخرى مثل «أعمال» أخرى عن بطرس ومجموعة تدعى «التبشير» لبطرس واثنتان من رؤى بطرس. وهذه فقط الكتابات التي ما زالت لدينا حالياً. ولا أحد يعلم كم كان موجوداً منها.

إن إنتاج كتب باسم بطرس كان صناعة ريفية افتراضية في الكنيسة القديمة.

هل يمكن في ضوء هذا الاستخدام الكثير لاسم بطرس لتوثيق آراء أناس آخرين أن كثيراً من حالات التزوير باسم بطرس نجحت في أن تدخل في العهد الجديد؟ وكما يتبين فإن اثنين من الكتب يحملان اسم بطرس وهناك أيضاً الرسالة بطرس 1 وبطرس 2. وكلاهما يدعى أنهما مكتوبتان من قبل بطرس لكن هناك أسباب قوية لاعتقاد أن بطرس لم يكتب أياً منهما.

رسالة بطرس رقم 1:

هناك زعم بأن هذا الكتاب تمت كتابته من قبل «بطرس، أحد حواريي يسوع المسيح» إلى المسيحيين الذين يسميهم «المتغربين من الشتات» في خمس مقاطعات في القسم الغربي مما يعرف الآن باسم تركيا (17).

ولاشك أن المؤلف يدعي أنه أقرب حواريين يسوع، بطرس. «بطرس» لم يكن اسماً شخصياً له قبل أن يسميه به يسوع نفسه كدعاء تحبب. وحسبما جاء في الأناجيل كان اسمه الحقيقي هو سمعان (Simon) لكن يسوع أشار إلى أنه سيكون «الصخرة» التي ستقام عليها الكنيسة ولذلك سماه «الصخري» أو «بطرس» (انظر إنجيل متى 16: 13 ـ 18). (18). وعلى حد علمنا لم يكن هناك أشخاص آخرون باسم بطرس حتى عصور متأخرة عندما بدأ المسيحيون يسمون أبناءهم باسم الرسول الكبير. لذلك فإن مؤلف بطرس رقم 1 هو بالتأكيد يدعي أنه «ذلك» البطرس، ويؤيد ذلك تعليقه في الإصحاح 5: 1 أي أنه كان شخصياً «شاهداً على آلام المسيح» (19).

مسألة الآلام هي الموضوع الرئيسي للرسالة. وفي الحقيقة فإن كلمة «آلام» ترد كثيراً في هذه الرسالة القصيرة المؤلفة من خمس فصول أكثر من أي كتاب آخر في العهد الجديد بأكمله بما فيها الأناجيل التي هي أطول منها بكثير. يفترض المؤلف أن قارئيه بالذات يخضعون للاضطهاد وأنهم سيعانون المزيد في المستقبل. ويقول لهم «الآن لفترة قصيرة عليهم أن يتحملوا محناً عديدة». ولكن ذلك سيكون خيراً لأنه من خلال «فتنتهم» سيمحص إيمانهم ويصبح «أغلى من الذهب أي أنه سيختبر بالنار» (1: 6 ـ 7). ولذلك فعليهم ألا «يندهشوا للمحنة المحرقة القادمة...» وكأن

شيئاً غريباً يحدث» لكن عليهم أن «يفرحوا» لأنهم «يشاركون المسيح آلامه» (4: 12 ـ 13).

تناقش العلماء لفترة طويلة حول نوعية الألم (العذاب) الذي كان في ذهن المؤلف. كانت النظرة القديمة هي أن المؤلف كان يتعامل مع أنواع العذاب الرسمي الحكومي كما حصل عندما سجن الإمبراطور نيرون وعذب المسيحيين في مدينة روما عام 64 ميلادية وهو يلومهم على إشعال النار الرهيبة التي دمرت قسماً كبيراً من المدينة، وهي نار ربما أشعلها رجاله أنفسهم. ولكن خلال السنوات العشرين الماضية أو ما يقرب من ذلك بدأ العلماء يؤكدون أن كتاب (رسالة) بطرس رقم 1 لا تقول شيئاً كثيراً حول التعذيب «الرسمي» حيث قبض على المسيحيين وحوكموا بسبب عقيدتهم واستشهدوا. بدلاً من ذلك يبدو أن المعارضة تأتي من أصدقاء سابقين وجيران لا يفهمون ولا يقدرون النمط الجديد لحياة المسيحيين التي ابتعدت عن الاحتفالات المرحة للديانات الوثنية (4: 1 ـ 5). أي أن المسيحيين توقفوا عن حضور الاحتفالات الوثنية ليشكلوا مجتمعاتهم السرية الخاصة وانزعج الوثنيون وتشككوا وصاروا مبغضين لهم مما أدى إلى معارضة محلية للمسيحيين والتي يمكن أحياناً أن تتحول إلى شيء كريه.

إذا كانت هذه هي القضية فيمكن أن تفهم أن المؤلف يؤكد لقرائه أنه من الضروري أن يكونوا مطيعين لحكومتهم وحكامهم الذين يحكمونهم (2: 13 ـ 15) وأن يظهروا سلوكاً حسناً بين الأغراب (2: 12) وأن يكونوا خدماً وزوجات وأزواجاً أوفياء (2: 18 ـ 3: 7) وألا يفعلوا شيئاً يبرر أي مقاومة بل عليهم أن يصبروا فقط ويفعلوا ما هو صحيح (2: 20).

إن قدراً كبيراً من الحث والتشجيع لقرائه يعتمد على ترجمة محرفة لمقاطع رئيسية من العهد القديم يتم اقتباسها طبعاً باللغة اليونانية وهي ما يدعى بالسبعونية (جاء وصف لأصولها الأسطورية في «رسالة أرستياس Aristeas» التي تمت مناقشتها في الفصل الأول) كما يمكن أن نلاحظ مثلاً في الإصحاحات: 1: 24 ـ 25 و 2: 3 و 6 ـ 9 و 22 و 24 ـ 25 و 3: 10 ـ 12.

ينهي المؤلف نصحه للقراء بأن يكونوا ثابتين في وجه المحنة بالإشارة إلى أنه قد كتب هذه الرسالة «عن طريق سيلفانوس Silvanus أحد الإخوة المؤمنين» (أي

مسيحي صادق) وبإرسال تحياته من التي «هي موجودة في بابل والتي هي مختارة» (5: 13).

لقد أدرك العلماء منذ مدة طويلة ما تعنيه هذه العبارة الأخيرة. كانت بابل التي كان الناس في أوساط اليهود يرونها عدوة شديدة لله لأنها كانت بابل التي سبق أن هزمت يهوذا وهدمت القدس ومعبدها في القرن السادس ق.م.

وبنهاية القرن الأول بدأ المسيحيون واليهود يستخدمون كلمة «بابل» ككلمة سرية للمدينة التي كانت عدوة لله في أيامهم وهي مدينة روما التي حطمت أيضاً القدس ومعبدها في سنة 70م (انظر مثلاً كتاب الرؤيا 14: 8 و 17: 5). المؤلف إذن يدعي أنه يكتب من مدينة روما. وهذا مفهوم إذا افترضنا الآثار اللاحقة التي ربطت بطرس بمدينة روما كونه أول أسقف لها ـ أول بابا. لكن الآثار أيضاً تشير إلى أن بطرس استشهد في روما في عهد نيرون عام 64 ميلادية. هل يعقل أنه يسمي روما باسم «بابل» قبل أن يدمر الرومان مدينة القدس في سنة 70م؟ في الوقت الذي حلت فيه الكارثة كان بطرس ميتاً قبل ذلك بزمن طويل. وكما يتبين فيما بعد هناك أسباب أخرى كثيرة للاعتقاد أن بطرس لم يكتب هذا الكتب فعلاً، لقد كتب من قبل شخص (يدعي) أنه بطرس.

وقبل شرح بعض هذه الأسباب علينا أولاً أن ننظر الرسالة الثانية في العهد الجديد والمكتوبة باسم بطرس.

رسالة بطرس رقم 2:

بين علماء العهد الجديد هناك حول مصداقية الرسالة الثانية باسم بطرس جدال أقل من أي كتب أخرى تعتبر مزورة أحياناً. أياً كان الذي كتب الرسالة الثانية باسم بطرس فإنه لم يكن سمعان بطرس (20). إن المؤلف بالتأكيد «يدعي» أنه بطرس، وبشكل أكثر وضوحاً من حالة الرسالة الأولى فهو يقدم نفسه على أنه «سمعان بطرس» (21) خادم وحواري يسوع المسيح. لكن الأكثر من ذلك أنه يدعي أنه كان حاضراً في مشهد «التجلي» المروي في الأناجيل حيث تبدل مظهر يسوع أمام أعين حوارييه بطرس وجيمس ويوحنا ويدأ يتحدث مع النبي موسى والنبي الياس قبل أن يأتي صوت من السماء يقول: «هذا هو ابني المحبوب الذي أنا

راضٍ عنه» (انظر إنجيل متى 17: 1 ـ 8). يصر المؤلف أنه هو بالذات كان موجوداً ليسمع تلك الكلمات التي أتت إليه عن طريق «صوت المجد الأسنى» (1: 17). ويريد الكاتب أن لا يكون هناك شك: بأنه هو بطرس.

كان جل اهتمامه أن هناك في المجتمع معلمين كاذبين حرفوا رسالة الإنجيل الحقيقية. معظم الفصل مكرس لذم هؤلاء الأشخاص دون أن يشرح أبداً ما الذي يدعون إليه. هذا الهجوم الانتقادي الشديد يسمي تعاليمهم «كفراً مدمراً» ويقول عن خصومه أنهم فاسقون جشعون واستغلاليون. ويشير المؤلف إلى أنهم سيعذبون مثل أهل سدوم وعمورة ومثل سكان العالم بكامله في أيام النبي نوح. أي أنهم أيضاً سيهلكون. ويسميهم جاهلين ويقول أنهم «وصمة عار يعربدون في ملذاتهم وسكرهم»، ويقول إن لهم عيوناً «فاجرة لا تشبع من الخطيئة» وهلم جرا. هذا الهجوم على خصومه «الأنبياء الكاذبين» يحتوي على تشبيهات لفظية عديدة لما يمكن أن نجده في العهد الجديد في كتاب يهوذا، وإن التشابهات عديدة جداً لدرجة أن العلماء فعلاً متحدون في اعتقادهم أن الكاتب قد أخذ رسالة يهوذا وقام ببساطة بتعديلها قليلاً ليضمنها في كتابه.

إضافة إلى المعلمين الكاذبين ظهر «مستهزؤون» سخروا من النظرة المسيحية القائلة إن يسوع سيرجع قريباً من السماء ليحكم على الأرض ويقول هؤلاء المشككون إذا كان من المفترض أن يعود قريباً فلم لم يأت؟

لقد مر وقت طويل وكل شيء يجري تماماً كما سبق! ويجيب الكاتب أن هؤلاء الكافرين جاهلون ومخدوعون وقد نسوا أن «يوماً عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد» (الإصحاح 3: آية 8). بكلام آخر حتى لو انتظر عيسى ثلاثة آلاف سنة أخرى فهو مع ذلك آت «قريباً». وفي الحقيقة أخر عيسى عودته ببساطة ليعطي الناس فرصة كي يتوبوا قبل الخراب القادم. ويخبرنا المؤلف أن بولس نفسه بشر بمثل هذه الأمور في «كل رسائله التي يحرفها الجاهلون والمذنبون كما يفعلون بكل النصوص المقدسة الأخرى مما سيؤدي إلى هلاكهم» (الإصحاح 3: آية 16).

وأحد الأسباب التي يتفق عليها كل العلماء عملياً أن بطرس لم يكتب هذه الرسالة لأن الوضع الذي سبق افتراضه يبدو أنه يعود لعصور متأخرة جداً. وعندما

مات بطرس نفسه ـ ولنقل سنة 64 في عهد نيرون ـ كان لا يزال هناك توقع ولهفة بأن يسوع سيعود قريباً؛ ولم يكن قد مضى حتى جيل كامل على صلبه. ومع مرور الوقت فقط يدعي المسيحيون أن ذلك كله سيحدث «ضمن هذا الجيل» (إنجيل مرقس 13: 30). وقبل أن «يذوق الحواريون طعم الموت» (الإصحاح 9: 1) لكن ذلك بدا أنه غير مقنع. في الوقت الذي كتبت فيه الرسالة بطرس 2 كان على المسيحيين أن يدافعوا عن أنفسهم في وجه الخصوم الذين سخروا من فكرتهم القائلة إن النهاية يفترض أن تكون وشيكة. ولذلك اضطر «بطرس» أن يشرح أن النهاية حتى لو كانت بعيدة آلاف السنين فهي مع ذلك قريبة حسب التقدير الزمني الإلهي. وكل شيء سيكون في موعده المحتوم.

إضافة لذلك فإن مؤلف الرسالة بطرس رقم 2 يكتب في زمن وجد فيه مسبقاً مجموعة من رسائل بولس المتداولة وكانت هذه الرسالة تعتبر مساوية لـ «نصوص العهد القديم» (إصحاح 3: آية 16). ولا يمكن أن يكون ذلك أثناء حياة بولس (22) وإن تراث الكنيسة القديمة يشير إلى أن بطرس وبولس كلاهما قتلا خلال فترة حكم نيرون.

هذه من جملة الأسباب لنعتقد أن الرسالة الثانية لبطرس مؤكد نوعاً ما أنها لم تكتب من قبل بطرس (23). وهناك سبب مؤكد آخر. هناك أسباب وجيهة جداً للاعتقاد أن بطرس لم يكن يستطيع الكتابة.

سمعان بطرس وفلسطين القديمة والتعليم:

ماذا نعرف عن التعلم والقدرة على الكتابة في العالم القديم وخصوصاً في أرياف فلسطين حيث ولد سمعان بطرس وترعرع؟ إن علماء العصر القديم كانوا منهمكين في السنوات الخمس والعشرين الماضية تقريباً وهم يحاولون فهم كل ناحية من نواحي التعليم والتربية في العصر القديم. وفيما يعرف الآن باسم الدراسة المنهجية (الكلاسيكية) فإن الكتاب المسمى «التعليم القديم» الذي ألفه وليم هاريس عام 1989 وهو أستاذ التاريخ القديم في جامعة كولومبيا، هذا الكتاب يبين أن الافتراضات الحديثة حول التعلم لا يمكن ببساطة ان تنطبق على العصور القديمة. (24)

نعيش حالياً في أمريكا الحديثة في عالم يذهب فيه كل طفل إلى المدرسة ويتعلم القراءة والكتابة. ونعلم أن الجميع تقريباً يستطيع قراءة صحيفة الرياضة ويستطيع أن ينسخ صفحة من رواية إذا أراد ذلك.

لكن ظاهرة التعليم الجماهيري واسع الانتشار هي ظاهرة عصرية تماماً. قبل الثورة الصناعية لم يكن لدى المجتمعات أسباب تجبرهم على استثمار مبالغ كبيرة من المال والموارد الأخرى في إيجاد جماهير متعلمة. فقط مع تطور العالم الصناعي أصبح مثل هذا الشيء مرغوباً فيه ومجدياً أيضاً. يقول هاريس أنه في العالم القديم وفي أفضل الأوقات كان حوالي عشرة بالمائة من الناس متعلمين لحد معقول. وبعبارة «أفضل الأوقات» هو يعني مدينة أثينا مركز التعليم في أوج قوتها الفكرية خلال أيام سقراط وأفلاطون (في القرنين الخامس إلى القرن الرابع قبل الميلاد). ومعظم العشرة بالمائة هؤلاء كانوا رجالاً كما يمكن أن نتوقع في مجتمع أبوي السلطة لحد كبير. وكلهم كانوا في الطبقات العليا والنخبة الاجتماعية والاقتصادية الذين كان لديهم أوقات فراغ وأموال (حسناً، آباؤهم كان لديهم المال) ليدفعوا نفقات التعليم. الناس من الطبقات الأدنى لم يتعلموا القراءة ودعك عن الكتابة. والغالبية العظمى من الناس في العالم القديم كانوا في الطبقات الأدنى (ولنفاجئ الكثيرين فإن «الطبقة الوسطى» هي اختراع آخر في الثورة الصناعية ففي العالم القديم كان الجميع فعلياً إما من الطبقة العليا أو الدنيا أو في أقصى درجات الدنو). والاستثناءات الملحوظة فقط هم العبيد الذين كانوا بالطبع طبقة في أدنى مستوى لكنهم كانوا أحياناً متعلمين على نفقة أسيادهم من أجل أن يقوموا بالواجبات المنزلية التي كانت تتطلب مهارات تعليمية مثل العناية باقتصاد المنزل والمساعدة في المراسلة أو في تعليم الأطفال.

وعندما أقول إن عدداً قليلاً من الناس كانوا يستطيعون القراءة «ودعك من الكتابة» فأنا أقصد التلميح إلى شيء مهم جداً حول العالم القديم. وعندما كان الناس من الطبقة العليا متعلمين كانت القراءة والكتابة تعلمان كمهارتين مختلفتين (25). في الوقت الحاضر نحن نتعلم القراءة والكتابة معاً وبالطبع يفترض أن الناس إذا كانوا يستطيعون القراءة فهم بالتالي يستطيعون الكتابة أيضاً - ليس من الضروري أن يكتبوا رواية ولكن أن يكتبوا رسالة على الأقل. ولكن هذا بسبب الطريقة التي أقمنا فيها

نظامنا التعليمي. وليس هناك شيء متأصل في تعليم القراءة يمكن أن يعلمك بالضرورة كيف تكتب. وأنا أعرف هذا الشيء تماماً بشكل شخصي. فأنا أستطيع قراءة اللغات اليونانية والعبرية والفرنسية والألمانية وعدد من اللغات الأخرى لكنني لا أستطيع تأليف رسالة في أي من هذه اللغات. لقد تعلمت كيف أقرأها جميعاً في مرحلة الدراسات العليا ولذلك تمكنت من قراءة الوثائق القديمة في لغاتها الأصلية والعلوم العصرية باللغات الأوروبية. لكنني لم أتعلم أبداً كيف أكتب بها. معظم الناس في العالم القديم لم يتمكنوا من القراءة وأولئك الذين كانوا يقرؤون لم يكونوا يستطيعون الكتابة. في هذه الحالة بكلمة «يكتب» أقصد أن معظم الناس ـ حتى لو كانوا يستطيعون نسخ الكلمات ـ لم يكونوا يستطيعون تأليف جملة إن لم نقل رسالة فيها مناقشة جيدة. على العكس من ذلك إن الناس الذين كانوا يستطيعون تأليف مقالة أخلاقية أو مناقشة فلسفية راقية أو أطروحة دينية معقدة، كانوا أشخاصاً رفيعي الثقافة ومتميزين بشكل كبير. وكان ذلك في أفضل الأزمنة. وفي الحقيقة قليل وقليل جداً من الناس كانوا قادرين على القيام بهذه المهارات في إحدى اللغات غير اللغة التي نشئوا فيها (غير لغتهم الأصلية). أنا لا أقول أن واحد بالمائة فقط من الناس كانوا يستطيعون فعل هذا الشيء. إنني أقول أن أقل بكثير من واحد بالمائة من الناس كانوا يستطيعون فعل ذلك.

يعتقد البعض أحياناً أن فلسطين كانت استثناء وأن أولاد اليهود في فلسطين كلهم تعلموا القراءة لكي يدرسوا الكتابات المقدسة العبرية وأنه بما أنهم كانوا يستطيعون القراءة فلعلهم كانوا يستطيعون الكتابة. وأكثر من ذلك تجري المناقشة أحياناً أن معظم البالغين في فلسطين كانوا يتكلمون لغتين أو ثلاثة وكانوا قادرين على قراءة اللغة العبرية وأن يتكلموا اللغة المحلية وهي الآرامية وأن يتواصلوا بشكل جيد بلغة الإمبراطورية الكبرى وهي اللغة اليونانية. لكن الدراسات الحديثة للتعلم في فلسطين أظهرت بشكل مقنع أنه لا تصح أي من هذه الافتراضات.

إن أشمل دراسة والأوسع تأثيراً عن التعلم في فلسطين أثناء فترة الإمبراطورية الرومانية هي ما قامت به كاثرين هزر (Hezser) (26). فبعد تفحص الأدلة تستنتج هزر أنه في فلسطين في العهد الروماني أفضل التخمينات تقول إن

حوالي ثلاثة بالمائة تقريباً من الناس كانوا يستطيعون القراءة وأن غالبية هؤلاء كانوا موجودين في المدن والبلدات الكبرى. معظم الناس خارج المناطق المتمدنة كانوا لا يكادون يرون نصاً كتابياً. وبعض البلدات الصغيرة والقرى ربما كان فيها مستوى تعليم حوالي واحد بالمائة. إضافة إلى أن هؤلاء الأشخاص المتعلمين كانوا كلهم تقريباً من نخبة الطبقات العليا.

والذين تعلموا القراءة تعلموا كيف يقرؤون اللغة العبرية (وليس اليونانية).

مرة أخرى نجد أن عدداً أكبر من الناس كانوا يستطيعون القراءة دون الكتابة. والناس الذين تعلموا الكتابة كانوا أساساً من رجال الدين. في الواقع في القرن الأول الميلادي بكامله (زمن يسوع وسمعان بطرس)، نعلم يقيناً باثنين من المؤلفين في فلسطين من الذين كان لهم إنتاج أدبي (أي مؤلفات ثقافية غير الوثائق المتعلقة بالضرائب وصكوك الأراضي أو شهادات الزواج... وغيرها) وهما المؤرخ اليهودي يوسيفوس ورجل آخر اسمه يوستوس من تيبريوس (يوستوس الطبراني نسبة إلى بحيرة أو بلدة طبريا في فلسطين). وما تزال لدينا كتابات يوسيفوس لكن كتابات يوستوس لم تعد موجودة. كلا هذين الرجلين كانا في صفوف المجتمع العليا وكان كلاهما مثقفين بدرجة كبيرة جداً. ولا نعلم عن أي أدباء آخرين في ذلك القرن بأكمله فهل كان بطرس في طبقة يوسيفوس ويوستوس؟ لا ولا حتى قريباً منها.

وماذا عن الثقافة اليونانية في الأرض التي ولد فيها بطرس وترعرع؟ ويقال أحياناً أنه بما أن منطقة الجليل وهي الجزء الشمالي من فلسطين المحتلة كانت أحياناً تدعى «جليل الأمم (غير اليهود)» قد تغلب عليها غير اليهود في زمن عيسى وبطرس. وحسب نوع عام من المنطق إذا كان هناك كثير من غير اليهود في الجليل فلابد أنهم كانوا يتحدثون اللغة اليونانية ولذلك فإن الجميع قد تكلموا اليونانية لينسجموا مع غيرهم. وكما تبين فذلك أيضاً لم يصح وأحدث الدراسات الشاملة عن الأمم (غير اليهود) في منطقة الجليل أجراها العالم الأمريكي بارك تشانسي (Chancey) (27).

درس هذا العالم كل اللقى الأثارية من الجليل من ما يقرب من القرن الأول وقرأ كل ما كتب من تلك الفترة وكان له علاقة وتوصل إلى نتيجة حاسمة وهي أن

الأمم (غير اليهودية) في الجليل كانوا تقريباً وحصرياً مقيمين في مدينتين كبيرتين وهما سيفورس (صفورة) وطبرية. وكل ما تبقى من الجليل كان يهودياً في أغلبيته. وبما أن معظم الجليل كان منطقة ريفية وليست متمدنة فإن الغالبية العظمى من اليهود لم يكن لديهم تماس مع غير اليهود. إضافة لذلك لم تكن اللغة اليونانية واسعة الانتشار. والغالبية العظمى من اليهود كانوا يتكلمون الآرامية ولم يكن لديهم براعة في اللغة اليونانية.

كيف تؤثر كل هذه الاكتشافات على سؤالنا إن كان بطرس كتب الرسالة الأولى والثانية أو أي كتاب آخر؟ هل كان بطرس من بين الأنساق العليا من النخبة المثقفة في فلسطين ممن كان باستطاعتهم أن يؤلفوا مقالات باليونانية؟ وبغض النظر عن القصص الأسطورية التي ذكرتها فكل ما نعرفه عن حياة بطرس جاءنا من العهد الجديد. وما نتعلمه بشكل رئيسي حوله هو أنه كان قبل اتباعه ليسوع صياد سمك من قرية كفر ناحوم في الجليل.

ولكي نقدر إمكانيات بطرس اللغوية فإن المكان الذي نبدأ به هو كفر ناحوم. ونعلم خلاصة كاملة حول كفر ناحوم من أيام بطرس مما يقدمه لنا الآثاري الأمريكي حول فلسطين وهو جوناثان ريد (28).

وبناء على الحفريات الآثارية والمصادر التاريخية يتضح أن كفر ناحوم كانت من الناحية التاريخية قرية غير مهمة في منطقة الجليل الريفية. وهي غير مذكورة في أي من المصادر القديمة قبل الأناجيل. ونادراً ما يأتي ذكرها في أي مصدر بعد ذلك. وقد تم اكتشافها من قبل علماء الآثار في القرن التاسع عشر وتم التنقيب فيها منذ ذلك الحين. وربما كانت في زمن يسوع تضم ما بين ستمائة إلى ألف وخمسمائة ولنقل ألف مواطن.

إن الحفريات الآثارية لم تكشف مطلقاً عن أي دليل لأي مبانٍ عامة كالأسواق أو أي مرافق للتخزين (29). ولابد أن السوق لشراء الأطعمة والحاجيات الأخرى كان يعقد في خيام أو أكشاك في العراء وفي أماكن عامة غير مرصوفة. والبلدة ليست واقعة على أي من طرق التجارة الدولية الكبرى. والطرق الرومانية في المنطقة يعود تاريخها إلى مائة سنة بعد حياة بطرس. وليس هناك أثر لأي سكان وثنيين أو أمم غير يهودية في القرية.

ليس هناك أي كتابات منقوشة من أي نوع على أي من المباني. ويستنتج ريد أن السكان بالتأكيد كانوا «أميين تماماً» ولم يجد علماء الآثار أي هياكل أو مواد بناء مرتبطة بنخب اجتماعية من القرن الأول (كالسطوح المصنوعة من الجص أو اللوحات الجدارية المزخرفة من الجص أو الرخام أو الموزاييك / الفسيفساء/ أو قرميد السقف الأحمر). وكانت البيوت مبنية بشكل بدائي من البازلت الحجري وكان الطين أو الفخار يستخدم لملء الثغرات وربما كان للبيوت أسقف من القش.

باختصار بلدة بطرس كانت قرية يهودية في منطقة نائية متخلفة ثقافياً يسكنها عمال يكسبون عيشهم يومياً ولم يكن لديهم أي تعليم. وكانوا جميعاً يتكلمون اللغة الآرامية. وليس هناك ما يوحي إلى أن أياً منهم كان باستطاعته التحدث باليونانية. وليس هناك ما يشير إلى أن أي شخص في البلدة كان يستطيع الكتابة. وكونه صياد سمك من الطبقة الدنيا في المجتمع لابد أنه بدأ العمل وهو صبي صغير ولم يذهب إلى أي مدرسة. في الواقع لم يكن هناك مدارس وإن كان ثمة مدرسة فهو على الأغلب لم يحضرها ولو أنه ذهب إليها فقد كانت لكي يتلقى التدريب الابتدائي في كيفية قراءة اللغة العبرية لكن ذلك من المؤكد تقريباً أنه لم يحدث فقد كان بطرس ريفياً أمياً.

ولا ينبغي أن نفاجأ بهذا في الواقع. وكما يتبين فهناك دليل من العهد الجديد حول المستوى الثقافي لبطرس وهناك بعض الأسباب للاعتقاد أن بطرس لم يكتب الرسالة الأولى، ولكن من المحتمل تماماً أنه لم يكن يستطيع الكتابة مطلقاً. وينبغي أن أشير إلى أن كتاب بطرس رقم واحد مكتوب بلغة أدبية عالية ورفيعة الثقافة وبقلم شخص مسيحي يتكلم اليونانية ومطلع تماماً على الأسفار اليهودية بترجمتها اليونانية السبعونية. وهذا ليس ببطرس.

وبالطبع من الممكن نظرياً أن يكون بطرس قد قرر الذهاب إلى مدرسة بعد قيامة يسوع (من القبر). وفي هذا التصور الخيالي (ولا نقول الوهمي) فقد تعلم حروف الأبجدية وكيف يلفظ المقاطع ثم الكلمات وتعلم القراءة والكتابة ثم أخذ دروساً في اللغة اليونانية وأتقن اليونانية كلغة أجنبية وبدأ يستظهر مقاطع كبيرة من الترجمة السبعونية وبعدها تلقى دروساً في الإنشاء باللغة اليونانية وتعلم كيف يؤلف جملاً مؤثرة خطابياً وأخيراً وقريباً من نهاية عمره كتب الرسالة البطرسية رقم واحد.

هل هذا السيناريو (التصور) معقول؟ بغض النظر عن الحقيقة التي لا نعرفها عن صفوف «تعليم الكبار» في العصر القديم ـ ولا يوجد دليل على وجودها ـ أعتقد أن معظم الناس المنطقيين سيستنتجون أن بطرس لربما كان في ذهنه وبين يديه أشياء أخرى بعدما اعتقد أن يسوع تم رفعه من بين الأموات. ولربما لم يفكر ولا للحظة واحدة بتعلم كيفية الوصول إلى أن يكون مؤلفاً ماهراً بالخطابة باللغة اليونانية.

اقترح بعض العلماء أن بطرس لم يكتب الرسالة رقم واحد (مباشرة) (وكما أشرت سابقاً فلا أحد يقترح أنه كتب الرسالة رقم 2) ولكن الكتابة تمت بشكل (غير مباشر) بإملاء الرسالة على كاتب مثلاً. وقد لاحظ بعضهم أن الرسالة تمت كتابتها «بواسطة سيلفانوس» (5: 12) واعتقدوا أن سيلفانوس ربما دون لبطرس أفكاره. وأنا أعالج هذا الموضوع حول ما إذا كان ناسخون أو كاتبون قد ألفوا مقالات أو رسائل في الفصل الرابع. والجواب هو «على الأغلب لا بالتأكيد» ولكن حالياً أستطيع القول بضع كلمات على الأقل حول قضية الرسالة رقم واحد.

بدايةً أقول إن العلماء يدركون بشكل كبير أنه عندما يشير مؤلف إلى أنه كتب الكتاب «بواسطة سيلفانوس» فهذا لا يشير إلى اسم كاتبه بل إلى الشخص الذي يقوم بنقل الرسالة إلى متلقيها. والمؤلفون الذين استخدموا الكتبة لا يشيرون إليهم بهذه الطريقة.

لكن لماذا لا نفترض أن بطرس استخدم شخصاً آخر ليكتب له غير سيلفانوس؟ وسيفيدنا أن نتخيل كيف أن هذه النظرية يفترض بها أن تعمل تماماً.

لا يمكن أن يكون بطرس قد «أملى» هذه الرسالة باللغة اليونانية على كاتب طالما أنه لم يكن شخصاً يستطيع الكتابة بتلك اللغة. لو كان الأمر كذلك للزمه أن يكون ضليعاً تماماً باليونانية لكي يتقن الأساليب البلاغية فيها ولكي يكون على علاقة وثيقة تماماً بالأسفار اليهودية باليونانية. لا شيء من ذلك يبدو معقولاً ولا يمكن للمرء بسهولة أن يعتقد أنه أملى الرسالة بالآرامية وترجم الكاتب الرسالة إلى اليونانية. وعند قراءتها لا تبدو الرسالة كترجمة يونانية لرسالة مكتوبة أصلاً بالآرامية ولكنها تبدو تأليفاً يونانياً بمحسنات بديعية يونانية. وزيادة على ذلك تفترض الرسالة مسبقاً معرفة بالعهد القديم باليونانية حتى أن الشخص الذي ألف

الرسالة (سواء كان بشكل شفهي أو كتابي) لابد أنه كان يعرف الأسفار القديمة باللغة اليونانية.

هل يمكن إذن أن يكون بطرس التاريخي وجه شخصاً ما ليكتب رسالة وفي الأساس أخبره ماذا يقول وتركه ينتج تلك الرسالة؟

توجد إجابتان على هذا السؤال. أولاً سيبدو إذا كان شخص آخر فعلاً هو الذي ألف الرسالة فهو (ذلك) الشخص وليس بطرس. ولكن الشخص الآخر لم يسمّ أبداً. حتى في رسائل بولس التي كانت مشتركة (وأكثرها كذلك تقريباً) فإنه يسمي الآخرين مع أنه ربما كتب تلك الرسائل بنفسه. وفي هذه الحالة لن يكون بطرس هو الذي كتب الرسالة. وعلينا أن نتذكر أن الرسالة كتبت بعدما مات بطرس لأنها تشير إلى الخراب الروماني للقدس في سنة 70م.

السؤال الأكثر إلحاحاً هو التالي: أين نجد في العالم القديم أي شيء مشابه لهذا الوضع التخيلي لإنسان يكتب مقالة ـ رسالة لشخص آخر لم يكتبها ـ فضلاً عن أن تكون باسمه؟ وعلى حد علمي لا توجد حالة واحدة لمثل هذا الإجراء تم تصديقه من العصر القديم ولا أي مناقشة في أي مصدر قديم اعتبرت ممارسة قانونية، أو حتى غير قانونية. إن مثل هذا الشيء لم يناقش أبداً.

لكن هناك الكثير من الأمثلة على ظاهرة أخرى، وهي ظاهرة مؤلفين مسيحيين يكتبون أعمالاً بأسماء وهمية يدعون فيها كذباً أنهم أشخاص مشهورين. وكان العلماء الأقدمون ليسمون كتاباً كهذا «كتابة مزورة» أو «كذبة» أو طفلاً «غير شرعي». والناس في العصر الحديث ببساطة يسمون ذلك تزويراً.

الفصل الثالث
كتابات مزورة باسم بولس

عندما أصبحت مسيحياً ولد من جديد في عام 1971 كنت تواقاً لأقرأ أو أتعلم كل ما يمكنني قراءته حول الأناجيل ولم يكن لدي فكرة في ذلك الوقت أنه كان يوجد شيء مثل الدراسات الإنجيلية أو أن هناك كتباً كتبها خبراء حقيقيون أتقنوا اللغات القديمة المتعلقة بها كالإغريقية والعبرية وتفحصوا بكل دقة ولسنوات عديدة كل المصادر القديمة لكي يقدموا لنا دراسات دقيقة تاريخياً. وكنت أشعر بالسعادة عندما أقرأ رواية جيدة حول عيسى أو بولس كما أسعد بقراءة شيء جاد. وبالطبع كانت الروايات قراءة سهلة وهي تماماً النوع الذي يروق لي.

خلال السنة السابقة لذلك ظهرت واحدة من أكثر الروايات الإنجيلية الأكثر مبيعاً في كل الأزمان وهي رواية تيلر كالدول (Caldwell) بعنوان «أسد الله العظيم» وهي رواية خيالية عن حياة الرسول بولس. وكانت لمدة ثمانية أشهر على قائمة الأكثر مبيعاً في صحيفة نيويورك تايمز (New York Times) وعلى قدر ما كنت مهتماً فإذا قرأها ذلك العدد الكبير من الناس فيجب أن تكون دقيقة وغنية بالمعلومات. ولذلك التهمتها التهاماً. وفقط بعد فترة لاحقة في الحياة أدركت مدى وجود الخيال في هذه الرواية «التاريخية». وأتذكر بعد ذلك بسنوات وأنا آمل بشدة أنني لم أحصل على ذلك القدر الكبير من «المعرفة الشائعة» حول بولس من هذه الرواية الخيالية.

الحكاية الوحيدة التي علقت بذهني على مدى السنين تتعلق بمحاولة كالدول أن تشرح لماذا كان بولس ناضجاً ومهيأً للدخول في المسيحية وتابعاً لعيسى بعدما كان مضطهداً شديداً للكنيسة. وكانت الطريقة التي رتب فيها السيناريو (التصور) هي تقريباً هكذا:

عندما كان بولس فتى مراهقاً كان متحمساً بشدة لعقيدته اليهودية وكافح بقوة ليحافظ على الشريعة اليهودية. ولكنه في إحدى المرات استسلم لشهوة قاهرة. وهذه تتعلق بخروجه مرة عند البحيرة المحلية مع خادمة داكنة الشعر. وهذا اللقاء

الجنسي شكل حملاً هائلاً من الشعور بالذنب عند بولس الفتى وقد حاول إزالته بأن يصبح أكثر وأشد التزاماً بالدين. وعندما كان شاباً سمع بأتباع يسوع الذين كانوا يبشرون قائلين بأن الخلاص يمكن أن يأتي إلى الناس الذين «لا» يلتزمون بالشريعة. إن الخلاص يأتي ببساطة من طريق الإيمان بالمسيح. غضب بولس وحصل على إذن رسمي بمقاومة واضطهاد من يقول بذلك. وتلك كانت طريقة أخرى للخروج من خطيئته الشخصية وبالانهماك في حماسة دينية هدأ ضميره. ولكنه وجد أنه كلما حاول جاهداً التقيد بالشريعة اليهودية بكل تفاصيلها القاسية كلما شعر بتغلب الخطيئة عليه لأنه خالف الشريعة.

ثم حدثت له رؤية يسوع في الطريق إلى دمشق فأدرك لأول مرة أن بإمكانه ألا يلتزم حقاً بالشريعة وأنه ليس بحاجة لذلك أيضاً. لقد جلب له عيسى راحة من الذنب المخبأ عميقاً في داخله وبداع من الامتنان العميق ألقى نفسه بحماس مماثل ليكون خادماً للكنيسة بدل أن يكون مضطهداً وعدواً لها.

لقد كان كتاب كالدول الطويل قراءة ضرورية جداً وخاصة بالنسبة لمراهق متحمس يريد أن يعرف المزيد حول حقيقة معتقده الذي اكتشفه مجدداً. وكما تبين لي مع ذلك فإن القصة بكاملها هي خيال. فليس هناك سجل تاريخي لنزوة بولس الجنسية عند البركة المحلية ولا إشارة إلى أنه شعر بذنب عظيم لأنه لم يتمكن من الالتزام بالشريعة رغم أن كثيراً من المسيحيين يستمرون في إساءة فهم بولس بتلك الطريقة. إن لدينا فهماً معقولاً لما كان بولس يعتقده بما أنه ترك لنا بعض الرسائل (وكلها موجودة في العهد الجديد). وعندما يتحدث حول حياته اليهودية أمام عيسى ورغم أنه يشير إلى أنه كان شديد الحماس للشريعة فإنه يوضح تماماً أن ذلك لم يكن بسبب الذنب في عدم قدرته على الالتزام بها. وعلى العكس من ذلك يشير بولس إلى أنه كيهودي مخلص فقد كان «غير ملوم» في الالتزام بالشريعة (الرسالة إلى فيلبي 3: 6). وعندما أصبح تابعاً ليسوع فذلك لم يكن ليحل عقدته الداخلية وخطيئته ولكن لأنه أدرك أن موت المسيح كان الشيء الوحيد للنجاة وكل شيء آخر حتى الشريعة كان شيئاً لا قيمة له مثل «النفاية» (كما يعبر عنها في الرسالة إلى فيلبي 3: 8).

وبالطبع توصلت كالدول إلى كتابات بولس ذاتها وكان بإمكانها أن تعرف ما قاله بالضبط حول حياته قبل عيسى. ولكن ربما كانت حقيقة حياته لم تصلح لتأليف قصة جيدة كفكرة النزهة مع الخادمة. والحصول على القصة من مصدرها الأصلي لم يمنع الناس من أن يحكوا روايات خيالية حول بولس.

قصص خيالية قديمة حول بولس:

من كل المسيحيين الذين عاشوا حتى الآن لا أحد حكيت عنه قصص أكثر من بولس. وما يزال لدينا عدد من الروايات الأسطورية القديمة تماماً كالتي نملكها حول بولس. بالنسبة لبولس لدينا سجل عن شخص تم القبض عليه متلبساً بتهمة اختلاق قصص حوله وتمت معاقبته عليها. لقد رأى الناس القدماء أن الاختلاق حول شخصيات تاريخية (أي القصص المؤلفة من الخيال) تماماً كما ينظرون إلى حوادث التزوير (أي إدعاءات كاذبة المرجعية) واعتبروها «باطلاً» و «كذباً» وعموماً كانت أموراً لا تساهل معها.

يمكن أن يوجد الكثير من القصص المختلفة القديمة في كتاب ظل موجوداً رغم عاديات الزمن بكل تفاصيله ويدعى «أعمال بولس» تصف الرواية أعمال بولس الرسولية ووعظه ومعجزاته المذهلة، وربما كان الجزء الأكثر شهرة من القصة هو ما يتعلق بتنصير امرأة غنية شابة اسمها تقلا (Thecla) هجرت خطيبها لتصبح تابعة مخلصة لبولس.

يقال أن بولس وصل إلى مدينة ايقونيوم وأنه استقبل في بيت رجل مسيحي اسمه أونيسيفورس. وهناك يلقي بولس موعظة. لكن الموعظة لم تكن كأي شيء يلقيه بولس نفسه في رسائله في العهد الجديد حيث تكون رسالته متعلقة بالحاجة إلى الإيمان بموت يسوع وقيامته من الأموات من أجل الخلاص. هنا في كتاب أعمال بولس يكون الموضوع هو العزوف عن الجنس. فقط الطاهرون في قلوبهم وجسدهم والذين يبقون على العفة الجنسية يمكن أن يرثوا الملكوت. ولا ينطبق هذا على الأشخاص العازبين بل على المتزوجين أيضاً فالجنس حرام.

وتقلا التي كانت تعيش في البيت المجاور صادف أن كانت جالسة أمام نافذتها في الطابق الثاني ووصلت الموعظة إلى سمعها. كانت مخطوبة إلى رجل غني

وبارز ولكنها تقرر بناء على ما سمعته أن تلغي إعدادات الزفاف وتتبع بولس. وتحاول أمها وخطيبها الحزين أن يثنوها عن عزمها ولكن بلا جدوى. ويداع من الرفض والغضب يحولونها إلى السلطات ليتم إحراقها على العمود بسبب انتهاكها للعرف الاجتماعي. وبشكل معجز تفلت وتصبح تابعة لبولس. وتدور باقي القصة حول مغامراتها مع بولس وحول مضايقاتها التي تعرضت لها.

وفي مدينة أخرى تقاوم عروضاً جنسية لأحد الارستقراطيين (الأغنياء) ومرة ثانية يحكم عليها بالموت. وفي هذه المرة سيتم إلقاؤها إلى وحوش مفترسة. وتتضايق مع ذلك لأنها قد تموت قبل أن يتم تعميدها في الدين الجديد. ولدى رؤيتها لوعاء كبير من الماء ممتلئ بفقمات آكلة للبشر (مهما كانت تلك الفقمات) تلقي بنفسها في الوعاء وتعلن أنها تعمدت.

ويجري الله معجزة أخرى وتنجو تقلا دون أن تمس. وأخيراً تلتقي ثانية ببولس الرسول وتخبره عن رغبتها في نشر كلام الإنجيل ويرخص لها أن تفعل ذلك.

لقد قدمت هنا فقط وصفاً مقتضباً لهذه القصة الخيالية الطويلة المتعة. والقصة بكاملها كانت مشهورة جداً في أوساط بعض الطوائف المسيحية في القرون الأولى. وقد أثارت ضجة كبيرة لدى رؤساء الكنائس الذين انزعجوا بالدور الكبير الذي أعطته لتقلا كشخص استطاعت أن تعمد (نفسها!) وتعلم الإنجيل رغم كونها امرأة. حتى القرن الثاني كانت معظم الكنائس قد احتفظت بمثل هذه الواجبات الدينية للرجال. لكن هذه القصص من خلال شخص هام كبولس بدا أنها تجيز النساء في الاشتغال بتلك المهام. إضافة لذلك نجد أن «إنجيل» بولس في هذا النص يدور كله حول العزوف الجنسي وتجنب الزواج. وفي كنائس أخرى كانوا يعلمون أن العائلة ضرورية وأن قادة الكنائس الذكور ينبغي أن يكونوا متزوجين وأن زوجاتهم يجب أن ينجبن الأطفال وأن يكن خاضعات لأزواجهن في كل الأمور. وإن النظرة البديلة في قصة تقلا أدت إلى انقسام خطير في الكنيسة (2).

ونحن نعرف هذا لأن المرة الأولى التي يذكر فيها مؤلف قديم القصة كانت لمعارضتها. كان المؤلف هو العالم اللاهوتي المسيحي الشهير والمدافع عن العقيدة والكاره للنساء ترتوليان الذي كتب حوالي عام 200م رسالة عن التعميد. ويهاجم

في هذه الرسالة النسوة اللاتي استخدمن قصة تقلا كمبرر لممارسة التعميد لأنه حسبما يرى ترتوليان الرجال فقط يجب أن يسمح لهم بالتعميد. ويقول ترتوليان إن قصة تقلا هذه مختلفة وليس لها أي قيمة تاريخية.

في الواقع هو يقول إن مؤلف القصة كان «شيخاً» عجوزاً في إحدى كنائس آسيا الصغرى (تركيا) وقد قبض عليه وهو يختلق القصة وقدم للمحاكمة في الكنيسة وأعفي من واجباته الدينية. وهكذا فإن القصة بالنسبة لترتوليان لا يمكن استخدامها لإجازة النساء في ممارسة التعميد (3).

كثيراً ما يورد العلماء هذا المقطع القصير المدهش من ترتوليان لكي يبينوا أن المزورين لم يكونوا مقبولين في الكنيسة. وأتمنى لو كانت تلك الفكرة هي المقصودة من القصة لأنني أعتقد حقاً أن المزورين غير مرغوب فيهم. لكن لسوء الحظ ليست القصة حول مزور إنها حول مختلق (يؤلف من الخيال). وهذا القس من آسيا الصغرى لم يكتب كتاباً يدعي فيه أنه بولس بل كتب قصصاً مختلقة «حول» بولس. وفي الوقت ذاته يصح أن نقول أنه عومل كما يعامل أيضاً المزورون عموماً. لقد وبخوه بشدة لعدم قوله الحقيقة.

ولسبب معقول قال عدد من العلماء إن ذلك القس لم يختلق تلك القصص حول تقلا ولكنه أعاد روايتها محوراً إياها لغرض خاص به. أي أن القصص كانت متداولة في التراث الشفهي لزمن طويل قبل نهاية القرن الثاني عندما قدم هو روايته للقصة.

ربما كانت هذه هي الحالة كما سنرى لاحقاً في هذا الفصل عندما نعود إلى القصص. لكن في أي حال هناك شخص ما ألف القصص بما أنها ليست تاريخية. والمؤلف أو المحور الذي كتبها قد عرف ولم تكن العواقب جيدة.

كتابات غير قانونية زورت باسم بولس:

إذا كان مسيحيون لفقوا قصصاً حول بولس فهل لفقوا أيضاً كتابات يزعم بعضهم أن بولس كتبها؟

هذا هو السؤال الذي طرحناه حول بطرس في الفصل الثاني والجواب هنا أيضاً سيكون ذاته. هناك كتابات مزورة باسم بولس منذ أيام الكنيسة الأولى وكلها على حد علمي كتبت لـ «توثق» أفكاراً معينة باسم هذا المؤلف الكبير. بعض هذه

التزويرات ما زالت باقية ونعرف عن حالات تزوير أخرى وجدت مرة ولكنها فقدت منذ ذلك الحين.

حالات تزوير قام بها ماركيون:

قد تظن أن شخصاً بمنزلة بولس كان ذا تأثير توحيدي على الكنيسة القديمة ولكن يتضح أن ذلك أبعد ما يكون من الحقيقة.

في حوالي الوقت الذي كان القس من آسيا الصغرى يلفق فيه قصصه حول بولس والتي أدت إلى خلافات حول دور النساء في الكنيسة كان هناك تهديد آخر لوحدة الكنيسة يأتي إليهم من جهة مختلفة تماماً. وهي تتعلق بواحد من أكبر المعجبين ببولس وهو المعلم واللاهوتي ماركيون (4) من القرن الثاني.

لسوء الحظ أنه لم يعد لدينا أي من كتابات ماركيون نفسه وقد اعتبرت «تعاليم باطلة» وأتلفت. الموجود لدينا فقط هي كتابات خصومه بما فيهم ترتوليان الذي ذكر سابقاً والذي كتب خمس مجلدات في الرد على تعاليم ماركيون. ما يزال لدينا هذا العمل وهو كنز ثمين من المعلومات حول واحد من أكثر الأشخاص الذين أدوا للانقسام في تاريخ الكنيسة القديم.

جاء ماركيون من مدينة سينوب على الساحل الجنوبي للبحر الأسود ويروى أن والده كان راعي الكنيسة المحلية وهكذا تربى ماركيون في أوائل القرن الثاني الميلادي في أسرة مسيحية. وكانت عائلته من الطبقة العليا وهو نفسه كان شاباً له مبادرات ومغامرات في التجارة وخاصة في تجارة بناء السفن، وبعد أن جمع ثروة كبيرة ترك آسيا الصغرى ورحل إلى عاصمة الإمبراطورية روما حيث التحق بالكنيسة وساهم مساهمة فعالة في نشاطاتها الدينية. ويرجع العلماء عادة فترة ماركيون في روما إلى السنوات 139 ـ 144 ميلادية.

وفي روما طور ماركيون أفكاره اللاهوتية الخاصة به. كان ماركيون مشدوداً بشكل خاص إلى فكرة بولس أن الإنسان يكون صالحاً عند الله ليس بقيامه بمتطلبات الشريعة اليهودية («أعمال الشريعة» كما يسميها بولس) ولكن بالاعتقاد بموت المسيح ثم قيامته. ويؤكد بولس في بعض الكتب كالرسائل إلى أهل غلاطية وروما في العهد الجديد بأنه لا أحد يمكن أن يكون صالحاً عند الله من خلال أعمال

الشريعة. وقد علم «إنجيله» (الذي يعني حرفياً البشارة) إلى غير اليهود قائلاً لهم إن موت المسيح يمكن أن يجلب تصالحاً مع الله لكل الذين يؤمنون.

رأى ماركيون هذا التناقض بين شريعة اليهود وإنجيل المسيح في عبارات شديدة ودفع التناقض إلى ما رآه كنتائج منطقية. فحيث توجد الشريعة لا يوجد إنجيل والشريعة والإنجيل متباينان بشكل جوهري. إنهما شيئان متعاكسان. العهد القديم لا علاقة له بإنجيل بولس. والنتيجة الحتمية بالنسبة لماركيون هي أن الله الذي أعطى الشريعة اليهودية لا ينبغي أن يكون الله الذي خلص الناس من خطاياهم التي ارتكبوها بمخالفتهم للشريعة. أي أن إله العهد القديم ليس هو إله عيسى ورسوله بولس وبالتالي هنالك إلهان اثنان.

جادل ماركيون قائلاً أن إله العهد القديم هو الإله اليهودي الذي خلق العالم واختار بني إسرائيل ليكونوا شعبه ثم أعطاهم الشريعة لكن لم يستطع أحد الالتزام بها لذلك فإن إله العهد القديم كان عادلاً تماماً في الحكم على الجميع بالعقوبة السرمدية. لقد كان إلهاً عادلاً غضوباً ـ وليس شريراً فقط هو يقضي بلا رحمة. وأما إله عيسى فقد كان إله المحبة والرحمة والغفران. هذا الإله الخيّر متفوق على إله اليهود وقد أرسل عيسى إلى الدنيا ليموت من أجل خطايا الآخرين لينقذ الناس من غضب إله العهد القديم. ويأتي الخلاص إذن بالإيمان بموت يسوع.

بدأ ماركيون في إثبات عقيدته بوجود إلهين اثنين بكتابة كتاب اسمه «المتناقضات» (أي «المقالات المتناقضة») وفيه بين أن هناك تباينات شديدة بين العهد القديم وتعاليم عيسى وبولس. وعلى سبيل المثال يأمر إله العهد القديم الإسرائيليين بأن يحتلوا أرض الميعاد ويبدؤوا أولاً بتدمير مدينة جرش (يوشع 6) ويوجههم إلى أن يذهبوا نحو المدينة ويذبحوا كل رجل وامرأة وطفل فيها. ويسأل ماركيون هل هذا الإله نفسه الذي يقول: «أحبوا أعداءكم» ويقول: «أدر الخد الآخر» و «صلوا من أجل الذين يعذبونكم»؟ لا «يبدو» أنه الإله نفسه لأنه ليس كذلك.

أرسل إله العهد القديم أنبياءه وكان أحدهم هو اليسع.

ونقرأ في العهد القديم أن اليسع في أحد الأيام تمت مضايقته كلامياً من قبل مجموعة من الصبيان الذين سخروا من رأسه الأصلع. ودعا عليهم بغضب الله

فأتت اثنتان من الدببة من الغابة وضربت اثنين وأربعين منهم حتى ماتوا (2 ملوك 2) هل هذا هو ذات الإله الذي قال: «ليأت الأطفال الصغار إلي»؟ لا بل هناك إلهان مختلفان.

وبما أن إله عيسى ليس هو إله العهد القديم وبالتالي ليس خالق العالم فإن عيسى لا يمكن أن يتبع لهذا النظام المخلوق ولا يمكن أن يولد في هذا العالم كبشر من لحم ودم؛ وإلا فإنه سينتمي إلى إله اليهود تماماً كما يفعل كل كائن مخلوق آخر. لا بد أن عيسى أتى من السماء من الإله الحقيقي مباشرة. ولذلك السبب لم يكن كائناً بشرياً جسدياً حقاً. فقط كان يبدو كذلك.

أي أن ماركيون كان دوستياً (انظر الفصل الثاني). ومن أجل هذه الفكرة استطاع أن يكسب القبول لكتابات بولس الذي صرح أن عيسى جاء إلى هذا العالم «في شبه جسد الخطية» (رومية 8: 3) وبالنسبة لماركيون كان ذلك مظهراً (وليس حقيقة).

إن ماركيون هو أول من أصر على إيجاد قانون واضح للكتب المقدسة أي مجموعة من الكتب التي اعتبرها مراجع مقدسة. إن قانون ماركيون كان مختصراً بشكل مدهش حسب معظم المعايير.

وبما أن الإله اليهودي ليس الإله الحق فإن كتابه ليس جزءاً من الكتب المقدسة المسيحية وليس هناك عهد قديم مسيحي. وبدلاً من ذلك تكون القانون من قسمين. القسم الأول يتألف من رسائل بولس. ويبدو بشكل واضح أن ماركيون كان يعرف عشرة منها، كل الرسائل الموجودة في العهد الجديد ما عدا رقم 1 و 2 تيموثي وتيطوس، المعروفة باسم الرسائل الرعوية. إضافة لذلك فإن بولس يشير باستمرار إلى «إنجيله». ولذلك ضمن في القسم الثاني من قانونه وصفاً إنجيلياً لحياة عيسى. ومن الواضح أن هذا كان نسخة معدلة من إنجيل لوقا.

إن مشكلة هذا القانون المؤلف من أحد عشر كتاباً هي أن حتى هذه الكتب تقتبس العهد القديم كمرجع موثوق ويبدو أنها تؤكد عملية الخلق وأنها من الله الحقيقي. كيف يمكن أن يكون ذلك إذا كانت آراء ماركيون عن بولس ويسوع صحيحة؟ كان لدى ماركيون إجابة سهلة لهذا. فقد كان يعتقد أنه بعدما غادر يسوع هذه الأرض فإن أتباعه الحواريين بدلوا تعاليمه وعادوا إلى طرقهم اليهودية القديمة

وأساءوا فهم رسالته الإنجيلية وحوروها لتؤكد خيرية الإله الخالق وما خلقه. إنهم لم يفهموا تماماً تعاليم يسوع بأن الذي خلق لم يكن الإله الحقيقي. ولذلك كان على بولس أن يستدعى ليكون رسولاً. وإن الرسل قبله بدلوا تعاليم يسوع ولذلك تم تفويض بولس بإعادة الأمور إلى نصابها.

وبحسب ماركيون فإن سوء فهم رسالة عيسى بشكل كبير أثر على كثير من المسيحيين بما فيهم الكتبة الذين نسخوا كتابات بولس ولوقا.

إن هذه الكتب الإحدى عشر في الواقع أسيء نسخها على مر السنين والكتبة الذين لم يفهموا الحقيقة ـ بأن هناك إلهين ـ وأن عيسى لم يولد حقاً وأنه ليس بشراً حقيقياً وما إلى ذلك ـ حرفوا النصوص وأدخلوا فيها أفكاراً خاطئة. وبعد ذلك عدل ماركيون كتبه الإحدى عشر وحذف منها الأجزاء التي تبدو مغرقة في اليهودية.

وإضافة لهذه الكتب الإحدى عشر كان لدى ماركيون وأتباعه كتب أخرى مزورة باسم بولس. ونحن نعلم هذا من نص مجتزأ وصلنا من القرن الثاني وهو نص يبحث في الكتب التي تنتمي إلى القانون الحقيقي للنصوص المقدسة في مقابل قوانين ماركيون والمهرطقين الآخرين يدعى هذا النص بالقانون الموراتوري المسمى نسبة إلى العالم الإيطالي موراتوري الذي اكتشفه (5). ومن بين عدة أشياء يشير القانون الموراتوري إلى أن أتباع ماركيون زوروا كتابين باسم بولس وهما رسالة إلى المسيحيين في مدينة الإسكندرية ورسالة إلى المسيحيين في لاوديسيا (الاسم القديم لمدينة اللاذقية شمال الساحل السوري). وللأسف فإن هذه الرسائل إلى أهل الإسكندرية واللاذقية لم تعد موجودة. لكننا يمكن أن نكون متأكدين لحد ما أنه إن ظهرت تلك الرسائل يوماً ما فإنها ستوضح وبشكل أقوى من كتب قانون ماركيون نظراته المميزة حول الإلهين وحول عيسى غير البشري والخلاص الذي جاء به.

الرسالة إلى أهل كورنثيا رقم 3:

- كان من الشائع جداً لدى المسيحيين «الأرثوذكس» (أي المسيحيين الذين قبلوا الآراء اللاهوتية التي أصبحت واسعة الانتشار والقبول في الديانة المسيحية) أن يتهموا «الهراطقة» (الذين يعلمون «تعاليم باطلة») بتزوير الوثائق بأسماء الرسل ليدعموا أفكارهم. وسوف نرى مزيداً من هذه الظاهرة في الفصل السادس. وعلى

سبيل المثال اتهم إنجيل بطرس بكونه غير صحيح وأنه يعلم النظرة الدوستية عن عيسى. لكن المسيحيين الأرثوذكس زوروا وثائق خاصة بهم. ولدينا أكثر بكثير من هذا النوع من التزوير لأن الكتابات الأرثوذكسية كان توقعاً أن تحفظ للأجيال حتى لو لم تكن فعلاً مكتوبة من قبل مؤلفيها المزعومين.

كل من كان على إطلاع على العهد الجديد يعرف أنه يحتوي رسالتين من بولس إلى الكنيسة في كورنث تدعيان الرسالة رقم 1 والرسالة رقم 2 لكن معظم الناس لا يعرفون أنه خارج العهد الجديد يوجد كتاب اسمه الرسالة الثالثة لأهل كورنث. إنه كتاب رائع كتب باسم بولس للرد على الهراطقة أمثال ماركيون. لكن بولس لم يكتبه. إنه حالة تزوير أرثوذكسية من القرن الثاني (6).

مثل قصص تقلا فإن الرسالة الثالثة إلى أهل كورنث موجودة الآن في أعمال بولس. وحسب الدراسة جاء اثنان من الهراطقة إلى كورنث ليعرضوا أفكارهم الخاطئة. وهما سمعان الساحر الذي التقيناه من قبل وكليوبيوس. تضايق المسيحيون من أهالي كورنث بما كانوا يسمعونه وكتبوا إلى بولس يسألونه أن يصحح لهم التعاليم الباطلة وأن يأتي شخصياً ليقوم أولئك الذين خضعوا لهم وتأثروا بهم.

هذه الرسالة إلى بولس المزورة باسم أهالي كورنث هي الجزء الأول من الرسالة الثالثة للكورنثيين. وهي تقدم إدعاءات اثنين من المعلمين الكاذبين بأنه من الخطأ اللجوء إلى أنبياء العهد القديم وأن الله «ليس كلي القدرة» (أي أن الخالق ليس إله الجميع) وأنه لن يكون هناك بعث مستقبلي للأجساد وان العالم لم يخلقه الله وأن المسيح لم يأت إلى الأرض بجسد حقيقي (من لحم ودم) وأنه لم يولد من مريم وأن العالم لم يخلقه الله بل الملائكة.

إن كثيراً من هذه الأفكار تبدو شبيهة بتعاليم ماركيون. وكما رأينا فإن ماركيون قلل من قيمة «اللحم» البشري لأنه رفض فكرة أن يكون خالق هذا الكون هو الإله الحقيقي. وأن الخالق طبعاً هو الذي خلق الكائنات المجسدة (من اللحم). ونتيجة لذلك فإن أتباع ماركيون لم يؤمنوا أن الحياة الأخروية ستكون «بالجسد» ولن يكون هناك بعث مادي في آخر الزمان لذلك أيضاً لا يمكن أن يكون المسيح قد عاش في جسد حقيقي (من اللحم) وأنه في الواقع لم يولد. وبما أن العهد القديم

ليس جزءاً من الكتاب المقدس المسيحي ـ حسب ماركيون ـ فإن المرء لا يمكنه الاستعانة بالأنبياء وأن الإله الذي خلق ليس هو الإله الحقيقي.

ولكن على الأقل هناك فكرة واحدة من أفكار سمعان وكليبيوس لا تبدو شبيهة بفكر ماركيون وهي دعوتهم إلى أن الكون خلق «من قبل الملائكة». زعم ماركيون أنه خلق من قبل إله العهد القديم. فإما أن بعض أتباع ماركيون اعتقدوا أن الإله اليهودي خلق العالم بواسطة وسطاء ملائكيين أقوياء أو أن الأعداء الوهميين لأهالي كورنث ليسوا أتباع ماركيون بحد ذاته ولكنهم «هراطقة» لهم أفكار شبيهة جداً بأفكار ماركيون.

بقية الرسالة رقم 3 هي ما كتبه بولس رداً على ذلك.

هذه الرسالة أطول من رسالة أهل كورنث ويناقش بولس فيها بقوة ضد الأفكار الخاطئة التي أتى بها المعلمون الكاذبون. ويؤكد بولس أن الرسالة التي يبشر بها هي الرسالة التي تلقاها من الحواريين الآخرين «الذين كانوا في معية الرب يسوع المسيح في كل الأوقات». وبمعنى آخر فإن رسالته ليست له وحده. وهذا نقيض ما قاله ماركيون الذي رأى بولس على أنه الرسول المميز بلا منازع الذي عارض التعاليم الخاطئة للرسل الآخرين الذين أفسدوا رسالة يسوع. ويمضي بولس ليؤكد أن عيسى قد ولد حقاً من مريم وأنه أتى بالجسد لكي يفدي كل الأجساد وليبعث الناس من بين الأموات بأجسادهم. وأن الإله الحقيقي هو الخالق وأن الأنبياء هم الناطقون باسمه.

هذا الإصرار على «اللحم» أو الجسد مثير جداً للاهتمام ولكنه أيضاً يحتوي على سخرية. وقد أظهرت دراسة حديثة للرسالة إلى الكورنثيين رقم 3 أن المزور الذي كان قاصداً للتصدي لتعاليم الهراطقة الكاذبة يفعل ذلك بالدعوة لأفكار حول الجسد مخالفة لما نادى به بولس الحقيقي المعروف تاريخياً (7). وبالتأكيد بولس ذاته كان يعتقد أن الله خلق هذا العالم وأنه في نهاية الزمن سوف يسترده. وبولس كمعظم اليهود والمسيحيين في زمانه كان يؤمن أنه في نهاية هذا العصر سوف تكون هناك قيامة جسدية أي أن البشر سيقدمون للحساب وإما أن يثابوا أو يعاقبوا بأجسامهم ذاتها التي بعثت من بين الأموات (انظر مثلاً الرسالة إلى كورنث رقم 1 ـ

15). لكن بولس لم يسم الجسد «لحماً». ولكن على العكس من ذلك كان «اللحم» يعني شيئاً مختلفاً تماماً بالنسبة لبولس. كان يعني أن جزءاً من الطبيعة البشرية والذي تحكمه الخطيئة بعيد عن الله (انظر مثلاً الرسالة إلى رومية 8: 1 ـ 9). بالنسبة لبولس كان «اللحم» بحاجة إلى القهر بما أنه تحت سيطرة الخطيئة. وإن (الجسم) البشري سوف يبعث من الأموات لكن اللحم سيفنى.

هذا الفهم الفني لكلمة «لحم» نجد أنه فقد في المسيحية الأرثوذكسية اللاحقة عندما بدأ علماء اللاهوت يعتقدون أن اللحم والجسد هما الشيء ذاته. وقد حصل ذلك هنا في الرسالة إلى كورنث رقم 3. وخلافاً لبولس فإن المؤلف يؤكد على أهمية اللحم كمخلوق لله سوف يتم بعثه أي أن هذا دليل يدعي فيه المزور أنه بولس وهو يمثل وجهة نظر مخالفة لبولس حتى لو كان يحاول باسم بولس أن يصحح تعاليم بولس التي يعتقد أنها باطلة.

رسائل بولس وسينيكا:

توجد مواضيع مختلفة تماماً في تزويرات متأخرة جداً لرسائل بولس والتي قدر لها أن تصبح ذات تأثير كبير على التفكير المسيحي المتأخر المتعلق ببولس. بنهاية القرن الثاني كثير من المسيحيين ـ وليس ماركيون فقط ـ اعتبروا بولس أهم شخصية في الدين بعد عيسى. وكان ينظر إلى بولس على أنه الحواري الكبير والناطق الكبير باسم المسيحية والمنظر اللاهوتي الكبير للكنيسة.

كانت كتاباته تقرأ على نطاق واسع وفكره يقدر بعمق ولكن على مر السنين تساءل المسيحيون قائلين: إذا كان بولس ذلك المفكر اللامع الذكي فلم لم يذكره المفكرون الآخرون الكبار في عصره. لماذا يبدو وكأنه مجهول كبير في الإمبراطورية الرومانية خارج الكنيسة المسيحية ذاتها؟.

في وقت ما في القرن الرابع سعى مؤلف مجهول لمعالجة الموضوع وذلك بتزوير سلسلة من أربع عشرة رسالة متبادلة بين بولس والفيلسوف الروماني سينيكا (8). كان سينيكا معترفاً به على نطاق واسع كأعظم فيلسوف في زمانه وكواحد من عمالقة الفكر الحقيقيين في بدايات الإمبراطورية الرومانية. كان في الطبقة العليا من النخبة والمجتمع الحاكم حيث كان معلماً وبعد ذلك مستشاراً للإمبراطور نيرون.

وكان عدد من كتابات سينيكا الفلسفية يقرأ كثيراً في العصر القديم وعدد كبير من تلك الكتابات باق حتى اليوم. ولكن لا يذكر في أي من تلك الكتابات ولا يذكر وجود المسيحية ولا يشير إلى عيسى أو أي من قادة الدين الكبار.

هذه الرسائل الأربعة عشر تصلح ما فسد. ثمان رسائل منها يدعى بأنها رسائل سينيكا لبولس والستة الأخرى هي ردود بولس عليها.

القراء العصريون لهذه الرسائل يخيب أملهم إذ أن محتوياتها هزيلة جداً. وكان المرء ليرجو لو وجد بعض الحوار الممتع بين أكبر مفكر في القرن الأول وأكبر رسل الكنيسة. ما عدا استثناء واحد الرسائل غير مقصود بها تقديم قصص مختلقة حول الحياة في قصر إمبراطوري مثلاً. المقصود بها أن تظهر أن بولس كان له مكانة واحترام عند مفكري عصره.

في أول رسالة «سينيكا» يمدح بولس على «حثه الرائع من أجل حياة أخلاقية» ويشير إلى أن هذه التعاليم المقدسة لا ينطق بها بولس بقدر ما أن الله يقولها «بواسطة» بولس. وفي الرد على ذلك يشير بولس ببساطة، نعم لقد صدق سينيكا!

وفي رسالة أخرى يمدح سينيكا «كلام بولس المهيب» و «أفكاره الجديرة بالاحترام الكبير» ويلمح إلى أن الإمبراطور نيرون بذاته قرأ الرسائل وتأثر بآراء بولس. وبالطبع فإن كل هذا يعتبر باطلاً من الناحية التاريخية. ومن شبه المؤكد أن سينيكا لم يسمع ببولس ولكن ذلك يصلح كقصة جيدة لما بعد ثلاثمائة سنة تلت.

فقط في رسالة واحدة نجد مرجعاً تاريخياً ذا أهمية. في الرسالة رقم 11 (وأحياناً يأتي رقمها 14 لأنها تظهر على أنها الأخيرة في الترتيب الزمني) يعبر سينيكا عن أسفه العميق أن بولس حكم عليه بالموت رغم أنه بريء. وهذه إشارة إلى الأخبار التقليدية بأن بولس كان ضمن المسيحيين الشهداء الذين قتلهم نيرون والذي اتهمهم بإضرام النار التي أحرقت مدينة روما والتي ربما هو أشعلها بنفسه. ويذكر سينيكا أن النار اشتعلت ستة أيام ودمرت 132 قصراً وأربعة آلاف شقة سكنية. ويشير إلى انزعاجه لأن المسيحيين واليهود تم قتلهم من قبل نيرون الحاكم الظالم «الذي يستمتع بالقتل ويستخدم الأكاذيب ليغطي على أفعاله». لكن أيام الإمبراطور كانت معدودة وسيدفع ثمن أفعاله بتحمل العذاب الأبدي «هذا الملعون سوف يحرق في النار بدلاً من الجميع».

إذن لدينا هنا ليس مجرد مجموعة كتابات مزورة بأسماء بولس وسينيكا بعد موتهما بقرون ولكن وصفاً مختلفاً عن فيلسوف كبير قدر بولس وأتباعه المسيحيين واعتبرهم برآء من تهم الإحراق المتعمد ضدهم في عام 64 ميلادية. إن المسيحيين في القرون اللاحقة نظروا إلى هذه الكتابات بجدية شديدة. وفيما بعد أصبح مألوفاً للناس أن سينيكا عرف بولس الرسول ورسالته المسيحية وأن الفيلسوف الشهير أعظم العقول في عصره كان منفتحاً تماماً على إنجيل المسيح.

الكتابات «البولسية» (المنسوبة لبولس) في العهد الجديد:

كما رأينا في حالة بطرس تجد هنا الشيء نفسه مع بولس. خارج العهد الجديد يوجد العديد من القصص المختلقة حوله وعدداً من الكتابات التي يدعى أنها مكتوبة من قبله. كل الكتابات المنسوبة لبولس من خارج العهد الجديد كانت مزورة. فهل هناك أي تزوير متعلق ببولس داخل العهد الجديد؟

هنا أيضاً إجماع واسع للعلماء. هناك ثلاث عشرة رسالة يدعى بأنها مكتوبة من قبل بولس في العهد الجديد وهي تساوي حوالي نصف كتب العهد الجديد.

لكن ستاً منها يحتمل أنه لم يكتبها وقد سمى العلماء هذه الرسائل الست بالرسائل «البولسية الثانوية» أي أن لها مكانة ثانوية في مجموع كتابات بولس.

عملياً يتفق كل العلماء على أن سبعة من رسائل بولس معتمدة وهي: الرسالة إلى أهل روما، والرسالتان إلى كورنث رقم 1 و 2، والرسالة إلى أهل غلاطية، والرسالة إلى أهل فيلبي، والرسالة رقم 1 إلى أهل تسالونيك، والرسالة إلى فيلمون. هذه الرسائل السبع تنسجم تماماً مع بعضها بعضاً وتبدو من ناحية الأسلوب والفكر اللاهوتي ومن كل ناحية أخرى تقريباً أن الشخص ذاته قد كتبها. وكلها يدعى بأنها لبولس. ولا يكاد يوجد سبب للشك بأنها فعلاً مكتوبة من قبل بولس.

الرسائل الست الأخرى تختلف جوهرياً عن مجموعة الرسائل السبعة، ثلاث منها وهي تيموثاوس 1 و 2 وتيطس متشابهة كثيراً لدرجة أن العلماء مقتنعون بأن شخصاً واحداً كتبها. والثلاث الأخرى تنسب عادة إلى ثلاثة مؤلفين مختلفين. وهناك اتفاق علمي كبير جداً حول مجموعة الرسائل الثلاث الأولى ولذلك سأبدأ بمناقشة لماذا اعتبرها العلماء مزورة منذ فترة طويلة.

الرسائل الرعوية: تيموثاوس 1 و 2 وتيطس:

صنفت هذه الرسائل مع بعض وسميت «الرسائل الرعوية» منذ القرن الثامن عشر. والاسم مشتق من موضوعها فالمؤلف الذي يزعم أنه بولس من المفترض أنه يكتب لقادة الكنيسة إلى تيموثاوس وتيطس ليوجههم في واجباتهم الرعوية والدينية في كنائسهم. والرسائل الثلاث فيها تشابه مدهش بعضها مع بعض كما سأبين قريباً. ولكنها أيضاً ثلاث رسائل مختلفة ومنفصلة ربما بثلاثة أغراض مميزة تماماً كرسائل بولس المعتمدة والتي لكل منها غرض منفصل. وقبل أن أبين لماذا يعتبرها معظم العلماء مكتوبة من قبل شخص آخر غير بولس فأنا سأعطي خلاصة صغيرة لكل رسالة.

خلاصة الرسائل:

الرسالة الأولى إلى تيموثاوس يزعم أنها رسالة من بولس إلى زميله الأصغر تيموثاوس الذي خلفه ليكون رأس الكنيسة في مدينة أفسس. في الرسالة يعطي «بولس» تعليمات لتيموثاوس تتعلق بالطريقة التي عليه أن يدير بها الكنيسة وينظمها. فعليه أن يقاوم جماعات من المعلمين الكاذبين الذين يقدمون نظريات غريبة تتضمن «خرافات وأنساب» ويروجون لنوع من حياة الزهد القاسية كرياضة روحية فيها الزواج مثلاً محرم ويجب مراعاة تقييدات غذائية شديدة. وعليه أن يتأكد أن يعين الشخص المناسب في الوظائف الكنسية مثل الأسقف والشماس. وبشكل خاص يجب أن يشغل المناصب الكنسية فقط الرجال المتزوجون، وليس الداخلون حديثاً في الدين، والذين يعيشون حياة مستقيمة. معظم الرسالة يعطي توجيهات للمسيحيين عن كيفية سلوكهم مع أنفسهم ومع بعضهم بعضاً وكيف يصلون وكيف يتعاملون مع المسنين والأرامل وكيف تكون علاقتهم بالغنى المادي.

من بين المشاكل المختلفة التي يعالجها مؤلف تيموثاوس رقم 1 دور النساء في الكنيسة. وفي مقطع حاد اللهجة يشير المؤلف إلى أن النساء يجب أن يكن خاضعات للرجال وألا يمارسن أي سلطة على الرجال من خلال التعليم مثلاً. وبدلاً من ذلك عليهن أن «يبقين صامتات». وبالنسبة للمؤلف هكذا يجب أن تكون الأمور كما جرت رؤيتها في البدايات الأولى في جنة عدن عندما أغوت حواء أول رجل وهو آدم وأكل الثمرة المحرمة.

لقد كانت كلها خطيئة المرأة. لكنها (المرأة) يمكن أن تنجو «بحملها للأطفال» كما يؤكد المؤلف (انظر 2: 11 ـ 15) أي أن النساء عليهن أن يكن صامتات خاضعات وحوامل.

ورغم أن الرسالة تيموثاوس رقم 2 موجهة إلى الشخص ذاته فإنها مكتوبة لحالة مختلفة. في هذه الحالة من المفترض أن بولس يكتب من السجن في روما (لم يخبرنا أحد أين تمت كتابة الرسالة تيموثاوس رقم 1) وقد قدم للمحاكمة وكان ينتظر محاكمة ثانية قريباً بعد ذلك والتي سيتم فيها الحكم عليه بالموت. إنه كتب الرسالة لتيموثاوس ليشجعه على الاستمرار بواجباته الرعوية وأن يستأصل المعلمين الكاذبين الذين تسللوا إلى الكنيسة. ويعبر بولس في الرسالة عن قدر كبير من محبته واهتمامه بتيموثاوس. إنها لدرجة كبيرة الرسالة الأكثر خصوصية بين الرسائل الرعوية، وهو يأمل أن يتمكن تيموثاوس من اللقاء به في روما قريباً وأن يحضر له بعضاً من ممتلكاته الشخصية.

يبدو كتاب تيطس شبيهاً جداً بكتاب تيموثاوس رقم 1 كما لو كان تقريباً نسخة منقولة عن مجلة ريدرز دايجست للرسالة الأطول. لكنها موجهة من بولس إلى تيطس وهو زميل آخر يفترض أنه راعي الكنيسة في جزيرة كريت. يكتب بولس ليجعل ممثله يقوم أولئك الذين يبلغون تعاليم باطلة والتي تدور حول «أنساب» و «خرافات» وأيضاً يعطي توجيهات لجماعات متعددة ضمن الكنيسة كالرجال المسنين والنساء المسنات والنساء الشابات والرجال الشباب والعبيد.

الشكوك العلمية الأولى حول الرسائل:

هذه الرسائل الثلاث مهمة لمناقشتنا بشكل خاص لأنها كانت أول كتب بولس في تاريخ الدراسات العصرية تم الجدل حولها بشكل مكثف على أنها كتب مزورة. جاءت اللحظة الكبيرة في عام 1807 مع نشر رسالة كتبها العالم الألماني فريدريك شلايرماخر (Schleiermacher). وكان من أهم اللاهوتيين المسيحيين في القرن التاسع عشر. وكان يشتهر بدفاعه عن العقيدة المسيحية ضد «الكارهين المثقفين» كما اشتهر بتطوير أفكار لاهوتية مميزة أثرت على علماء اللاهوت كثيراً في القرن العشرين. وما يزال يوجد حتى اليوم علماء يتخصصون في دراسة أعمال

وتعليم شلايرماخر. ومن بين كتاباته الكثيرة توجد رسالة مفتوحة مرسلة إلى أحد رعاة الكنيسة في عام 1807 حاول فيها أن يبين أن الرسالة تيموثاوس رقم 1 لم يكتبها بولس.

قال شلايرماخر إن تيموثاوس رقم 1 استخدمت كلمات وأفكاراً تتناقض مع مثيلاتها في رسائل بولس الأخرى بما فيها تيموثاوس رقم 2 وتيطس. إضافة إلى أن التعاليم الباطلة التي هوجمت في الرسالة لا يبدو أنها تشبه أي شيء نعرفه من أيام بولس. وبدلاً من ذلك فهي تبدو كهرطقات من القرن الثاني والتي تسمى عادة «غنوصية».

ومثل ماركيون ادعى الغنوصيون المسيحيون أن هذا العالم ليس من خلق الإله الواحد الحقيقي. ولكن الغنوصيين يختلفون عن ماركيون بأنهم لم يعتقدوا أن هناك إلهين اثنين. لقد قالوا إنه كان هناك كثير من الكائنات السماوية في العالم القدسي وجدوا كلهم في وقت ما من الأزل القديم وأن هذا العالم خلق عندما سقط أحد تلك الكائنات السماوية من العالم القدسي واحتبس في هذا العالم المادي البائس (9). دعت الأديان الغنوصية إلى أن بعضنا لديهم ومضة من العالم القدسي محتجزة في أبداننا. وسيأتي الخلاص لتلك الومضة فقط عندما تتعلم الحقيقة من أين جاءت ومن هي حقاً. أي أن العنصر الداخلي للشيء المقدس في داخلنا يحتاج إلى الحصول على «المعرفة» الحقيقية الغامضة التي يمكن أن تحرره. في اللغة اليونانية كلمة «معرفة» هي (gnosis) وهكذا فهذا النوع من الأديان يسمى غنوصية. وحسب رأي المسيحيين الغنوصيين فإن المسيح يأتي بالخلاص بإعطائه المعرفة السرية ليس بالموت على الصليب مثلاً. وبما أن الغاية من الخلاص كانت للنجاة من مصائد الجسد البشري فإن كثيراً من الغنوصيين كانوا زاهدين بشكل قاس ويحثون أتباعهم على معاملة أجسادهم بقسوة في موضوع الطعام مثلاً وفي تجنب الملذات الجنسية.

جادل شلايرماخر أن «الخرافات والأنساب» التي جاءت معارضتها في تيموثاوس رقم 1 تبدو شبيهة بالأساطير التي جاء بها هؤلاء الغنوصيون لاحقاً في القرن الثاني. وفيما يتعلق بمسائل الكتاب الأخرى كمفردات الرسائل التي لم يكتبها بولس فإن هذا يبين أنها كانت إنتاجاً متأخراً زور باسم بولس. وبعد مدة قصيرة من

كتابة شلايرماخر لمقالته تقدم علماء آخرون وقالوا بأنه لم يكن فقط محقاً بشأن الرسالة تيموثاوس رقم 1 بل إن الرسالتين الرعويتين الأخريين كتبتا من قبل الشخص نفسه، فالثلاثة رسائل كلها مزورة.

الدراسات الحالية: هل الرسائل مزورة؟

لقد تم تكريس قدر غير معقول من الدراسات للرسائل الرعوية فقط في السنوات الثلاثين أو الأربعين الماضية بعد مائتي عام من شلايرماخر وكثير من تلك الدراسات مملة بالنسبة للشخص العادي ولكنها مدهشة لأولئك الذين هم علماء غير عاديين بيننا. وأنا لا أستطيع أن ألخصها جميعاً هنا. بدلاً من ذلك أنا فقط أقدم بضعة أسباب للاعتقاد بأن كل الرسائل الثلاث كتبت من قبل الشخص نفسه وأن هذا الشخص لم يكن بولس (10).

علي أن أقر من البداية أن بعض العلماء جادلوا بشدة أن تيموثاوس رقم 2 مختلفة كثيراً عن الكتب الأخرى بحيث يجب النظر إليها بشكل منفصل كأن تكون مكتوبة من قبل شخص آخر مختلف عن الآخرين وربما كان بولس نفسه (11). ولمدة تقرب من عام أو قريب من ذلك قبل البدء بكتابة هذا الكتاب أنا بنفسي بدأت أميل بشكل متزايد لهذه النظرة. ولكني بعد ذلك قمت ببعض البحوث الأخرى حول الموضوع وأنا الآن مقتنع كلياً أنه أياً كان الشخص الذي كتب تيموثاوس رقم 1 لابد أنه كتب تيموثاوس رقم 2. والسبب هو أنهما تشتركان لحد كبير بكثير من العلاقات اللفظية وأوجه الشبه حتى أنه لا يمكن أن يكون ذلك شيئاً عرضياً. انظر فقط كيف تبدأ الرسالتان:

تيموثاوس 1: «بولس رسول يسوع المسيح... إلى تيموثاوس... نعمة ورحمة وسلام من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا..».

تيموثاوس 2: «بولس رسول يسوع المسيح... إلى تيموثاوس... نعمة ورحمة وسلام من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا».

إنهما فعلياً نفس الشيء والأهم من ذلك لا توجد رسالة أخرى لبولس تبدأ بهذا الشكل. فإما أن تكون الرسالتان لنفس المؤلف أو أن أحد المؤلفين يقلد كتابة الآخر. لكن هناك أسباباً للاعتقاد أن الرسالة ليست عمل مقلد. لسبب واحد وهو

أنه يوجد الكثير الكثير من التوافقات اللفظية من نوع مشابه. كلا الرسالتين تحويان كلمات وعبارات مشتركة لا توجد في أية رسائل أخرى تنسب لبولس مثل: «وعد الحياة»؛ «بضمير نقي»؛ «من قلب طاهر»؛ «احفظ الوديعة (وديعة الإيمان)»؛ وبولس هو «كارز ورسول ومعلم» وغير هذا كثير. إن المدهش ليس أن هذه العبارات وكثير مثلها غيرها موجودة في هاتين الرسالتين لكن لأنها موجودة فقط في هاتين الرسالتين.

لهذا السبب أقول إن واحدة من الرسالتين كتبت من قبل مقلد يستخدم الرسالة الأخرى كنموذج. لأن فعل ذلك كان ليتطلب من المقلد ليس فقط أن يعرف أي كلمات أو عبارات هي ضرورية في الرسالة الأولى. ولكن أيضاً عليه أن يعرف أي من هذه الكلمات والعبارات كانت في الوقت ذاته غير مستخدمة من قبل بولس نفسه. وأنا أفترض أنه يمكن من الناحية النظرية أن أحد طلاب بولس الأذكياء في القرن الأول قرأ كل رسائل بولس وعمل قائمة بالكلمات التي وردت فيها ثم قرأ الرسالة تيموثاوس رقم 1 وعمل قائمة بالكلمات الهامة فيها وقارن بين القائمتين وقرر أن يكتب رسالة أخرى إلى تيموثاوس مستخدماً كثيراً من المفردات والعبارات التي وردت في القائمة الثانية وليس في الأولى. لكنها حقاً توسع الخيال. من الأسهل بكثير أن نعتقد أن أياً كان كاتب إحدى الرسائل فقد كان لديه تعابير مفضلة واستخدمها في الرسالة الأخرى أيضاً. إن الأمر بالضبط هو أن هذه التعابير لم يكن بولس يستخدمها (12).

هذا هو أحد الأسباب التي جعلت العلماء من القرن التاسع عشر فصاعداً مقتنعين أن بولس لم يكتب الرسائل. فالمفردات وأسلوب الكتابة يختلفان تماماً عن الرسائل الأخرى لبولس. وفي عام 1921 كتب العالم البريطاني أ. ن. هاريسون (Harrison) دراسة هامة عن الرسائل الرعوية وقدم فيها إحصائيات عديدة حول استخدام الكلمات في هذه الكتابات. واحدة من أكثر الإحصائيات المستخدمة ذكرت أنه يوجد 848 كلمة مختلفة استخدمت في الرسائل الرعوية. من ذلك الرقم 306 ـ أي أكثر من ثلثها ـ لا ترد في أي من رسائل بولس في العهد الجديد. وهذا يعتبر رقماً كبيراً بشكل هائل، خصوصاً إذا سلمنا بأن ثلثي هذه الكلمات الـ 306

يستخدمها مؤلفون مسيحيون يعيشون في القرن الثاني. وهذا يدل على أن هذا المؤلف يستخدم مفردات أخذت تشيع بعد زمان بولس وأنه هو أيضاً كان يعيش بعد بولس (13).

ارتاب عدد من العلماء في استخدام هاريسون للإحصائيات لأنه كما نعلم جميعاً بأنك تستطيع جعل الإحصائيات تقول تماماً ما تريد أن تقوله. لكن الجدال حول استخدام الكلمات قد تم تهذيبه بشكل متزايد عبر السنوات التسعين منذ أن كتبها وفي كل دراسة عملها تقريباً يتضح أن استخدام المفردات في الرسائل الرعوية مختلف عنه في رسائل بولس الأخرى (14). وفي نفس الوقت ربما لا ينبغي أن نضع ثقة كبيرة في مجرد أرقام.

في الواقع إن الجميع يستخدمون كلمات في مناسبات مختلفة ومعظمنا لديه مخزون لغوي أكبر بكثير من المفردات التي تظهر في أي رسالة أو مجموعة رسائل نكتبها.

المشكلة هي أن عدداً كبيراً من العوامل وكلها يبدو أنها تشير إلى نفس الاتجاه مبينة أن هذا المؤلف ليس بولس. أولاً يستخدم هذا المؤلف نفس الكلمة كما يفعل بولس ولكنه يعني بها شيئاً آخر. فكلمة «إيمان» كانت ذات أهمية عظيمة بالنسبة لبولس. وفي كتب مثل الرسالة إلى رومية والرسالة إلى غلاطية الإيمان يشير إلى الثقة التي يضعها شخص ما في المسيح لتجلب له الخلاص من خلال موته. أي أن الكلمة تصف علاقة مع شخص آخر فكلمة إيمان هي الثقة بالمسيح. ويستخدم مؤلف الرسائل الرعوية كلمة أو مصطلح «إيمان» ولكنه هنا ليس بمعنى علاقة مع المسيح، إيمان هنا يعني مجموع التعليم الذي يشكل الديانة المسيحية. ذلك هو «الإيمان» (انظر تيطس 1 : 13)؟ فنجد إذن نفس الكلمة ولكن بمعنيين مختلفين. وهكذا أيضاً الأمر في كلمات أو مصطلحات رئيسية أخرى مثل: «التقوى» أو الاستقامة والأهم من ذلك فإن بعض الأفكار والمفاهيم في الرسائل الرعوية تتناقض مع ما نجده في الرسائل التي كتبها بولس بشكل مؤكد. على سبيل المثال شاهدنا أن بولس مهتم بشدة بالنقاش القائل أن تنفيذ «أعمال الناموس» لا يمكن أن يساهم في جعل الرجل صالحاً عند الله.

لم يكن الناموس اليهودي هو الذي يمكن أن يجلب الخلاص بل موت وقيامة المسيح. وعندما يتحدث بولس عن «أعمال» فهذا هو ما يقصده: إنه فعل الأشياء التي يطلبها الناموس كالاختتان وأكل الأطعمة (الكوشر) (المسموح بها عند اليهود) ومراعاة السبت (عدم العمل يوم السبت). لكن في الرسائل الرعوية لم يعد الناموس اليهودي مشكلة ويتحدث المؤلف عن أعمال يسميها «أعمالاً صالحة» أي فعل الخير نحو الآخرين. يرد هذا التعبير بهذا الشكل ست مرات في تيموثاوس رقم 1 وحدها.

هذا المؤلف يهمه أن يبين أن الإنسان بكونه رجلاً ذا أخلاق حسنة لا يمكنه الحصول على الخلاص. وذلك قد يكون صحيحاً لكنه مختلف تماماً عن فكرة بولس، فقد كان يهمه إن كنت حافظت على الناموس اليهودي كوسيلة للخلاص (فلا ينبغي لك ذلك) وليس إن كنت عملت أعمالاً صالحة من أجل ذلك.

أو خذ فكرة أخرى كلياً وهي موضوع الزواج. في الرسالة إلى كورنثوس رقم 1 الإصحاح رقم 7 يلح بولس على أن الأشخاص العازبين ينبغي أن يبقوا كذلك مثله تماماً. وسبب ذلك هو أن نهاية كل شيء قريبة وأن على الناس أن يكرسوا أنفسهم لنشر الكلمة لا أن يؤسسوا حياتهم الاجتماعية. لكن كيف يتفق هذا مع الفكرة في الرسائل الرعوية؟ يصر المؤلف هنا أن على قادة الكنيسة أن يكونوا متزوجين. في رسائل بولس من الأفضل أن يكون المرء غير متزوج وفي الرسائل الرعوية يطلب من الناس (على الأقل قادة الكنيسة) أن يكونوا متزوجين.

أو فكر حول القضية الأساسية في كيفية «خلاص» الإنسان أو نجاته. بالنسبة لبولس ذاته إن خلاص الإنسان ممكن من خلال موت يسوع وقيامته. وبالنسبة للرسائل الرعوية؟ من أجل النساء، على الأقل، يقال لنا في الرسالة إلى تيموثاوس رقم 1 الإصحاح رقم 2 بأنهن سوف «ينجون» بولادتهن للأطفال. ومن الصعب أن نعرف ماذا يعني ذلك بالضبط ولكنه لا يعني ما قصده بولس.

ولربما كانت أكبر مشكلة في قبول الرسائل الرعوية على أنها من بولس له علاقة بالوضع التاريخي الذي يبدو أن الرسائل تفترضه مقدماً. وقد اعتقد بولس، مثل عيسى قبله، أنه كان يعيش في آخر الدهر. عندما رفع يسوع من بين الأموات

كانت تلك علامة أن النهاية قد بدأت وان بعث الأموات المستقبلي على وشك الحدوث. وحسب الاعتقاد اليهودي كانت القيامة ستأتي عندما ينتهي هذا العصر. ولهذا السبب سمى بولس عيسى «أول ثمار البعث» أو القيامة. في الرسالة الأولى إلى الكورنثيين (15: 20). وهي تشبيه زراعي. فعمال المزارع يحتفلون في اليوم الأول من جني المحاصيل بإقامة حفلة تلك الليلة وهذا يحيي ذكرى «أول ثمار» الحصاد. ومتى يخرجون لإحضار باقي المحاصيل؟ في اليوم التالي - وليس بعد عشرين سنة أو ألفي سنة بعد ذلك. إن عيسى هو أول الثمار لأن به بدأت القيامة وقريباً سيقوم الجميع - جميع الأموات - من أجل الحساب. ولهذا السبب يعتقد بولس أنه بالذات سيكون حياً عندما يعود يسوع من السماء (انظر الرسالة إلى تسالونيكي رقم 1، الإصحاح 4: 14 - 18).

ولكن في هذه الأثناء ينبغي للكنيسة أن تكبر وتبقى في العالم. وظن بولس أنه في هذه الفترة المؤقتة القصيرة ما بين قيام عيسى ونهاية الدهر فإن روح الله أعطيت للكنيسة ولكل فرد يقيم ويبني الكنيسة وعندما يعمّد الشخص فإنه يتلقى الروح (كورنثيين 1 الإصحاح 12: 13) والروح يعطي الإنسان «موهبة» روحية. بعض الذين تلقوا التعميد أعطيت لهم موهبة التعليم وآخرون أعطوا موهبة النبوة وآخرون الشفاء وآخرون التحدث بألسنة ملائكية وآخرون لهم موهبة ترجمة تلك الألسنة.

كل هذه المواهب كان المقصود منها أن تساعد الأمة المسيحية بأن تعمل مع بعضها البعض كوحدة متكاملة (الرسالة إلى الكورنثيين رقم 1، الإصحاح 12: 14). وليس أي من المواهب قليلاً أو لا قيمة له. فكلها مؤثرة. والجميع في الكنيسة أعطيت لهم مواهب بالتساوي من أجل ذلك فالكل في الكنيسة متساوون. العبيد بمستوى الأسياد والنساء مساويات للرجال. ولهذا استطاع بولس أن يقول: «في المسيح ليس هناك عبد ولا حر ولا ذكر ولا أنثى» (الرسالة إلى أهل غلاطية إصحاح 3: 28). وكان هناك مساواة. وعندما نشأت المشاكل في إحدى كنائس بولس - كما في كنيسة كورنث - والتي لدينا عنها أفضل التوثيق - كتب بولس لمعالجتها.

من الممتع قراءة مراسلاته مع أهل كورنث. لقد كانت الكنيسة في اضطراب وكان هناك انقسامات وحوادث تقاتل داخلية وكان بعضهم يأخذ الآخرين إلى

المحكمة المدنية وكانت خدمات العبادة في حالة فوضى وكان هناك نزاعات حول قضايا أخلاقية مثل ما إذا كان يحل أكل اللحم الذي تمت تضحيته أمام أصنام وثنية. وبعضهم أنكر وجود بعث للأجساد في المستقبل وانتشرت كذلك رذائل رهيبة ـ بعض الرجال كانوا يذهبون لزيارة المومسات ويتباهون بذلك في الكنيسة وكان أحد الأفراد ينام مع زوجة أبيه. ومن أجل معالجة هذه المشاكل يلتجئ بولس إلى الكنيسة ككل وللأفراد فيها. ويحضهم على استخدام مواهبهم الروحية من أجل منفعتهم المشتركة.

ويتوسل إليهم كي يعملوا يداً واحدة ويحثهم على أن يبدؤوا بالتصرف بأسلوب خلقي. ويؤنبهم لعدم قبولهم التعليم الصحيح مثل رفض الإيمان بالبعث في المستقبل. .

الشيء الوحيد الذي لا يفعله بولس هو الكتابة إلى قادة الكنيسة في كورنث وإخبارهم أن يضبطوا رعاة الأبرشيات. لم كان ذلك؟ لأنه لم «يكن يوجد» قادة للكنيسة في كورنث. لم يكن هناك أساقفة ولا شمامسة. ولم يكن هناك قساوسة. كان هناك عدد من الأفراد ولكل منهم موهبته الروحية في هذا الوقت القصير قبل أن تأتي النهاية. قارن ذلك مع ما كان لديك في الرسائل الرعوية. هنا لا يوجد أفراد منحت لهم الروح ليعملوا معاً ويشكلوا المجتمع. هنا لديك القساوسة تيموثاوس وتيطس. لديك قادة الكنيسة: الأساقفة والشمامسة. لديك بناء تنظيمي هرمي أي أن لديك وضعاً تاريخياً مختلفاً عما كان يوجد في أيام بولس.

إن كنت تتوقع عودة يسوع قريباً ولنقل في وقت ما هذا الشهر فليس هناك ضرورة لبناء تنظيمي هرمي وقيادة. بكل بساطة تحتاج إلى أن تتدبر الأمر لهذه الفترة القصيرة. ولكن إن لم يرجع يسوع وتحتاج إلى أن تستقر لفترة طويلة فسوف تكون الأمور مختلفة. عليك أن تنظم نفسك وعليك أن يكون لديك قيادات. عليك أن تهيئ من يدير العرض. عليك أن يكون لديك معلمون قادرون على إزالة التعليم الفاسد في وسط جماعتك. وعليك أن تحدد كيف تكون علاقة الأشخاص مع بعضهم بعضاً من الناحية الاجتماعية: السادة مع العبيد، الأزواج مع زوجاتهم والآباء مع الأطفال. في التسلسل الطبقي لا يوجد مساواة بل هناك قيادة. وهذا ما

تجده في الرسائل الرعوية - هناك كنائس مستقرة لفترة طويلة. لكن ليس هذا ما تجده في بولس التاريخي. بالنسبة لبولس التاريخي لم يكن هناك توقع لفترة طويلة. لقد كانت النهاية وشيكة القدوم.

كما قلت في بداية هذه المناقشة كان بعض العلماء راغبين في التسليم بأن الرسالة إلى تيموثاوس رقم 1 وتيطس المرتبطة كثيراً بـتيموثاوس رقم 1 هما كتابتان مزورتان، ولكن تيموثاوس رقم 2 قد تكون آتية من بولس. وقد حاولت أن أبين أن هذه الفكرة لا تصلح لأنه أياً كان الذي كتب تيموثاوس 1 فقد كتب الرسالة تيموثاوس 2 أيضاً. فإذا كانت واحدة مزورة فكذلك تكون الثانية. وهذا لا يعني أن الرسالتين تعالجان نفس الاهتمامات أو أنهما كتبتا لنفس الغاية؛ إنما تعني أن نفس المؤلف قد كتبهما. لكن هناك فكرة تثار أحياناً وهي أن هناك الكثير من المعلومات الشخصية في تيموثاوس 2 ومن الصعب أن نرى كيف أمكن تزويرها. مثلاً لماذا يخبر مزور قارئه المفترض (الذي لم يكن في الواقع قارئه!) أن يتأكد من إحضار عباءته له عندما يأتي ويحضر له أيضاً الكتب التي تركها (تيموثاوس رقم 2 إصحاح 4: 13)؟

هذا الاعتراض تمت الإجابة عليه بشكل مقنع من قبل أحد العلماء الكبار حول التزوير القديم وهو نوبرت بروكس (Brox) الذي يعطي دليلاً قوياً أن هذا النوع من «احتمال الصدق» (كما نسميه في الفصل الأول) هو شيء نمطي (نموذجي) بالنسبة لحالات التزوير.

إن جعل الرسالة تبدو «حميمية» يبعد الشك عنها بأنها مزورة. والملاحظات الشخصية في تيموثاوس 2 (وهناك ملاحظات أقل في تيطس وأقل من ذلك أيضاً في تيموثاوس 1) تساعد إذن في لإقناع القراء أنها حقاً من كتابة بولس رغم أنها ليست كذلك (15). ولكن لماذا يزور مؤلف رسائل كهذه؟

لماذا زورت الرسائل الرعوية؟

إن الجواب الأكثر احتمالاً هو أن المؤلف هو شخص يواجه مشكلات جديدة في جيل بعد بولس، مشكلات لم يعالجها بولس نفسه وهو يريد أن يتعامل معها باسم سلطة أو مرجع موثوق مسموع الكلمة. ومن في كنائس بولس يملك سلطة أكثر من بولس نفسه؟ لذلك تعامل المؤلف مع مشكلة التعليم الباطل مثلاً لأولئك

الذين يقدمون «خرافات وأنساباً» في الرسالة تيموثاوس رقم 1. وتعامل مع المعلمين الكاذبين الآخرين الذين ادعوا أن القيامة «قامت من قبل» في الرسالة تيموثاوس 2. وعالج أيضاً مشكلات تتعلق بقيادة الكنيسة ومشكلات حول أدوار النساء في الكنيسة. وقد فعل كل ذلك مدعياً أنه بولس.

لقد فكر بعض العلماء أن شيئاً أكثر دقة أيضاً ربما سبب هذه الاختلاقات. في دراسة مشوقة جداً أو مؤثرة يناقش العالم الأمريكي دنيس ماكدونالد (MacDonald) قائلاً إن الرسائل الرعوية كتبت لمجابهة الأفكار التي تم تداولها في القصص المتعلقة بالقديسة تقلا (16). صحيح أن «أعمال بولس»، حيث توجد الآن قصص تقلا. ربما كتبت لاحقاً بعد الرسائل الرعوية بما يقرب من سبعين إلى ثمانين سنة. لكن القصص المسجلة في أعمال بولس كانت في التداول لزمن طويل جداً قبل أن يختلق الكاهن في آسيا الصغرى روايته. ويطرق لافتة للنظر نرى أن الأفكار الموجودة في قصص تقلا تتباين مع الأفكار التي ينادي بها في الرسائل الرعوية. هل يمكن أن تكون واحدة منها كتبت لتوثق فكرة مخالفة تحت سلطة بولس؟

في أعمال بولس نجده يحط من قدر الزواج. وفي الرسائل الرعوية هناك تشجيع على الزواج؛ وقادة الكنيسة «يطلب منهم» أن يكونوا متزوجين. وفي أعمال الرسل يعتبر العمل الجنسي مداناً؛ وفقط بالبقاء عفيفاً يمكنك أن تدخل ملكوت السماء.

في الرسائل الرعوية هناك حض على العمل الجنسي: فالنساء ينجون فقط بولادة الأطفال. في أعمال بولس مسموح للنساء ـ وخصوصاً تقلا ـ بالتعليم وممارسة السلطة. في الرسائل الرعوية على النسوة أن يكن صامتات وخاضعات ولا يسمح لهن بالتعليم ولا بممارسة السلطة. وبما أن الرسائل الرعوية تعارض مباشرة الأفكار الموجودة في القصص الموجودة في أعمال بولس فإن مكدونالد يقول إن الرسائل تم تزويرها من قبل شخص سمع بالقصص المؤلفة حول تقلا وأراد أن يجعل السجل مباشرة من وجهة نظر بولس «الحقيقية».

وهذه المناقشة مقبولة جداً وقد تكون صحيحة. وبالنسبة لكثير من العلماء أكبر مشكلة فيها تتعلق بتواريخ المواد.

أعمال بولس ربما كتبها كاهن آسيا الصغرى بعد عدة عقود من الوقت الذي كتبت فيه الرسائل الرعوية. والقصص التي استخدمها ربما كانت أقدم بكثير ولكن بدون دليل مؤكد من الصعب أن نقول ذلك. ولذلك فإن بناءً تاريخياً مختلفاً ربما يكون معقولاً أكثر.

ويجري الأمر بهذا الشكل: كانت كنائس بولس منقسمة في كثير من النواحي كما رأينا. وإحدى الانقسامات تتضمن مشكلة الجنس وممارسة الجنس والفرق بين الجنسين. بعض المسيحيين التابعين لبولس كانوا يعتقدون أن النساء يجب أن يعاملن كمساويات للرجال وأن تعطى لهن مكانة مساوية ويعطى لهن سلطة مع الرجال بما أن بولس قال إنه «في المسيح لا يوجد ذكر ولا أنثى» (غلاطية إصحاح 3: 28). ومسيحيون تابعون لبولس آخرون اعتقدوا أن النساء مساويات للرجال فقط «في المسيح» وكانوا يقصدون «نظرياً» وليس في الواقع الاجتماعي. وكان هؤلاء المسيحيون حريصين على التقليل من حدة تأكيد بولس على النساء وقد قرر أحدهم أن يكتب مجموعة رسائل، الرعوية، التي وثقت رأيه باسم بولس. وكانت لديه قضايا أخرى أراد معالجتها أيضاً. وهي طبيعة القيادة في الكنيسة، والحاجة إلى كبح التعليم الباطل، وعلاقات العبيد والسادة، والآباء والأطفال وهلم جرا. وقد جمع كل هذه القضايا المتعددة في مجموعة من الرسائل وكتبها باسم بولس وزورها ليقدمها باللهجة السلطوية التي تلزم لها.

لكن لم يقتنع الجميع ولم يقبلوا بأن الرسائل مصدرها بولس، ولنتذكر أن ماركيون مثلاً لم يكن يملكها (من الصعب أن نعرف إن كان يدري بها) إضافة إلى أن الشخص الآخر للانقسام حول دور المرأة لم يتضرر بسبب ظهور الرسائل الرعوية. وقد استمرت في الوجود وهي ترى أن بولس معارض للزواج والجنس ولكنه نصير للنساء.

هذا الطرف الآخر كان يحكي قصصاً حول بولس تدعم آراءهم وبالتالي بدأت تلك القصص تركز على واحدة من أتباع بولس الرئيسيين وهي تقلا. وفي أحد الأوقات في القرن الثاني كلا المجموعتين من الوثائق كانت واسعة الانتشار: القصص المزورة حول بولس وتقلا، والرسائل المزورة لبولس التي انتهى بها الأمر لإدراجها في العهد الجديد.

الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيك:

عندما كنت مسيحياً إنجيلياً محافظاً في أواخر سني مراهقتي وفي أوائل العشرينات من عمري كان هناك أشياء قليلة كنت متأكداً منها دينياً أكثر من حقيقة أن عيسى قريباً سيعود من السماء ليأخذني وزملائي المؤمنين من هذا العالم عند «النشوة» قبل مجيء المحنة النهائية. وقد قرأنا كل أنواع الكتب التي كانت تدعم وجهة نظرنا. وقليل من الناس في الوقت الحاضر يدركون أن الكتاب الأكثر مبيعاً باللغة الإنكليزية في السبعينيات سوى الإنجيل كان كتاباً اسمه «كوكب الأرض العظيم المرحوم» والذي كتبه المسيحي الأصولي كريستيان هال لندسي (Lindsey).

كتب لندسي هذا الكتاب بناء على دراسة دقيقة (أو غير دقيقة بناء على وجهة نظرك) لسفر الرؤيا وكتب إنجيلية أخرى عن النبوءات وكان واثقاً حول ما سيتكشف في الشرق الأوسط عندما تشتبك القوى العظمى كالاتحاد السوفيتي والصين والاتحاد الأوربي وأخيراً الولايات المتحدة في مجابهة شاملة تؤدي إلى دمار نووي شامل مباشرة قبل عودة المسيح. وكان يقال لنا إن كل ذلك لابد أن يحدث قبل نهاية فترة الثمانينات (من القرن العشرين) كما جاء في الأسفار المقدسة ذاتها.

ومن الواضح أن ذلك لم يحدث أبداً. والآن لم يعد هناك اتحاد سوفيتي ولكن ذلك لم يمنع الناس من الكتابة كيف أن النهاية ستأتي قريباً جداً الآن في زماننا هذا.

في مقدمة الواجهة الحديثة لمبيعات الكتب الآن والتي تتضاءل أمامها كتب هاري بوتر هناك سلسلة كتب ذات مجلدات عديدة اسمها «المتخلفون» (Left Behind) حول أولئك الذين لن يؤخذوا في النشوة الوشيكة. كتبت هذه الكتب بالتشارك بين جيري جنكنز وتيموثي لاهاي (Lahaye) والأخير يتمتع بشهرة طويلة في تأليف الكتب مع زوجته، بفرلي، حول الجنس للمسيحيين.

ما لا يدركه معظم الملايين من الناس الذين يعتقدون أن عيسى سيأتي قريباً في زماننا، هو أنه دائماً كان هناك مسيحيون اعتقدوا ذلك أيضاً في أزمانهم هم. لقد كانت هذه فكرة سائدة وسط المسيحيين المحافظين في أوائل القرن العشرين والقرن التاسع عشر والقرن الثامن عشر وفي الثاني عشر وفي القرن الثاني وفي القرن الأول - في الواقع في كل قرن تقريباً. والشيء الذي كان مشتركاً لدى كل الذين اعتقدوا

ذلك هو أن كل واحد منهم كان مخطئاً بشكل واضح ولا يقبل الجدل وبولس بالـذات اعتقد أن نهاية العالم كانت ستأتي في عصره.

ولا أدل على ذلك مما نجده في إحدى رسائله التي كتبها بالتأكيد وهي الرسـالة رقم 1 إلى أهل تسالونيك. لقد كتب إلى المسيحيين في تسالونيك لأن بعضهم كـان متضايقاً من موت عدد من أتباعهم المؤمنين. وعندما حول هؤلاء الناس إلى النصرانية علمهم بولس أن نهاية العصر كانت وشيكة وأنهم قريباً سيدخلون المملكـة عندما يعود يسوع. لكن بعض أفراد الجماعة ماتوا قبل أن يحدث ذلك. فهل فـاتهم المثوبة السماوية؟ يكتب بولس ليؤكد للذين بقوا أحياء ويقول لهم: لا، حتى الـذين ماتوا سيتم المجيء بهم إلى المملكة في الحقيقة، عندما يعود يسوع في بهاء فوق غيـوم السماء «الراقدون بيسوع سيبعثون أولاً، ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعـاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء» (إصحاح 4: 17). اقرأ العبارة بعناية: بولس يتوقع أن يكون واحداً من الذين سيبقون أحياء عندما يحدث ذلك.

ويتابع بولس قائلاً إن ذلك سيحدث بشكل مفاجئ وغير متوقع.

وإن ذلك اليوم سيأتي «مثل لص في الليل» وعندما يعتقد الناس أن كـل شيء على ما يرام «سيفاجئهم هلاك بغتة» (إصحاح 5: 2 ـ 3). فعلى أهالي تسالونيك أن يبقوا على حذر مستعدين لأنه كما يحصل في آلام المخاض للمرأة الحامل يمكننـا أن نعرف أن الولادة ستكون قريبة جداً ولكنك لا تستطيع أن تتنبأ باللحظة ذاتها.

وهذا التأكيد على أن عودة ظهور يسوع ستكون بشكل مباغت والتـي ستفاجئ الناس هذا بالضبط ما يجعل الرسالة الثانية، التي تم الزعم أن بولس كتبها إلى أهل تسالونيك، مثيرة جداً للاهتمام. هذه الرسالة عبارة عن كتاب حول المجـيء الثاني ليسوع ولكن الآن يتم معالجة مشكلة مختلفة تماماً. لقد «ضلل» القراء برسـالة كانت مزورة بشكل واضح باسم بولس (إصحاح 2: 2) وهي تقول أن «يوم الرب قريب». ومؤلف الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيك مدعياً أنه بولس يقول إن النهاية في الواقع ليست آتية فوراً. وأن هناك أشياء معينة يجب أن تحدث أولاً. سوف يكون هناك نوع من الهيجان والعصيان السياسي أو الديني وسوف يظهر مسيح دجـال يستولي على المعبد في القدس ويدعي أنه الله. عند ذلك فقط سيأتي «الرب يسوع» لـ «يبطله بنفخة من فمه» (إصحاح 2: 3 ـ 8).

بعبارة أخرى يمكن لأهـالي تـسالونيك أن يطمئنـوا أنهـم ليـسوا في اللحظـة الأخيرة من التاريخ التي يعود يسوع للظهـور فيهـا. إنهـم سيعرفون عنـدما يحين الموعد تقريباً من الأحداث التي ستظهر تحقيقاً لما في الكتـاب المقـدس. لكـن هـل يمكن أن تكون هذه للمؤلف نفسه الـذي كتـب الرسـالة الأخـرى وهـي الرسـالة الأولى إلى أهل تسالونيك؟ قارن بين نص ظهور المسيح في الرسـالة رقـم 2 والتـي بحسبها سوف يكون هناك مهلة لم تحن بعد ويسبقها أحداث ظاهرة مع الرسالة رقم 1 حيث يقال أن النهايـة ستأتي «كلـص في الليـل» يظهـر عنـدما لا يتوقـع النـاس ظهوره. يبدو أن هناك خلافاً مبدئياً بين تعاليم الرسالتين 1 و 2 لأهـالي تـسالونيك ولذلك فإن كثيراً من العلماء يعتقدون أن الرسالة الثانية لم يكتبها بولس (17).

ومن اللافت للنظر خصوصاً أن مؤلف الرسالة الثانية يشير بأنه علـم أتباعـه كل تلك الأمور مسبقاً عندما كان معهم (إصحاح 2: 5).

إن كان الأمر كذلك كيـف يـستطيع المرء إذن أن يفـسر الرسـالة الأولى؟ إن المشكلة هناك أن الناس يعتقدون بأن النهاية يفترض أن تأتي في أي يوم الآن بناء على ما قاله بولس لهم. ولكن بحسب الرسالة الثانية لم يقل أي شيء كهذا أبداً. لقد قـال بأن سلسلة كاملة من الأحداث لابد أن تظهر قبل مجيء النهاية. وكذلك إذا كان مـا قاله لهم كما تؤكد الرسالة الثانية فإنه يبدو غريباً أنه لم يـذكرهم بهـذا الـشيء أبـداً في الرسالة الأولى حيث من الواضح أنهم تعلموا شيئاً آخر.

لربما لم يكتب بولس الرسالة الثانية (إلى أهل تسالونيك). وهذا يجعل إحـدى ملامح الرسالة محيرة بشكل خاص. في نهاية الرسالة يـصر المؤلـف عـلى أن بـولس يقدم نوعاً من الدليل قائلاً: «أنا بولس أكتب».

وهذا يعني أن بولس كان يلقن الرسالة إلى كاتـب كتبهـا كلهـا حتـى النهايـة عندما وقع بولس بخط يده. وقد استطاع القراء أن يروا تغير خط الكتابـة ويميـزوا توثيق هذه الرسـالة عـلى أنهـا رسـالته في مقابـل الرسـالة المـزورة التـي ذكـرت في الإصحاح 2: 2. الغريب هو أن المؤلف يدعي أن هذه عادته التي لا تتغـير. ولكـن الأمر الآن ليس في كيفية إنهاء معظم الرسائل التي لا خلاف عليها بما فيهـا الرسـالة الأولى إلى أهل تسالونيك. الكلمات يصعب أن تفسر بأنهـا لبـولس ولكنهـا تكـون

ذات مغزى إذا كان المزور يحاول أن يقنع قراءه بأنه هو حقاً بولس. ولكن ربما تحتج الملكة بشكل زائد عن الحد؟؟

أخذ بعض العلماء مسألة التزوير إلى مدى أبعد قليلاً واقترحوا أن المؤلف، الذي ادعى بأنه بولس، حاول أن يهدئ قراءه لكي لا يضللوا بواسطة رسالة مزورة بعبارته («وكأنها من قبلنا») والتي تدعو، باسم بولس، إلى أن النهاية وشيكة جداً. إن المزور هو في الحقيقة يشير إلى الرسالة رقم 1 إلى أهل تسالونيك. ذلك شخص كان يعيش فيما بعد أراد أن يحرر قراءه من الرسالة التي علمها بولس نفسه حول النهاية الوشيكة بما أنها لم تقع على كل حال وبولس والجميع كانوا قد ماتوا في تلك الأثناء.

لذلك فإن مؤلفاً قدم شيئاً من الطمأنينة بتزوير رسالة مدعياً أن الرسالة الأصلية (المعتمدة) كانت مزورة. وسواء كان هذا صحيحاً أم لا فما يبدو مؤكداً نسبياً هو أن شخصاً ما بعد زمن بولس قرر أن يتدخل في القضية حين كان الناس ينتظرون النهاية بتلهف وهو يقترح أنهم كانوا يهملون واجباتهم الحياتية اليومية (إصحاح 3: 6 ـ 12) وقد فعل ذلك بأن كتب رسالة باسم بولس عالماً تماماً أنه شخص آخر يعيش في زمان لاحق. إذن يبدو أن الرسالة رقم 2 إلى أهل تسالونيك هي مثال آخر على التزوير المنسوب لبولس.

الرسالة إلى أهل افسس:

عندما كنت أدرس في أواسط الثمانينات (من القرن العشرين) في جامعة روتجرز (Rutgers) كنت أعطي بشكل منتظم مجموعة من الدروس حول حياة وتعاليم بولس. وأحد الكتب المقررة كان كتاباً عن بولس بقلم العالم البريطاني المحافظ ف.ف. بروس (Bruce) (18). وقد استخدمت الكتاب لأني كنت مخالفاً لكل ما ورد فيه تقريباً واعتقدت أنها فكرة جيدة لطلابي ليروا الجانب الآخر من القصة التي كنت أقولها في قاعة الدراسة.

أحد الأشياء التي اعتقدها ف.ف. بروس حول كتابات بولس هي أن الرسالة إلى أفسس هي أكثر رسائل بولس أصالة. وهو لم يعتقد فقط أن بولس كتبها بل اعتقد بأنها تضمنت أفضل من أي رسالة أخرى قلب وروح معتقد بولس الديني.

هذا ما كنت أعتقده أنا أيضاً في فترة ما في سنوات سابقة عندما كنت قد بدأت دراساتي. ثم تلقيت دورة عن العهد الجديد في معهد برنستون اللاهوتي مع البروفسور ج. كريستيان بيكر (Beker).

لقد كان بيكر عالماً هائلاً مختصاً بالكتابة عن بولس. وفي أواخر السبعينيات كتب دراسة ضخمة ومؤثرة عن معتقدات بولس اللاهوتية وهي من إحدى الدراسات العظيمة حقاً التي نشرت حول الموضوع (19). لقد كان بيكر مقتنعاً كلياً أن بولس لم يكتب الرسالة إلى أهل أفسس وأن الرسالة تمثل تحولاً جدياً في فكر بولس (20).

في الوقت الذي تلقيت فيه الدورة كنت متأكداً تماماً. لكن كلما درست القضية أكثر مع مقارنة دقيقة لما تقوله الرسائل إلى أهل أفسس مع ما يقوله بولس نفسه في الرسائل التي لا خلاف عليها كنت أزداد قناعة. في الوقت الذي كنت أدرس طلابي في روتجرز كنت متأكداً أن بولس لم يكتب الرسالة. واليوم يوافق غالبية علماء الإنجيل على ذلك. إن الرسالة قد تبدو شبيهة ببولس لكن عندما تعمق في الدراسة تظهر لك اختلافات وتناقضات كبيرة.

لقد كتبت الرسالة إلى المسيحيين غير اليهود (إصحاح 3 : 1) لتذكرهم أنه رغم أنهم كانوا يوماً ما بعيدين عن الله وشعبه، اليهود، فالآن قد تم تصالحهم وقد أصبحوا صالحين عند الله والحد الذي كان يفصلهم عن اليهود ـ الناموس اليهودي ـ قد تم تمزيقه بموت المسيح. والآن يعيش اليهود وغير اليهود بانسجام مع بعضهم بعضاً في المسيح وفي تناغم مع الله.

وبعد أن وضع هذه المجموعة اللاهوتية من الأفكار في الفصول الثلاثة الأولى (وخاصة الفصل الثاني) يتحول المؤلف إلى قضايا أخلاقية ويناقش الطرق التي يجب أن يعيشها أتباع يسوع لكي يبينوا الوحدة التي يمتلكونها في المسيح.

وأسباب الاعتقاد أن بولس لم يكتب هذه الرسالة عديدة ومؤكدة. وأحد الأسباب هو أن أسلوب الكتابة لا يخص بولس. فبولس عادة يكتب جملاً قصيرة محددة أما الجمل الموجودة في الرسالة فهي طويلة ومعقدة. في اللغة اليونانية نجد أن العبارة الافتتاحية لتقديم الشكر (إصحاح 1 : 13 ـ 14) ـ كل الآيات الاثني عشر ـ هي جملة واحدة. ليس هناك عيب في وجود جمل طويلة جداً في اللغة اليونانية. وهذا

بالضبط ليس أسلوب بولس. إنه يشبه أساليب مارك توين ووليام فوكنر (أديان أمريكيان) وكلاهما كان يكتب بشكل صحيح ولكنك لن تخطئ في تمييز أحدهما عن الآخر. وقد أشار بعض العلماء إلى أن الجمل المائة أو ما يقرب من ذلك الموجودة في الرسالة تسعة منها يبلغ طولها أكثر من 50 كلمة. قارن هذا مع رسائل بولس بالذات. وعلى سبيل المثال الرسالة إلى أهل فيلبي فيها مائة وجملتان وواحدة منها فقط تحوي أكثر من خمسين كلمة. والرسالة إلى أهل غلاطية تحوي مائة وإحدى وثمانين جملة، مرة أخرى واحدة منها فقط طولها أكثر من خمسين كلمة. في الكتاب أيضاً عدد هائل من الكلمات التي لا ترد في أي من كتابات بولس وعددها الإجمالي 116 أعلى بقليل من الوسطي (أقل بخمسين في المائة من الرسالة إلى أهالي فيلبي والتي هي حول الطول نفسه) (21).

لكن السبب الرئيسي للاعتقاد أن بولس لم يكتب الرسالة إلى أهل أفسس هو أن ما يقوله المؤلف في بعض الأماكن لا ينسجم مع ما يقوله بولس نفسه في رسائله. وعلى سبيل المثال في الإصحاح 2: 1 ـ 10 من الرسالة إلى أهل أفسس تبدو شبيهة بكتابات بولس لكن فقط في الظاهر. وهنا في رسائل بولس الموثقة نعلم أن المؤمنين كانوا بعيدين عن الله بسبب الخطيئة لكنهم أصبحوا صالحين عند الله بسبب نعمته حصراً وليس كنتيجة لـ «أعمالهم». أما هنا وبشكل غريب يجعل بولس نفسه كشخص كان قبل لقائه بالمسيح منجرفاً بـ «ملذات الجسد ومنفذاً لإرادة الجسد والحواس». وهذا لا يشبه بولس صاحب الرسائل التي لا خلاف حولها والذي يقول أنه كان «غير ملوم» من جهة «البر الذي في الناموس» (فيلبي 3: 4).

إضافة لذلك ورغم انه يتحدث عن علاقة اليهود بالأمم الأخرى في هذه الرسالة، لا يتكلم المؤلف عن الخلاص بعيداً عن «أعمال الناموس» كما يفعل بولس. بل يتكلم عن الخلاص بعيداً عن فعل «أعمال الخير». وهذا ببساطة لم يكن الأمر الذي عالجه بولس.

وفوق هذا يشير هذا المؤلف أن المؤمنين قد سبق أن تم «خلاصهم» بنعمة من الله. وكما يتضح فإن فعل «خلص» أو نجا في رسائل بولس المعتمدة يستخدم دائماً للإشارة إلى المستقبل.

الخلاص ليس شيئاً يملكه الناس مسبقاً وإنما هم سيحصلون عليه عندما يعود يسوع على غيوم السماء ويخلص أتباعه من غضب الله.

مرتبطاً بذلك وبشكل بالغ الأهمية كان بولس يؤكد في كتاباته أن المسيحيين الذين تم تعميدهم قد «ماتوا» بالنسبة لقوى العالم التي تتناسب مع أعداء الله. لقد «ماتوا مع المسيح»، ولكنهم لم «يقوموا» بعد مع المسيح. وذلك سيحدث في آخر الزمان عندما يعود يسوع وكل الناس الأحياء والأموات سيقومون (يبعثون) ليواجهوا الدينونة. ولذلك نرى في الرسالة إلى أهل رومية إصحاح 6: 1 ـ 4 بولس مؤكداً: إن أولئك الذين تعمدوا «قد عاشوا» مع المسيح وسوف «يبعثون» معه عند عودته الثانية.

لقد كان بولس مصراً جداً على هذه النقطة وهي أن قيامة المؤمنين ستحدث في المستقبل وهي حدث جسدي وليس شيئاً قد حدث سابقاً. وأحد الأسباب التي كتبها في الرسالة الأولى إلى أهالي كورنثوس كانت بالتحديد لأن بعض المسيحيين في ذلك المجتمع اتخذوا نظرة مخالفة وادعوا أنهم قد سبق لهم التمتع بوجود روحي مع الله في الحاضر وأنهم قد سبق لهم التمتع بمزايا الخلاص. ويخصص بولس الإصحاح رقم 15 من كورنثوس ليبين أن القيامة ليست شيئاً قد حصل بعد وإنما هي واقعة جسدية مستقبلية ستقع فيما بعد. المسيحيون لم يبعثوا بعد مع المسيح.

ولكن لنقارن هذه العبارة بما تقوله الرسالة إلى أفسس: «حتى عندما كنا أمواتاً بتعدياتنا (بمخالفاتنا) فإن الله أحيانا ثانية بمعية المسيح... وبعثنا معه وأجلسنا معه في الأماكن السماوية» (إصحاح 2: 5 ـ 6). هنا قد مارس المؤمنون بعثاً روحياً واستمتعوا بوجود سماوي هنا في الدنيا والآن. هذه بالضبط النظرة التي رفضها وجابهها في رسائله إلى أهل كورنثوس.

نقطة وراء نقطة عندما تنظر بدقة إلى الرسالة إلى أهل أفسس تجدها متناقضة مع عمل بولس ذاته. فهذا الكتاب من الواضح أنه كتب من قبل مسيحي لاحق في واحدة من كنائس بولس الذي أراد أن يعالج قضية كبيرة في زمانه وهي علاقة اليهود والأمم غير اليهودية في الكنيسة. وقد فعل ذلك بإدعاء أنه بولس عالماً تمام العلم أنه لم يكن كذلك. وقد حقق هدفه بواسطة كتابة مزورة.

الرسالة إلى كولوسي:

الشيء نفسه يمكن قوله حول كتاب كولوسي. ظاهراً يبدو الكتاب كعمل من أعمال بولس لكن لا يبدو كذلك عندما تدرس الموضوع بعمق.

في الكتاب كثير من الكلمات والعبارات الموجودة في الرسالة إلى أفسس أيضاً لدرجة أن عدداً من العلماء يعتقدون أن أياً كان الذي زور الرسالة إلى أفسس استخدم الرسالة إلى كولوسي كواحدة من مصادره لمعرفة طريقة كتابة بولس. ولسوء الحظ استخدم كتاباً يبدو شبه المؤكد أن بولس لم يكتبه (22).

للرسالة خطة وغاية تختلفان عن الرسالة إلى أفسس. هذا المؤلف مهتم خصوصاً بمجموعة من المعلمين الكاذبين الذين ينقلون نوعاً من «الفلسفة». لسوء الحظ لم يفصّل المؤلف عما تتضمنه تلك الفلسفة ولا يترك سوى تلميحات. ومن الواضح أن المعلمين الكاذبين كانوا يحثون سامعيهم أن يعبدوا الملائكة وأن يتبعوا الناموس اليهودي حول ما يجب أن يأكلوا وما هي الأيام الخاصة التي عليهم أن يراعوها كمناسبات دينية. وأحد الأسباب التي لا يفسر فيها المؤلف بالتفصيل ما علمه هؤلاء المعلمون الكاذبون قد يكون لأن الناس الذين يقرؤون الرسالة كانوا يعلمون تماماً من الذي كان في ذهنه وماذا كانوا يقولون، ويعارضهم المؤلف بتأكيد أن المسيح وحده وليس الملائكة هو من يستحق العبادة وأن موته وضع حداً للحاجة إلى مراعاة الناموس (الشريعة).

في الواقع بالنسبة له كان المؤمنون بالمسيح هم مسبقاً فوق كل القوانين والتعليمات البشرية لأنهم سبق أن قاموا مع المسيح في أماكنه السماوية متمتعين بنوع من الوحدة الصوفية (الغامضة) مع المسيح في الدنيا وفي الوقت الحاضر. ولكن هذا لا يعني أن المسيحيين بإمكانهم أن يعيشوا تماماً بأي طريقة يريدونها. فهم ما زالوا مسؤولين عن عيش حياة أخلاقية. لذا فإن السفرين الأخيرين يحددان بعض المتطلبات الأخلاقية للحياة الجديدة بالمسيح.

أسباب التفكير بأن الكتاب لم يكتب فعلاً من قبل بولس هي نفسها من أجل الرسالة إلى أفسس. فمن ضمن أشياء كثيرة نجد أن أسلوب الكتابة ومحتويات الكتاب يختلف جوهرياً عن أسلوب رسائل بولس التي لا خلاف حولها.

إلى حد كبير فإن أهم دراسة لأسلوب كتابة الرسالة إلى كولومي قام بها العالم الألماني والتر بويارد (Bujard) قبل أربعين سنة من الآن (23) وقد حلل بويارد كل أنواع ملامح أسلوب الرسالة: النوع ومرات تكرار كلمات العطف واستخدام مصادر الأفعال وأسماء الفاعل والمفعول والعبارات التي تستخدم اسم الموصول وعشرات من الأشياء الأخرى. وقد كان مهتماً بمقارنة الرسالة إلى كولومي بكتابات بولس التي تماثلها من حيث الطول كالرسالة إلى غلاطية وإلى فيلبي وإلى تيموثاوس رقم 1. والفروق بين هذه الرسالة وكتابات بولس مدهشة ومؤكدة. ولكي أقدم لكم بعض الأمثلة انظروا ما يلي:

كم مرة تستخدم في الرسالة حروف عطف مثل «رغم أن» أو مع أن.

في الرسالة إلى غلاطية 48 مرة، وفي فيلبي 52 مرة، وفي تسالونيكي الأولى 29 مرة، وفي كولومي فقط ثمان مرات.

كم مرة تستخدم في الرسالة كلمة مثل «لأن»: في غلاطية 45 مرة، وفي فيلبي 20 مرة، وفي تسالونيكي الأولى 31 مرة، وفي كولومي فقط 9 مرات.

كم مرة تستخدم في الرسالة حروف عطف مثل «أن» و «كـ» لتقديم عبارة: في غلاطية عشرون مرة، وفي فيلبي 19 مرة، وفي تسالونيكي الأولى أحد عشر مرة، وفي كولومي فقط 3 مرات.

تستمر القوائم لصفحات عديدة بكل أنواع المعلومات مع عدد لا يحصى من الاعتبارات وكلها تشير إلى الاتجاه نفسه وهو أن هذا المؤلف شخص له أسلوب كتابة مختلف عن أسلوب بولس.

وهنا أيضاً يتناقض محتوى ما يقوله المؤلف مع أفكار بولس الشخصية. ولكنه يتفق مع الرسالة إلى أفسس. وهنا أيضاً على سبيل المثال يشير المؤلف إلى أن المسيحيين قد «بعثوا مع المسيح» مسبقاً عندما تم تعميدهم بالرغم من إصرار بولس على أن قيامة المؤمنين في المستقبل وليست في الماضي (انظر كولوسي إصحاح 2: 12 ت 13).

ما لدينا هنا إذن هو مثال آخر اهتم فيه أحد أتباع بولس اللاحقين لمعالجة وضع في أيامه وأتم ذلك بارتداء عباءة بولس واتخاذ اسمه مزوراً الرسالة باسمه.

استنتاج:

لقد رأينا أنه كانت هناك العديد من حالات تزوير لكتابات بولس كانت متداولة في الكنيسة القديمة وهي رسائل يزعم أنها كتبت من قبل بولس ولكن الحقيقة أنه كتبها أشخاص آخرون. وقد تم التعرف على بعض من هذه الرسائل على أنها مزورة من قبل كل الناس في العالم وكمثال على ذلك كتاب اسمه رسائل بولس وسينيكا. ورسائل أخرى هي أيضاً موضوع دراسة جادة من قبل العلماء. لكن غالبية العلماء يقرون أنه بينما توجد سبع رسائل في العهد الجديد كتبها بولس بالتأكيد فهناك ست أخرى ربما لم يكتبها بولس (أو مؤكداً أنه لم يكتبها حسب بعض العلماء) وذلك لعدد من الأسباب التي بينتها هنا، وهناك أسباب أخرى كثيرة لكن المناقشات قد تكون مملة قليلاً بعد فترة.

مع ذلك تردد بعض العلماء في أن يسموا هذه الكتابات الثانوية رسائل مزورة. وقد قال بعضهم إنها تختلف عن رسائل بولس الشخصية لأن بولس أعطاها لكاتب كتبها واستخدم أسلوب كتابة يختلف عن أسلوب بولس.

واقترح آخرون أنه بما أن بولس يذكر في بعض من رسائله شركاء له في التأليف فمن المحتمل أن هؤلاء المؤلفين الآخرين كانوا مسؤولين عن كتابة الرسائل مما يبرر هذا الاختلاف. ومع ذلك قال آخرون أنه كان شائعاً في المدارس الفلسفية أن بعض تلاميذ أحد المعلمين يكتبون رسائل أو دراسات ويوقعونها باسم معلمهم كنوع من التواضع لأن كل الأفكار جاءت أصلاً من المعلم بالذات.

وهذه كلها افتراضات ممتعة لكني أعتقد أنها جميعاً خاطئة، وإني أحاول أن أبين السبب في الفصل القادم.

الفصل الرابع
بدائل عن الأكاذيب والخداع

عندما كنت مسيحياً إنجيلياً محافظاً جيداً في معهد مودي في سنوات مراهقتي المتأخرة كنت أعلم كحقيقة أنه لا يمكن أن يكون هناك أي تزوير في العهد الجديد. وكانت نظرتي حول الكتاب المقدس متأصلة وموجودة في الكتاب المقدس نفسه وفوق كل هذا في العبارة القديمة (الكلاسيكية) لوحي الكتاب المقدس نفسه كما جاء في الرسالة تيموثي 2 إصحاح 3: 16 «كل الكتاب المقدس أوحى به الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر». فإذا كان الكتاب المقدس «لفظة» أو أوحى به الله فمن البديهي أنه لا يمكن أن يكون فيه أي خطأ إن لم نقل أي شيء يقرب من الكذب. وإلى حد بعيد فذلك لأن الله نفسه الذي أوحى بالنص لا يكذب.

ولهذا عرفنا جميعاً الآيات (العبارات) الرئيسية بما فيها ما يلي:

- ليس الله إنساناً فيكذب (سفر العدد 23: 19).
- مجد إسرائيل (أي الله) لا يكذب (سفر صموئيل 15: 29).
- على رجاء الحياة الأبدية التي وعد الله بها المنزه عن الكذب قبل الأزمنة الأزلية (تيطس، إصحاح 1: 2).
- هو توسط بقسم حتى بأمرين عديمي التغير لا يمكن أن يكذب الله فيهما... (عبرانيين إصحاح 6: 18).

الكتاب المقدس يقول إنه تم إيحاؤه ولفظه من قبل الله. والله لا يكذب ولا يمكن أن يكذب. ولذلك فإن الكتاب لا يحتوي ولا يمكن أن يحتوي أكاذيب.

التزوير من ناحية أخرى يتضمن الكذب. ولذلك السبب لا يمكن أن توجد أشياء مزورة في الكتاب المقدس (1).

هذه النظرة الإنجيلية المحافظة ما تزال لدى بعض العلماء في الوقت الحاضر. على الأقل لدى العلماء الإنجيليين المحافظين. ولكن ينبغي علي أن أؤكد أنها نظرة مبنية على افتراضات اعتقادية لما يجب أن يكون صحيحاً وليس على أساس ما هو صحيح

فعلاً (2). بالنسبة للإنجيليين المحافظين يجب أن يكون الكتاب المقدس بلا أخطاء أو أغلاط أو كذب. وإذا كان من المفروض أن يكون كذلك فهو إذن كذلك!.

هل يمكن للكتاب المقدس أن يحتوي أكاذيب؟

من الواضح أنني غيرت نظرتي إلى الموضوع. فبعد أن تخرجت من معهد مودي بثلاث سنوات كنت أدرس منهاج درجة الماجستير في معهد برنستون اللاهوتي وهو معهد مشيخي (نسبة للكنيسة المشيخية) نظامي يشدد على الدراسة النقدية أكثر مما يشدد على الإتباع العقائدي بلا نقد. وفي هذا المعهد بدأت أفكر أنني كنت سابقاً أقارب الكتاب المقدس (أتعامل معه) تماماً بالطريقة الخاطئة. وعندما كنت ملتزماً كنت أتعامل مع الكتاب المقدس مفترضاً أشياء معينة حوله حتى قبل قراءته. وكنت أزعم أنه لا يمكن أن يحتوي على أخطاء. فإن كان لا يمكن أن يحتوي على أخطاء فمن الواضح أنه ليس فيه أخطاء. ولذلك فإن أي شيء يبدو كخطأ فهو ليس خطأ لأن الكتاب المقدس لا يمكن أن يحوي أخطاء. وكيف عرفت أن الكتاب المقدس لا يمكن أن يحوي أخطاء؟ ليس على أساس أي اختبار أو تمحيص للكتاب المقدس ولكن على أساس ما قاله لي الآخرون مدعوماً بعدة نصوص كدليل. وقد اتخذت الاعتقاد بكتاب مقدس نصه خال من الأخطاء ومن الطبيعي أنني لم أجد فيه أية أخطاء لأنه لا يمكن أن يحتوي على شيء منها.

ولكن لماذا كان ينبغي علي أن أعتقد أن هذه النظرة صحيحة؟ كان هناك كثير من المسيحيين الآخرين الذين كانوا يعتقدون أشياء أخرى وخصوصاً في مكان كمعهد برنستون الديني. وهناك أدركت أنه بما أن الكتاب المقدس هو كتاب فمن المعقول أن نعامله كما نعامل الكتب عموماً. بالتأكيد هناك كتب في العالم لا تحتوي أي أخطاء. لكن لا أحد يصر على أن دليل هواتف معين أو كتاب نصوص كيميائية أو دليل تعليمات لسيارة ليس فيه أخطاء مطلقاً قبل أن يقرأه ليتحقق من عدم احتوائه على أخطاء. وبدلاً من التفكير بأن الكتاب المقدس لا يمكن أن يحوي أخطاء قبل أن ننظر لنرى إن كان يحوي أخطاء فلماذا لا ننظر إن كان فيه أخطاء وعندئذ فقط نقرر إن كان ذلك ممكناً؟

أعرف أن كثيراً من المسيحيين الإنجيليين يعتقدون أن هذا تخلف وخطأ وأن التشكيك بالكتاب المقدس هو تشكيك بالله. ولكنني لا أراها كذلك. إن كان الله

خلق كتاباً خالياً من الخطأ فينبغي أن يكون الكتاب بلا أخطاء، وإذا كان الكتاب الذي بين أيدينا ليس خالياً من الخطأ فهو إذن ليس كتاباً أرسله الله إلينا دون أخطاء.

بالإضافة لذلك عندما درست الكتاب المقدس بدأت اكتشف الأخطاء هنا وهناك. ثم بدأت تتضاعف وبالتالي بدأت الأخطاء تتعلق ليس فقط بتفاصيل ضئيلة ولكن بقضايا كبيرة ووسائل ذات أهمية حقيقة. وتوصلت إلى قناعة بان الكتاب المقدس مهما كان فهو كتاب بشري تماماً. (أي كتبه البشر).

إن الكتب البشرية من العصور القديمة كانت أحياناً تحتوي تزويراً أي كتابات يتم الإدعاء فيها بأن شخصاً ما ألفها وهو في الحقيقة لم يكتبها. وهذا بالتأكيد يصدق على التوراة اليهودية أو ما يسمى بالعهد القديم المسيحي. إن سفر دانيال يدعي أنه جزئياً مكتوب من قبل النبي دانيال خلال فترة السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد. ولكن محال أن يكون كتب في ذلك الوقت. فالعلماء قد بينوا لأكثر من مائة سنة أسباباً واضحة ومقنعة للاعتقاد بأنه كتب بعد أربعمائة سنة أي في القرن الثاني (ق.م) من قبل شخص يدعي خطأ أنه دانيال. وكذلك أيضاً سفر الجامعة. إن مؤلف هذا السفر لا يبرر ويقول إن اسمه سليمان ولكنه يقول أنه ابن داوود ملك القدس وأنه غني وحكيم بشكل مدهش أي أنه يدعي بأنه سليمان دون أن يستخدم اسمه ولكن محال أن يكون هو سليمان، فهذا الكتاب لا يمكن أن يكون قد كتب إلا بعد موت سليمان بستمائة سنة كما أقر العلماء والنقاد للإنجيل في أيامنا هذه.

بينما توجد بضعة حالات تزوير في العهد القديم نجد أن هناك حالات كثيرة في العهد الجديد. حتى الآن درسنا كتابين يدعى كذباً أنهما مكتوبان من قبل بطرس وستة كتب يدعى كذباً أنها كتبت من قبل بولس.

إنها ظاهرة مدهشة أنه حتى لو أن العلماء في كل مكان يتفقون على أن هذه الكتب لم تكن مكتوبة فعلاً من قبل مؤلفيها المزعومين فكثير من العلماء يترددون في تسمية الكتب بما هي عليه: تزويرات أدبية لخداع قارئيها.

أظن أحياناً أنه من الغريب نوعاً ما أنه عندما يشير بعض العلماء إلى كتب ذات إدعاءات كاذبة المرجعية بأنها (خارج) العهد الجديد فهم ليس لديهم ارتياب بتسميتها «تزويرات» ولكن عندما يشيرون إلى بعض الكتب بأنها (داخل) العهد

الجديد يسمونها كتابات باسم مستعار وربما كان من الأفضل أن نستخدم المصطلح الفني المطهر عند التعامل مع الكتاب المقدس. أو ربما بدلاً من ذلك من الأفضل أن نسمي الأشياء بمسمياتها. إننا نتعامل مع نفس الظاهرة بالتحديد سواء وضع الكتاب في الكتب المعتمدة أم لا.

في هذا الفصل أعالج الطرق التي جربها بعض العلماء ليلتفوا حول المشكلة وهي أن العهد الجديد يحتوي حالات تزوير. وأحياناً يفعلون ذلك مع الشروح التي أصبحت شائعة جداً ومنتشرة بحيث أنها تبدو كشيء منطقي لبعض الناس. ومن بين الأشياء الأخرى يدعى كثيراً أن ممارسة القيام بإدعاءات كاذبة كان مقبولاً في مدارس فلسفية في العصور القديمة ولذلك فهو مقبول بالنسبة لأحد أتباع بطرس أو بولس.

أو يقال إن الرسائل التي يزعم أنها غير صحيحة يمكن تفسيرها بالاعتقاد أن بطرس وبولس استخدموا من يكتب لهم تلك الرسائل. وكما سنرى لاحقاً هناك دليل ضئيل جداً يدعم أياً من الرأيين (4). وقبل معالجة مثل هذه التفاسير أو الشروح أجد من اللازم أن أعالج وجهة نظر أخرى يؤكدها بعض العلماء كثيراً وهي أن المؤلفين القدماء الذين استخدموا هوية كاذبة (اسماً مستعاراً) لم يكونوا فعلاً يحاولون أن يغشوا.

هل التزوير غش؟

شيء مألوف خاطئ علمياً

ادعى عدد كبير جداً من العلماء أنه حتى لو كان الكتاب المقدس يحتوي كتابات مزورة فإن هذه الكتابات لم يكن يقصد بها غش أحد. وبحسب هذه النظرة فإن المؤلفين القدماء الذين اتخذوا اسماً كاذباً لم يكونوا يحاولون أن يضللوا قراءهم، لم يكونوا يكذبون ولم يكونوا مخادعين ولم يكونوا مدانين.

من العسير أن نفهم كيف يمكن لمن قرأ فعلاً أياً من المناقشات القديمة للتزوير أن يقدم مثل هذه الإدعاءات. لكن هذه النظرة منتشرة جداً حتى أصبحت مألوفة تماماً في الدراسات العلمية للعهد الجديد. دعوني أعطي عدداً من الأمثلة عن علماء يقولون عبارات من هذا النوع ومعها بعض التعليقات من هنا وهناك قبل أن أؤكد الخطأ الشديد لهذه الفكرة.

زعم أحد كبار المؤلفين المرموقين من العشرينيات في دراسة له عن الرسائل الرعوية أن المؤلف الذي سمى نفسه بولس ورغم أنه كان شخصاً آخر «لم يكن مدركاً أنه يسيء تمثيل الرسول بأي شكل، وأنه لم يكن يغش أحداً عن قصد. وفي الحقيقة ليس من الضروري أن نفترض أنه كان يغش أحداً» (5).

ما هي الحجة التي يقدمها هذا العالم لهذه المزاعم؟ لا حجة مطلقاً ويا لها من مقولة مدهشة! إذا كان المؤلف لم يرد أن يخدع أحداً وإن كان في الواقع لم يغش أحداً فلم إذن كل مفسر معروف لهذه الرسائل لمدة تزيد عن ألف وسبعمائة سنة كان مخدوعاً كما يستمر كثير منهم حالياً عندما يفترضون أن المؤلف الذي ادعى أنه بولس قد كان بولس حقاً؟

أو انظر قول أحد المؤلفين من السبعينيات الذي يقول لنا: «إن الكتابة باسم مستعار كانت من الملامح التي ترد كثيراً في الأدب القديم. ولم يكن فيها شيء مناف للأخلاق؛ لقد كانت ببساطة معادلة للكتابات مجهولة الكاتب في العصور الحديثة. لقد كانت دلالة على التواضع فالمؤلف لأنه كان حيياً جداً من كتابة شيء باسمه التجأ إلى اسم أكثر شهرة» (6). وهذا المؤلف محق على الأقل بشأن شيء واحد وهو: إن التزوير شيء معتاد في الأدب القديم. ولكن هل هو مثل «الكتابة مجهولة الكاتب العصرية»؟

إن هذا شيء غريب نقوله حول هذه الممارسة. لم لا نقول إنه مثل «الكتابة مجهولة الكاتب في العصر القديم».

لقد كتبت كتب كثيرة وهي مجهولة الكاتب في العالم القديم بالإضافة إلى العالم الحديث. وفي كثير من الأوقات في الواقع. لكن هذا يثير سؤالاً كبيراً لا يستطيع هذا المؤلف أن يجيب عنه.

إذا كان المؤلف الذي يكتب بتواضع لم يرد أن يذكر اسمه الشخصي فلم لم يجعل الكتاب مجهول المؤلف؟ لماذا أضاف اسماً مستعاراً إلى عمله مسيئاً تمثيل نفسه على أنه شخص آخر؟

أو خذ هذا التعليق من عالم كان يكتب في التسعينيات (من القرن العشرين) حول تأليف باسم مستعار للرسالة الثانية إلى تسالونيكي: «إن هذا النوع من الكتابة باسم مستعار يجب ألا يعتبر تزويراً فهذا المصطلح يتضمن حكماً أخلاقياً سلبياً

وسوف نرى أنه في كل احتمالات مؤلف الرسالة رقم 2 إلى تسالونيكي ومؤلف وثائق مشابهة بأسماء مستعارة لم تعتبر كتاباتهم نتيجة خداع وتزييف. وعلينا أن نقيم مثل هذه الكتابات بمعايير كانت مقبولة في البيئة التي نشأت فيها» (7).

يبدو هذا كمعالجة معقولة حقاً لتقييم الكتابات بمعايير قديمة لا بمعايير حديثة. لكن هذا العالم لا يفعل ذلك. إنه لا ينظر إلى ما قاله الناس القدماء حول هذا العمل ولم يفكر بما كان من الواجب أن يقولوه حول ذلك. ومن الضروري أن نتذكر ما كان القدماء يسمون كتباً من هذا النوع «كتابات مزورة» أو «أكاذيب» أو «مواليد غير شرعية»! شبيهة بهذا النوع من التفكير أحد أعمال عالم حديث يتعامل مع حقيقة أن مؤلف الرسالة إلى أفسس ادعى كذباً أنه بولس.

يقول هذا العالم أن مثل هذا الإدعاء الكاذب «كان من الممارسات الأدبية المقبولة في كلا الثقافتين اليهودية والإغريقية ـ الرومانية... ليس هناك من سبب للنظر إلى وسيلة استخدام الاسم المستعار بشكل سلبي وربطه بالضرورة بمفاهيم كالتزوير والخداع» (8). مرة أخرى القراء الناقدون يريدون أن يعرفوا ما الدليل الذي يورده المؤلف بأن ذلك العمل «مقبول» وبأنه ليس مرتبطاً «بتزوير وخداع». لكنه لا يذكر أي دليل. لماذا؟ إما لأن المؤلف ليس على إطلاع على ما قالة القدماء فعلاً حول التزوير وإما لأنه لا يجرؤ على ذكر ما قالوا لأن ما قالوه يخالف ما يقوله هو علماً بأن المؤلف عالم مشهور من علماء العهد الجديد.

وقد سمح علماء آخرون لنظراتهم اللاهوتية أن تغطي على حكمهم التاريخي. انظر إلى واحد من أكثر المعلقين حداثة حول الرسالة إلى أهل كولومي الذي يرى العمل كحالة تزوير ولكنه يقول أنه «تزوير شريف» (بخلاف التزوير غير الشريف)، إنه يقول:

إن الدليل من العصر القديم يجعل من الضروري تميز التزوير غير الشريف الذي اتخذ لغايات شريرة وحاقدة عما يمكن أن يوصف بأنه تزوير شريف رغم ما يظهر أنه تناقض... ويجب التأكيد مرة أخرى أن الخيار الأخير (بأن الرسالة إلى كولومي لم يكتبها بولس) لا يحمل معه بالضرورة وصمة الخداع أو التلفيق. قد ينطبق ذلك على عمل كتب ليروج لعقيدة مخالفة للدين وكما لاحظنا أعلاه فإن كثيراً

من أمثال هذا العمل وصمت لاحقاً بأنها نصوص مزيفة أو هرطوقية (مخالفة للدين) ولذلك تم رفضها.

وبالنسبة للكتابات المكتوبة باسم مستعار في العهد الجديد نرى الوضع مختلفاً قليلاً: هذه الكتابات أصبحت تعرف لدى الكنيسة بأنها صالحة وأنها شهادات موثقة للعقيدة المسيحية الأصلية... إنها تشهد بما تعتقده الكنيسة (9).

بكلام آخر إذا كان مسيحيون مستقيمون (أرثوذكس) وافقوا لاحقاً في القرن الثاني والثالث والرابع على الأفكار الموجودة في الرسالة إلى كولوسي وقرروا أنه يجب وضعها في الكتاب المقدس فإن مؤلفها إذن كان مزوراً شريفاً. غير أن مؤلفين آخرين أبدوا أفكاراً رفضها مسيحيون لاحقون كانوا مزورين غير شرفاء. وكيف للمؤلفين أنفسهم أن يعلموا إن كانت أفكارهم ستقبل بعد قرون أم لا؟

حسناً يبدو واضحاً أنه لا سبيل لديهم كي يعلموا ذلك. ولذلك فإن كونهم شرفاء أم غير شرفاء ينبني على ظروف خارجة تماماً عن سيطرتهم (10).

نظرة بديلة:

كل العلماء الذين اقتبست أقوالهم للتو لديهم ثلاثة أشياء مشتركة. كلهم يقولون إن ما أسميه تزويراً ـ وهو زعم مؤلف ما أنه شخص غير الشخص الحقيقي ـ ليس عملاً خادعاً، وكلهم يبنون نظراتهم على أقوال تفيد تلك النتيجة من قبل علماء أقدمين ولا يبنونها على فحص المصادر القديمة؛ وكلهم يختارون ألا يقدموا أي دليل مهما كان صغيراً ينبغي أن يكون واضحاً أن هذه الآراء خاطئة حتى من دراستي المختصرة للدليل القديم في الفصل الأول. فإن كان التزوير لم ينظر إليه على أنه خطأ فلماذا إذن في كل مثال معروف عن شخص تم كشفه كان يوبخ أو يعنف أو يعاقب؟ وإن كان الهدف عدم غش القراء فماذا كان الهدف بالضبط؟

لننظر فقط إلى الدوافع التي جعلت المؤلفين يزعمون أنهم أشخاص آخرون. بعض المزورين فعلوا ذلك ليروا إن كان بإمكانهم أن ينجحوا في محاولتهم. حسناً إن لم يكن أحد قد خدع فكيف إذن نجحوا في فعلتهم؟ وبعضهم قام بالتزوير لكسب المال ولكن إن لم يخدع أحد فمن كان ليدفع لهم المال؟ وآخرون استخدموا التزوير للتشهير بشخصية أخرى وهي الشخص الذي يفترض أنه كتب النص. لكن إذا

علم القراء أن الكاتب المزعوم ليس هو المؤلف الحقيقي كيف يمكن أن ينجح هذا المخطط؟ لقد زور بعض المؤلفين وثائق لأغراض عسكرية أو سياسية ليقنعوا الناس باسم سلطة ما لينخرطوا في نوع ما من أعمال العنف أو في عملية انقلاب. ولكن ما الذي سيكون مقنعاً إذا تبين أن السلطة ليست هي الشخص المزعوم؟ مزورون آخرون وربما كانوا الغالبية بين المسيحيين أنتجوا أعمالهم باسم شخص آخر ليضمنوا انتشاراً واسعاً لآرائهم. ولكن إذا كان (معلوماً) أن المؤلف المزعوم لم يكتب الكتاب فعلاً - ولو أنه (لم) يكتب حقاً من قبل أفلاطون أو بطرس أو بولس - فكيف يكلف أحد نفسه قراءة الكتاب؟

بإمكانك أن تستعرض كل الدوافع التي وثقتها من المصادر القديمة. لن يكون لأي منها معنى لو أن التزوير لم «يفلح» أي إذا لم يخدع أحد بها. وكما قلت إن حقيقة أن الناس قد تم خداعها يفسر ردود الفعل السلبية والعنيفة أحياناً من قبل القراء الذين اكتشفوا أنهم كانوا مخدوعين.

ولهذا السبب هناك مجموعة أخرى من العلماء الذين يتحدثون عن التزوير ويسمونه باسمه - خداع مقصود. هؤلاء العلماء الآخرون قرؤوا فعلاً ما تقوله المصادر القديمة عن هذه الممارسة. وأستاذي الشخصي وهو بروس م متزغر (Metzger) الذي عرف المصادر القديمة كما يعرف ظاهر يده سأل السؤال البلاغي للمجموعة الأولى من العلماء الذين ذكرتهم: «كيف يمكن أن يكون معلوماً بشكل موثوق أن مثل هذه الكتابات لن تخدع أحداً؟ في الواقع إذا لم يخدع أحد بوسيلة الكتابة باسم مستعار فمن الصعب أن نرى لماذا تم تبني تلك الوسيلة من الأساس» (11).

يقول أحد أروع العلماء الألمان الذين يناقشون موضوع التزوير في العالم القديم وهو نوربرت بروكس (Brox) وبعدما استعرض كل المناقشات القديمة يقول بكل صراحة: «إن الدراسة المعاصرة حول التزوير تظهر بدون أي شكوك أن التزوير الأدبي حتى في ذلك الوقت أثار موضوع أخلاقيته ولم يكن مقبولاً مطلقاً كعمل شائع ومعتاد ومقبول» (12).

والمرجع الرئيسي للتزوير في العصور الحديثة وهو العالم النمساوي فولفغانغ شباير (Speyer) يشير ببساطة في بداية دراسته الضخمة لظاهرة التزوير قائلاً: «إن

كل نوع من أنواع التزوير يشوه حقائق القضية وإلى ذلك الحد فإن التزوير ينتمي إلى عالم الكذب والخداع» (13).

الكتابة باسم مستعار كممارسة مقبولة:

علماء آخرون ممن لا يريدون من قرائهم أن يسيئوا الظن بالتزوير (وخصوصاً التزوير في الكتاب المقدس) يقومون بأكثر من مجرد إعطاء أقوال مبهمة مفادها أن المزورين لم يكونوا مخادعين وهؤلاء العلماء الآخرون يقدمون بدلاً من ذلك مبررات وظروفاً خاصة كان استخدام اسم مستعار فيها ممارسة مقبولة في العصور القديمة. والعلماء الذين يفعلون ذلك يمكن تصنيفهم في ثلاثة مدارس فكرية رئيسية.

الكتابة باسم مستعار بوحي من الروح القدس:

كانت إحدى الأفكار الشائعة بين العلماء لمدة سنوات أنه عندما كان مؤلف مسيحي قديم يكتب كتاباً باسم شخص آخر فإن ذلك لأنه ألهم أن يفعل ذلك بواسطة الروح القدس. وعندما يقال هذا الشيء بجرأة فهو يبدو كزعم اعتقادي (وربما ليس اعتقاداً جيداً)؛ ولكنه ليس بالضرورة كذلك.

لا يلزمك أن تعتقد أن الروح القدس ألهم شخصاً ليكتب بهذه الطريقة. بإمكانك ببساطة أن تعتقد أن الشخص (ظن) أنه مدفوع من الروح القدس ليكتب باسم مسيحي قديم ذو سلطة.

وبالنسبة لهذا الشخص الذي ظن أنه أوحي إليه فإن الكلمات التي كتبها جاءته من سلطة معصومة (مثل أحد الرسل).

كان أحد المروجين الرئيسيين لهذه الفكرة العالم الألماني كورت ألاند (Aland) الذي ادعى أن أقدم «الأنبياء» المسيحيين كانوا يعتقدون أنه يوحى لهم من قبل الروح القدس ولذلك كانوا يتكلمون نوعاً من «الكلام النبوي» الذي لم تكن مرجعيته لهم أنفسهم بل للروح القدس. وكنتيجة لهذا بدأت «المرجعيات» أو السلطات تسجل هذه الكلمات النبوية. لكن مؤلفاً ما لم يستطع أن يكتب باسمه الخاص كما لو أن سلطته الذاتية لم تستطع أن تؤيد فكرة أو كلمات يزوده بها الروح القدس. وبدلاً من ذلك كان المؤلف كنوع من الأداة يستخدمه الروح القدس (باعتقاد المؤلف) ليبلغ رسالته الذاتية. وزعم ألاند (Aland): لم تكن الأداة (أي

المؤلف البشري) التي قدمت الرسالة بواسطتها لا علاقة لها بالأمر، ولكـن... ذكـر اسم هذه الأداة قد يصل إلى تكذيب لأنه... لم يكن مؤلف الكتابة هـو الـذي تكلـم حقاً بل هو الشاهد الموثوق والروح القدس والرب والرسل.

وكنتيجة يمكن القول:

عندما ادعت الكتابات بأسماء مستعارة في العهـد الجديـد مـصداقية الرسـل البارزين فقط فهذا لم يكن حيلة ماهرة للمزورين المزعومين ليضمنوا أعلى قـدر مـن السمعة المحتملـة وأوسـع انتـشار ممكـن لعملهـم لكـن الاسـتنتاج المنطقـي لهـذا الافتراض أن الروح القدس نفسه كان هو المؤلف (14).

بالرغم من شعبية هذه الفكرة في وقت ما بين بعض العلماء إلا أنها لم تنتشر على نطاق واسع حقاً. أحد الأسباب هو أنه ليس من المنطق أن نقـول أن مـؤلفي الـتراث المسيحي القدماء رفضوا أن يستخدموا أسماءهم لأن الروح القـدس هـو الـذي كـان يتكلم بواسطتهم. وأول مؤلف لدينا هو بولس وهو يستخدم اسمه الشخصي. ثانيـاً، إذا أراد المؤلفون أن يقولوا إن الروح القدس كان يتكلم من خلالهم أي أنهم لم يكونوا يبنون رسالتهم على سلطتهم الخاصة لماذا لم يقولوا بكل بساطة: «هكذا يقـول الـرب» أو «هكذا يقول الروح القدس»؟ لماذا يزعمون أنهم بشراً آخرون ـ بطـرس أو بـولس أو جيمس ـ وهم يعلمون تماماً أنهم ليسوا أولئك الأشـخاص؟ أي أن هـذه النظـرة يمكن أن تفسر الكتابات القديمة باسم مستعار لكنها لا تفـسر الـشيء الـذي تحـاول تفسيره وهو الكتابات القديمة (باسم مستعار). وبشكل خـاص هـيَ لا تفـسر لمـاذا يتخذ مؤلف ما كذباً اسماً معيناً بدلاً من اسم آخر لنفسه. فلو كان الروح القـدس هـو الذي أوحى للكاتب فلماذا يـسمي نفسه بطـرس؟ لمـاذا لـيس يوحنـا أو بـولس أو جيمس؟ أو كما اقترحت لماذا لا يعطي نفسه أي اسم على الإطلاق؟ وكنتيجة فإن هذا التفسير رغم أنه مثير للاهتمام هو بكل بساطة غير مقنع.

إعادة تفعيل التراث:

التفسير التالي للطريقة التي يمكن أن ترى بها مصداقية الكتابة باسم مـستعار كممارسة مقبولة هي نوعاً ما أكثر تعقيداً.

باختصار شديد، ذلك التفسير يقول إنه إذا كان مؤلف ما ظن نفسه على أنه يمثل بشكل أفضل وجهات نظر اتخذها مؤلف شهير سابق (والذي مات منذ مدة طويلة مثلاً) فإنه يستطيع أن يكتب وثيقة باسم ذلك الشخص.

لم يكن الغرض الإدعاء بأنه حقاً كان ذلك الشخص بل كان غرضه أن يوحي أن الأفكار المقدمة في الوثيقة هي لذلك المؤلف القديم. أو على الأقل لو كان ما يزال حياً لكانت هذه أفكاره ليعالج بها وضعاً جديداً نشأ بعد وفاته.

وإن المصطلح الفني لهذا النوع من الإجراء هو «إعادة تفعيل التراث». وكلمة «تراث» هي أي وجهة نظر أو تعليم أو قصة تنقل بشكل مكتوب أو شفهي إلى من يأتون في زمن لاحق. إن التراث «يعاد تفعيله» عندما نجعله ذا صلة قوية بوضع جديد.

لنفترض أن مؤلفاً كبير التأثير في عام 1917 أدان المسيحيين الذين شربوا الكحول على أساس أن فعل ذلك جعلهم يفقدون وعيهم ويتصرفون بلا مسؤولية. وبعد خمسين سنة برزت مشكلة مختلفة ـ بدأ الناس يستخدمون عقاقير الهلوسة. ويريد مؤلف جديد أن يخبر المسيحيين أنه لا ينبغي لهم أن يفعلوا شيئاً كهذا. ويكتب المؤلف الجديد الذي يعيش في عام 1967 مقالة يزعم فيها أنه هو ذلك المؤلف الشهير المحترم من عام 1917 وهو لا يدين فقط شرب الكحول بل استخدام عقاقير الهلوسة أيضاً.

يقف هذا المؤلف موقف المقلد للمؤلف القديم ويجعل التقليد قابلاً للتطبيق للوضع «الفعلي» الذي يعالجه بانتحاله اسم المؤلف من عام 1917 هو لا يزعم كثيراً أنه ذلك الشخص بقدر ما يزعم أنه يتابع تراثه.

تلك على الأقل هي النظرية ولقد طبقت من قبل بعض العلماء على ظاهرة الكتابة باسم مستعار في العهد الجديد. وكما قال أحد العلماء البريطانيين إن ذلك كان «عملاً مقبولاً ولا يهدف إلى الغش» لأن المؤلف الذي كتب بتلك الطريقة متابعاً تقليد مؤلف أقدم منه «استطاع أن يقدم رسالته مثل رسالة الذي أبدع تيار التراث لأنه حسب رأيه تلك هي حقيقتها... لم يكن هناك نية للخداع ومن شبه المؤكد أن القراء الأخيرين في الواقع لم يتم خداعهم» (15).

ربما كنت تستطيع أن ترى إحدى المشكلات الرئيسية لهذه النظرة. إذا كان الناس الذين زوروا رسائل العهد الجديد لبطرس أو بولس لم يكن لديهم «نية الخداع» ولم يخدعوا أحداً «في الواقع» فنحن مرة ثانية أمام مشكلة لماذا خدع الجميع (لقرون وقرون كثيرة) طوال سبعة عشر قرناً كل من قرأ هذه الرسائل ظن أن بطرس وبولس كتبوها. وهنا أيضاً نحن أمام هذا السؤال: ما هو الدليل على أن «إعادة تفعيل التراث» بالإدعاء أن استخدام اسم مستعار كان متبعاً بشكل واسع وأنه ممارسة مقبولة؟

إن المروج الرئيسي لهذه الفكرة هو العالم الأمريكي ديفيد ميد (Meade) الذي نشر أطروحته للدكتوراه حول هذا الموضوع (16). يناقش ميد قائلاً إن الدليل على هذه الممارسة يأتي من الكتاب المقدس العبراني. ويقول إنه كان من المعتاد لكتابات مؤلفين عديدين أن تنقل باسم الشخص الذي بدأ التقليد الذي رأوا أنفسهم منتسبين إليه. على سبيل المثال قال علماء الكتاب المقدس العبراني لأكثر من قرن أن سفر أشعيا لم يتم تأليفه كاملاً من قبل أشعيا المقدسي المشهور في القرن الثامن قبل الميلاد. وعلى سبيل المثال الفصول (الإصحاحات) من رقم 40 ـ 55 من شبه المؤكد أنه كتبها شخص آخر كان يعيش بعد ذلك بمائة وخمسين سنة أثناء الفترة التي كان فيها شعب يهوذا في الأسر في بابل.

وكما يذكر ميد فإن الفصول من 40 ـ 55 نقلت على أنها جزء من سفر أشعيا. ولكن برأي ميد لم يكن مؤلف هذه الفصول يحاول أن يخدع أحداً بجعله يعتقد أنه في الواقع هو أشعياء المقدسي من قبل قرن ونصف. ويقول ميد إنه كان ببساطة يزعم أنه ينتمي إلى نفس التراث النبوي مثل أشعيا المقدسي. كذلك أيضاً الإصحاحات الأحد عشر الختامية لسفر أشعيا التي كتبت من قبل مؤلف ثالث أيضاً وكان يعيش لاحقاً. وكما يعبر ميد عن ذلك قائلاً إنه بتسمية هؤلاء المؤلفين اللاحقين باسم «أشعيا» لم يكن اليهود يزعمون أن هذه «أدبيات أصيلة» من كتابتهم (أي حول من خط بيده هذه الكتب) بل يتحدثون عن «تراث موثوق» (أي عن تراث ـ تابع لأشعيا ـ كانوا يستمرون عليه في زمن جديد).

يجد ميد هذا النوع من التراث (التقليد) في أجزاء أخرى من الكتاب المقدس العبراني أيضاً ولذلك يستنتج أنه عندما يصل الأمر إلى العهد الجديد فإن المؤلفين يقومون بعمل مشابه جداً.

إن مؤلف الرسالة الثانية لبطرس والذي لم يكن بطرس حقاً، يزعم أنه بطرس لا لأنه يريد من الناس أن يعتقدوا أنه بطرس، إنه لا يقصد أن يكذب بشأن ذلك. إنه يشير إلى أي تراث ـ منسوب لبطرس ـ يرى نفسه منتمياً إليه.

إن عدداً من العلماء انجذبوا إلى هذه النظرية بما أنها يمكن أن تشرح كيف استطاع مؤلفون أن يدعوا إدعاءات باطلة حول أنفسهم بدون أن يكذبوا فيها ويبدو أنها تجد لها مكاناً في تقليد التأليف اليهودي القديم. ولكن هناك مشكلات كبيرة في هذه النظرية.

إحدى المشكلات هي أن معظم الدلائل عملياً لا تصلح فنحن لسنا متأكدين من كتب الإصحاحات 40 ـ 55 في سفر أشعيا هذا غير أن نقول أولاً إنه لم يكن أشعيا المقدسي وثانياً ربما كان شخصاً من بني إسرائيل كان يعيش أثناء السبي البابلي. إننا لا نعلم إن كان هو الذي أضاف فعلياً كتاباته الخاصة به إلى كتابات أشعيا المقدسي (مثلاً على نفس المخطوطة) أو أنه ببساطة كتب كتابة مستخدماً كثيراً من أفكار سلفه. أي أنه ربما كان شخصاً آخر وضع نصي الكتابة مع بعضهما بحيث يكون مؤلف هذه الإصحاحات من 40 ـ 55 لم يكن يقوم بأي إدعاء للتأليف على الإطلاق ولكنه كان يكتب كتابة مجهولة المؤلف. إضافةً لذلك لم يدع المؤلف لهذه الإصحاحات أبداً أنه أشعيا. وهذا يقف بشكل مغاير تماماً لما فعله مؤلف الرسالة الثانية لبطرس الذي يدعي أنه بطرس، أو مؤلف الرسالة إلى أفسس الذي يزعم أنه بولس.

ولكن الأكثر إشكالاً هو حقيقة أن كتاب القرن الأول الميلادي عندما كانت أسفار العهد الجديد قيد التأليف لم يعرفوا أن أسفار أشعيا (من 40 إلى 55) لم يكتبها أشعيا المقدسي، وعلى النقيض من ذلك كان زعماً شائعاً أن أشعيا كتب كل تلك الأسفار المنسوبة له! هذه الفكرة بأن المؤلفين كانوا يعيدون تفعيل التراث مبنية على أفكار القرن العشرين لمرجعية الكتاب المقدس العبراني التي لم يكن أحد في العالم القديم يعرف عنها شيئاً. وليس لدينا سجلات عن أي شخص من العالم القديم أقر هذه الفكرة أو تحدث عنها أو ناقشها أو تبناها أو دعمها أو روج لها. كيف لشخص من القرن الأول كمؤلف الرسالة إلى كولوسي أن يعرف ماذا جرى لكتابات أشعيا قبل خمسمائة عام؟ لقد كان يعيش في بلد مختلف ويتكلم لغة مختلفة،

ولم يكن يهودياً، وقرأ أشعيا باللغة اليونانية وليس العبرية وبالنسبة له كانت كل إصحاحات أشعيا مكتوبة من قبل أشعيا.

ما زال لدينا مشكلة أخرى مع هذه الفكرة. فحتى لو صح أن مؤلف الرسالة الثانية لبولس اعتبر نفسه متابعاً ومكملاً لتراث بطرس فهل هذا يبرر إدعائه أنه بطرس؟

ما هو المنطق في إدعاء إنسان فعلياً أنه الشخص الذي قبلت أفكاره؟

إن أحد الأسباب التي تخطىء هذا المنطق هو أنه كان هناك العديد من المسيحيين يمثلون العديد من وجهات النظر وكثير منها يتناقض بعضها مع بعض. كيف كان لمروجي تراث ما أن يتفاعلوا مع آخرين ادعوا أنهم من نفس ذلك التراث ومع ذلك كان لديهم شيء آخر يقولونه؟ فكر فقط بمؤلف الرسائل الرعوية الذي ادعى أنه بولس رغم أنه لم يكن كذلك ومؤلف (أعمال بولس) الذي ادعى أنه يمثل تصريحات بولس مع أنه لم يكن كذلك. لقد كان لديهما تماماً أفكار متباينة عن النساء وأدوارهن في الكنيسة. هل ينبغي أن نعتقد إذن أن المسيحيين الأوائل الذين قبلوا فكرة الرسائل الرعوية سيجدون من المقبول لمؤلف أعمال بولس أن يجعل بولس يقول كلاماً لم يقله؟ بالطبع لا. وهل كان مؤلف أعمال بولس سيجد مقبولاً لمؤلف الرسائل الرعوية أن يدعي أنه بولس في حين أنه لم يكن كذلك؟ لا أبداً. وماذا كان كل منهما ليسمي الآخر؟ إن كلاً منهما كان ليسمي الآخر كاذباً. ولوصم كل منهما كتب الآخر بأنها مزيفة (أباطيل وكذب) و (أولاداً غير شرعيين).

المدارس الفلسفية:

أحد الأسباب الأخرى التي تجعل تفسير ميد للتزوير يفشل هو أن معظم المؤلفين للعهد الجديد لم يكونوا جزءاً من التراث اليهودي.

لقد كانوا من الأمم غير اليهودية. لذلك حاول علماء آخرون أن يجدوا مبررات من أجل شرعنة الكتابات المكتوبة باسم مستعار في التراث الوثني حيث توجد أصول هؤلاء المؤلفين. يدعي مثل هؤلاء العلماء أحياناً أنه كان من المعتاد لدى تلاميذ أحد الفلاسفة أن يكتبوا أطروحاتهم ولا يوقعوها باسمهم الشخصي ولكن باسم معلمهم. ويقال إن هذا الشيء كان يجري كنوع من التواضع وأن المؤلفين كانوا يشعرون أن أفكارهم ليست في الحقيقة من عندهم ولكنها أتت إليهم

عن طريق زعيم مدرستهم الفلسفية. ولذلك لإعطاء الحق أهله كانوا يربطون اسم معلمهم بكتاباتهم التي كتبوها.

وكثيراً ما يزعم علماء العهد الجديد أن هذا يمكن أن يفسر لماذا ادعى أحدهم أنه بولس عند كتابة الرسائل إلى كولوسي وأفسس أو الرسائل الرعوية. في أحد التعليقات النظامية على الرسالة إلى كولوسي مثلاً نقرأ التالي: «إن الوثائق المكتوبة باسم مستعار وخاصة الرسائل ذات المحتوى الفلسفي وضعت في التداول لأن تلاميذ معلم كبير قصدوا أن يعبروا بواسطة المحاكاة عن حبهم لمعلمهم الذي يحترمونه وأن يضمنوا أو يروجوا تأثيره على جيل قادم في ظروف مغايرة» (17).

معلق أكثر حداثة على الرسائل إلى كولوسي وأفسس يذكر شيئاً شبيهاً بذلك فيقول: «إن النظر إلى الرسائل إلى كولوسي (أو أفسس) على أنها تنسب لبولس بشكل ثانوي يجب ألا يساء فهمه على أن هذه الوثائق هي ببساطة أمثلة للتزوير. وعلى سبيل المثال فإن الكتابة باسم احد الفلاسفة الذي كان يعتبر راعياً له يمكن أن يرى كعلامة على التكريم لهذا الشخص» (18).

علي أن أبين أن أياً من هذين المعلقين وكما يحدث غالباً لا يقدم أي دليل أن هذه العادة كانت شائعة في المدارس الفلسفية.

إنهم يقولون ذلك كحقيقة. ولماذا يعتقدون أنها حقيقة؟

بالنسبة لمعظم علماء العهد الجديد يعتقد أنها حقيقة لأن ـ حسناً ـ كثيراً جداً من علماء العهد الجديد قالوا ذلك! ولكن أسأل أحد الذين يزعمون ذلك ما هو مصدر معلوماتهم أو من هو الفيلسوف القديم الذي يذكر حقاً أن هذا كان فعلاً اعتيادياً. وفي أكثر الأحيان سيواجهك بنظرة فارغة (ليس هناك جواب).

إن العلماء الذين يذكرون دليلاً قديماً على هذه الممارسة المزعومة عادة يشيرون إلى مصدرين رئيسيين (19). لكن واحداً منهما لا يقول شيئاً من هذا النوع. وهذا هو الفيلسوف بورفيري من مدرسة الأفلاطونية الجديدة في القرن الثالث والذي يقال إنه ذكر أنه في مدرسة الفيلسوف القديم فيثاغورس (الذي عاش قبل ذلك بثمانمائة سنة) تلك الممارسة كانت شائعة لدى الطلاب الذين كانوا يكتبون رسائلهم ويضعون عليها اسم أستاذهم (20). وهذه العبارة التي قالها بورفيري يصعب

البحث عنها لأنها غير موجودة في كتاباته الباقية في اللغة اليونانية، هي فقط في ترجمة عربية لأحد كتبه من القرن الثالث عشر (21).

وأنا أشك أن يكون أحد من علماء العهد الجديد الذين يشيرون إلى مقالة بورفيري هذه قد قرأها فعلاً لأنها على كل حال باللغة العربية ومعظم علماء العهد الجديد لا يقرؤون اللغة العربية وأنا كذلك. لكن لدي صديق يقرؤها وهو كارل أرنست (Ernst) الخبير بالإسلام في العصور الوسطى.

وقد سألت البروفسور أرنست (Ernst) أن يترجم لي المقطع وكما يتبين فإن بورفيري لا يقول شيئاً حول أتباع فيثاغورس وأنهم كانوا يكتبون الكتب ويوقعونها باسمه، لكنه يقول بدلاً من ذلك أن فيثاغورس نفسه كتب ثمانين كتاباً وكتب أتباعه مائتي كتاب وأن اثني عشر كتاباً كانت «مزورة» باسم فيثاغورس. وتلك الكتب الاثني عشر متهمة بسبب استخدام اسم فيثاغورس في حين أنه لم يكتبها والمزورون تمت تسميتهم «أناس عديموا الحياء» وأنهم «لفقوا» «كتباً مزورة»، وأما المائتي كتاب فلا يقال أنها كتبت من قبل أتباع فيثاغورس باسمه؛ لقد كانت بكل بساطة كتباً لأتباع فيثاغورس.

هذا إذن أحد المرجعين القديمين اللذين يذكر أحياناً من قبل العلماء للإشارة إلى أن ممارسة الكتابة باسم الأستاذ كانت «شائعة». وينبغي علي أن أشير إلى أن في كتابات بورفيري الأخرى كما في هذا النص أنه يظهر اهتماماً شديداً بمعرفة أي الكتب موثوقة ومعتمدة وأيها مزورة وهو يدين حالات التزوير بما فيها سفر دانيال في العهد القديم الذي يعتقد أنه لا يمكن أن يكون قد كتب من قبل شخص إسرائيلي في القرن السادس (ق.م).

المرجع الثاني إلى تقليد في المدارس الفلسفية يقول ما قاله العلماء عنه، هذا المرجع موجود في كتابات إيامبليكوس (Iamblichus) وهو فيلسوف آخر من الأفلاطونية الحديثة من حوالي فترة بورفيري نفسها.

يقول إيامبليكوس في حديثه عن حياة فيثاغورس ما يلي: «هذه أيضاً حالة جميلة أنهم (يعني أتباع فيثاغورس) أرجعوا كل شيء إلى فيثاغورس وسموه باسمه وأنهم لم ينسبوا إلى أنفسهم عظمة إبداعاتهم إلا نادراً جداً، لأن هناك أناساً قلائل جداً تم الاعتراف بأعمالهم أنها تعود إليهم» (22).

وهنا يوجد مشكلات كثيرة لاعتبار هذه المقولة إشارة إلى ما كان يحدث «عادة» في المدارس الفلسفية في العصور القديمة كنموذج لما فعله المؤلفون المسيحيون عندما ادعوا أنهم بطرس أو بولس أو جيمس أو توماس أو فيليب أو آخرون غيرهم:

1 ـ لأن هذا التقليد لكي يكون قد أثر على مثل هذا العدد الكبير من المؤلفين المسيحيين الأوائل فلابد أن يكون قد عرف بشكل واسع. ولكنه لم يكن كذلك. هذا التقليد لم يذكره مؤلف واحد من زمن فيثاغورس (في القرن السادس ق.م) إلى زمن إيامبليكوس (في القرن الثالث إلى القرن الرابع الميلادي). وكنتيجة ليس هناك ما يوحي أن هذه الفكرة كانت واسعة الانتشار. على العكس تماماً لا يبدو أن أحداً آخر عرف ذلك التقليد على مدى ثمانمائة عام.

2 ـ وبمزيد من التحديد كان إيامبليكوس يعيش بعد مائتي سنة من رسائل بطرس الأولى والثانية والرسائل المنسوبة لبولس كدرجة ثانية. ولا توجد إشارة إلى أن هذا التقليد من النادر أن يرى كعمل مقبول على نطاق واسع في ذلك الوقت.

3 ـ يشير إيامبليكوس إلى ما حدث فقط ضمن واحدة من مدارس فلسفية كثيرة. وهو لا يقدم أي إدعاءات حول تقليد أوسع في المدارس الفلسفية خارج الدوائر الفيثاغورية.

4 ـ وكما أشار علماء معاصرون حول المدرسة الفيثاغورية فإن هناك سبباً للاعتقاد أن ما يقوله إيامبليكوس في الواقع ليس صحيحاً بالنسبة للمدرسة الفيثاغورية (23):

أ ـ أولاً لأنه كان يكتب بعد فيثاغورس بثمانمائة سنة ولم يكن ليتمكن من معرفة أن ما كان يقوله صحيح. ولكن ببساطة ربما اعتقد أن الأمور كانت تسير بذلك الشكل.

ب ـ لم يقل أحد من الفلاسفة الآخرين أو المؤرخين الذين يتحدثون عن فيثاغورس ومدرسته قبل إيامبليكوس أي شيء عن أعمال باسم مستعار ونسبت إلى فيثاغورس.

جـ ـ إن تعليق إيامبليكوس يبدو غير جاد نهائياً بلا روية.

د ـ وفوق كل شيء عندما يمكن التدقيق في مقالة إيامبليكوس يبدو أنها خاطئة. والغالبية الكبرى لكتابات المدرسة الفيثاغورية لم تكتب باسم فيثاغورس وقد كتب أتباعه بأسمائهم الشخصية (24).

وكنتيجة فإن تعليقاً عرضياً من قبل إيامبليكوس (الذي يجب أن تتذكر أنه عاش بعد بولس وبطرس بمائتي سنة) لا يمكن إطلاقاً أن يؤخذ كدليل على ما جرى في أيام فيثاغورس وتلامذته (قبل أيام بولس وبطرس بستمائة سنة)، بغض النظر عما يحتمل أنه حدث في بدايات المسيحية (25).

لهذه الأسباب لا يحتاج علماء العهد الجديد أن يراجعوا أفكارهم حول المدارس الفلسفية وتأثيرها على ممارسات التزوير لدى المسيحيين الأوائل. فليس هناك تقريباً ما يشير إلى أنه كان هناك تقليد في هذه المدارس لممارسة الكتابات باسم مستعار كنوع من التواضع. وكنت لأقترح أن العلماء قد تمسكوا بهذه الفكرة لمجرد أنها تعطيهم طريقة للتحدث عما جرى في التراث الأدبي لبدايات المسيحية بدون أن يقولوا أن المؤلفين المسيحيين الأوائل قد ارتكبوا جريمة التزوير.

فرضية الكاتب المستخدم:

مجموعات العلماء الثلاثة التي ذكرتها يعتقدون أنه بموجب أحوال معينة كانت الكتابة باسم مستعار ممارسة مقبولة في العصور القديمة.

ولذلك السبب وفي رأي العلماء فإن مؤلفي الكتابات المسيحية الأولى ينبغي ألا يظن بها أنها كاذبة عندما يدعى أنها لشخص ما غير الكاتب الحقيقي.

وهناك واحدة من المدارس الفكرية التي يجب دراستها وهي التي تقول إنه في عدد من الحالات ما (يبدو) أنه تزوير هو ليس كذلك في الحقيقة. والعلماء الذين يقولون بهذا لا يدعون بناء على أسباب لاهوتية أنه ما كان يمكن أن يوجد شيء كالتزوير في الفترة الأولى المسيحية. إنهم يدعون بناء على أسباب تاريخية أن بعض الكتب التي يبدو أنها مزيفة هي في الواقع ليست كذلك. وذلك لأن المؤلف الحقيقي الذي كان فعلاً هو الذي ادعى الكتابة قد استخدم كاتباً وأن الكاتب كتب بأسلوب يختلف عن أسلوب المؤلف نفسه.

وأحياناً ربما يكون المؤلف الحقيقي قد أملى الرسالة على الكاتب كلمة بكلمة ولكن في أحيان أخرى ربما يكون قد طلب من الكاتب أن يعيد كتابتها لتحسين الأسلوب. ومع ذلك ففي أوقات أخرى فإن المؤلف ربما كان بكل بساطة أخبر الكاتب أن يكتب له رسالة بحيث يكون المحتوى والأسلوب كلاهما قام بهما الكاتب حتى لو كان «المرجع» النهائي للرسالة هو المؤلف المسمى.

وهذه نظرية شائعة جداً وسوف تجدها منتشرة كثيراً في التعليقات في الكتاب المقدس على الرسائل الثانوية لكل من بولس وبطرس. وهي تفسر لماذا الرسالة الأولى لبطرس يبدو أنها مكتوبة بأسلوب يختلف عن الرسالة الثانية. وتفسر لماذا تبدو أفكار رسالة «بولس» المتنازع عليها إلى أهل أفسس مختلفة عن الأفكار التي لا نزاع عليها الموجودة في الرسالة إلى أهل رومية. فعلياً يمكن حل كل المشكلات التي كنت أسميها تزويراً لو كان الكتبة منهمكين بقوة في تأليف الكتابات المسيحية القديمة. وبالرغم من انتشار هذه النظرية فأنا سأجادل مرة أخرى قائلاً إنها ببساطة لا تملك حجة معقولة لتؤيدها.

لقد خصصت كتب كاملة للموضوع في السنوات الحالية. وأكثر هذه الكتب شمولاً وكمالاً هو كتاب ألفه إي راندولف ريتشاردز (Richards) بعنوان «الكاتب في رسائل بولس» (26).

ينظر ريتشاردز إلى كل الدلائل على وجود كتبة في العالم القديم. ويجد يتعقب رسائل أشهر كاتب في روما وهو رجل الدولة والفيلسوف شيشرون، فلقد استخدم شيشرون كتّاباً لمعظم رسائله المعروفة.

ويدرس ريتشاردز كل الشخصيات الكبيرة الأخرى في الإمبراطورية الذين عرفوا باستخدامهم للكتبة (مثل بروتوس وبومبي وماركوس أوريليوس) وهو ينظر إلى كل إشارة إلى الكتبة يمكن أن يجدها في الرسائل القديمة التي ما تزال باقية في أوراق البردي والتي تم اكتشاف معظمها في مصر خلال القرن الماضي. ويدرس ما تقوله مصادر المسيحية القديمة نفسها حول رسائل وكتبة. إنها دراسة مليئة ونافعة جداً.

لاشك بان الرسول بولس استخدم كاتباً في بعض المناسبات. ويخبرنا أحد الكتبة أنه كتب الرسالة! نقرأ في الرسالة إلى رومية إصحاح 16: 22: «أنا ترتيوس كاتب هذه الرسالة أسلم عليكم في الرب» ولا يقصد ترتيوس أن يقول أنه كان «مؤلف» الرسالة.

لقد كان الكاتب الذي كتب ما أمره به بولس أن يكتبه، استخدم بولس أيضاً كاتباً من أجل رسالته إلى أهل غلاطية لأنه في نهاية الرسالة يقول لقرائه: «انظروا

ما أكبر الأحرف التي كتبتها إليكم بيدي» (إصحاح 6: 11). ويتفق المعلقون بشكل كبير أن بولس قد لقن الرسالة لكاتب ولكنه هنا في النهاية كان يكتب الخاتمة بنفسه. وقد استخدم خطاً أكبر إما لأنه لم يكن ماهراً في الكتابة مثل الكاتب لأنه كان يعاني مشكلة في بصره ولذلك كتب حروفاً أكبر أو فعل ذلك لسبب آخر.

هل استخدم بولس كاتباً من أجل كل رسائله؟ من غير الممكن أن نعرف، وهل كان الكتبة يضيفون شيئاً لمحتويات الرسالة؟

من الأسهل أن نعرف هنا، وبالرغم مما يدعيه العلماء غالباً فإن كل الدلائل المتاحة تشير إلى أن الجواب هو لا. ونفس الدليل ينطبق على مؤلفي رسائل بطرس رقم 1 و 2 وفي الحقيقة وعلى كل الكتاب المسيحيين الأوائل.

ويناقش ريتشاردز في دراسته أن الكتبة كانوا يستخدمون في أربع طرق مميزة لكتابة الرسائل. وفي أكثر الأحيان كان الكاتب يسجل فقط ما يمليه عليه المؤلف إما ببطء أي مقطعاً وراء مقطع من الكلمة، أو بنوع من الاختزال عندما يتحدث المؤلف بسرعة طبيعية أو أحياناً بشكل وسطي بين السرعتين. وأحياناً أخرى كان المؤلف يطلب من الكاتب أن يصحح الأخطاء النحوية ويحسن الأسلوب الأدبي لما كتبه المؤلف أو أملاه عليه. وبين الفينة والفينة يدعي ريتشاردز أن الكاتب كان نوعاً من المؤلف المشارك الذي كان يضيف أفكاره وآراءه الخاصة إلى الرسالة. وأحياناً كما يقول ريتشاردز كان الكاتب فعلاً ينشئ رسالة كاملة بالنيابة عن المؤلف حتى أن كل الكلمات والأفكار كانت فعلاً تتبع الكاتب حتى لو وقع المؤلف على ما كتبه الكاتب.

إذا كان الكتبة كانوا عادة أو من حين لآخر على الأقل يتصرفون بهذه الطريق الأخيرة فإنه يمكن أن نفهم كيف أن رسائل كتبها نفس «المؤلف» يتم قراءتها بشكل مختلف بعضها عن بعض ليس في الأسلوب فقط بل في المحتوى. فما هو الدليل على أن الأمور سارت بهذه الطريقة؟

ليس هناك شك حول أول صنف ذكره ريتشاردز. فهناك دلائل وفيرة - تستطيع قراءتها كلها في دراسة ريتشاردز - أن المؤلفين كانوا في أكثر الأحيان يملون رسائلهم بدلاً من كتابتها بأنفسهم. وعندما حصل ذلك فإن المؤلف كان هو نفسه حقاً. هو لم يستخدم القلم والورق لكن الأفكار هي أفكاره والكلمات كلماته والنحو هو نحوه. وهنا لا توجد مشكلة.

لكن نجد المشاكل في الأصناف الثلاثة الأخرى. إحدى المشاكل العويصة جداً هي طبيعة الأدلة. وكلها تقريباً تأتي من مؤلفين كانوا أثرياء جداً جداً وأقوياء جداً ورفيعي الثقافة لدرجة كبيرة. وكان هؤلاء من الطبقة العالية جداً، أعلى طبقة في النخبة المثقفة وهم: الأباطرة والقناصل وأعضاء مجلس الشيوخ. وإنه لسؤال جوهري ما هو ارتباط ذلك الدليل بالأشخاص الذين كانوا من الطبقات الأدنى الذين ربما كانوا مثقفين بشكل مقبول مما كان ليجعلهم متفوقين على معظم الناس بالطبع ولكنهم أدنى بكثير من شيشرون أو ماركوس أو ريليوس.

إن صحف البردي - أي الرسائل الخاصة المحفوظة التي كتبت من قبل أناس عاديين بدلاً من نخبة المجتمع - لا تقدم لنا أي مساعدة في معرفة شيء عن هذه الأصناف الثلاثة.

المشكلة الثانية تتعلق بطبيعة «الرسائل» ذات العلاقة. معظم الرسائل في العالم الإغريقي - الروماني كانت قصيرة جداً ومحددة. لقد كانت من صفحة واحدة أو أقل. وكان محتواها محدوداً جداً. وفي أكثر الأحيان كان المؤلف يقول من هو ويشير إلى الشخص الذي يوجه له الكتابة ويقدم شكراً مقتضباً لآلهة المتلقي مشيراً إلى معلوماته أو طلبه وبعد ذلك يوقع الرسالة... وتنتهي الرسالة.

والسبب في أن هذه «مشكلة» هو أن رسائل المسيحية الأولى التي تهمنا - كالرسالة إلى أفسس مثلاً أو رسالة بطرس رقم ١ - أنها ليست كذلك على الإطلاق فهي أطروحات مطولة تعالج قضايا كبرى ومعقدة في صيغة رسالة. إنها تملك ملامح أسلوب الرسائل القديمة أي اسم المؤلف والمتلقي وتقديم شكر ونص الرسالة والخاتمة.

ولكنها مطولة بشكل أكبر بكثير من الرسائل النموذجية مثلاً في عروضها الدينية (اللاهوتية) وفي حضها الأخلاقي وفي اقتباسها وتفسيرها للنصوص المقدسة. هذه «الرسائل» في العهد الجديد هي في الحقيقة أشبه ما تكون بالمقالات المكتوبة بصيغة رسائل. لذلك فإن الدليل المشتق من الرسائل المختصرة النمطية الموجود عادة في الأوساط الإغريقية والرومانية ليس بالضرورة مناسباً لـ «رسائل» المسيحيين الأوائل.

بهذه التوضيحات والتنبيهات ماذا يمكننا أن نقول عن الأصناف الثلاثة الأخرى التي يشرحها ريتشاردز: الكتبة الذين يحسنون أسلوب المؤلف، والذين يشاركون في التأليف، أو الذين يؤلفون الرسالة بكاملها؟ هناك نوع من الدليل، إلا أنه محدود جداً، بأن الكتبة كان يطلب منهم أحياناً أن يطوروا أسلوب المؤلف، والدليل كله للصفوف العليا للطبقة العليا في روما القديمة وهي مثلاً رسالة من قائد الجيش بروتوس ورسالة أخرى من الإمبراطور ماركوس أوريليوس. ومن الصعب أن نعرف ما إذا كان هذا الإجراء كان مستخدماً على نطاق واسع أو إن كان مستخدماً على الإطلاق، خارج دوائر الأرستقراطيين مالكي الأراضي فاحشي الثراء.

ودليل الأنواع الثلاثة الأخرى - على الأقل كما يذكر ريتشاردز - هو عملياً غير موجود كما يقول هو بنفسه. وعند الحديث عن إمكانية أن تكون بعض الرسائل كتبت بالمشاركة بين المؤلف وكاتبه يشير ريتشاردز إلى احتمال مثال واحد وهي الرسائل التي كتبها شيشرون وكاتبه تيرو. لكن ريتشاردز بعد ذلك يسقط فكرة أن يكون تيرو شارك في تأليف الرسائل مع شيشرون ويبين سبب احتمال كونها خاطئة. ومن اللافت للنظر أن هذا المثال الوحيد الذي يذكره ريتشاردز قبل الاستنتاج وهو يقول: «من الواضح إذن... أن الكتبة كانوا يستخدمون كمؤلفين مساعدين»! يصعب أن نرى ما الذي يجعل هذا «واضحاً» عندما لم يورد مثالاً واحداً له. وربما سيتمكن علماء آخرون (أو ريتشاردز نفسه) من إيجاد دليل ما أخيراً.

وتوجد مشكلة مشابهة في فكرة أن يكون الكتبة كانوا أحياناً يؤلفون الرسائل بأنفسهم لصالح شخص آخر. صحيح أن أشخاصاً أميين (لا يقرؤون ولا يكتبون) كانوا يطلبون خدمات أحد الكتاب لكي يصوغ لهم عقد شراء أو بيع أراضي، أو صك زواج أو إيصال مبيع أو وثيقة من نوع آخر وأنهم كانوا في بعض الأحيان (ولكن نادراً) يستخدمون الكتبة المستأجرين ليكتبوا لهم رسائل قصيرة نمطية. حتى رجال الطبقات العليا كانوا يوجهون كاتباً ما ليكتب لهم رسالة نمطية قصيرة إلى شخص ما كما هو مثبت في عدة مناسبات من قبل شيشرون. وأياً كان دليل ريتشاردز فإن شيشرون فقط فعل هذا ولا أحد غيره. لكن كتابة مسودة رسالة نمطية شيء يختلف تماماً عن إنشاء رسالة طويلة ومفصلة وفيها محاكمة جيدة وأفكار

مختارة بعناية مع إدراك الفوارق البسيطة بين المعاني كرسالة بطرس الأولى أو الرسالة إلى أفسس.

ما الدليل الموجود على أن المقالات بصيغة رسائل من ذلك النوع كانت تسلم إلى كاتب من أجل إنشائها؟ بالتأكيد لا يوجد دليل أعلمه حتى الآن. وريتشاردز لم يجد أي دليل عليه أيضاً. وعندما كان شيشرون يطلب من كاتب أن ينشئ له رسالة نمطية قصيرة ويجعلها تبدو وكأنها آتية من شيشرون فإنه كان يفعل ما لم يفعله شخص آخر في العصور القديمة. وكما يقول ريتشاردز نفسه: «من المغري أن نستنتج أن طلباً للخداع دفع المؤلف إليه كان نادراً حقاً وربما خصص لشيشرون وحده ولهذا الزمن في حياته» (أي عندما كان عجوزاً متعباً وغير راغب في كتابة رسالة بنفسه) (27).

وماذا عن الكتبة الآخرين الذين ربما ألفوا رسالة (وليس مقالة في صيغة رسالة) من أجل مؤلف آخر؟ مرة أخرى وحسب ريتشاردز: «لم يكن هناك في أي مكان أي إشارة إلى أن كاتباً عادياً طلب منه ـ وهذا شيء قليل الاحتمال جداً ـ أن ينشئ رسالة للمؤلف» على العكس من هذا «بدون إشارة واضحة إلى استخدام كاتب كمنشئ للرسالة فإن هذه الطريقة في الأسلوب المكتبي ربما لم يكن من الواجب اعتبارها خياراً صحيحاً» (28).

من المؤكد أنه لا توجد إشارة واضحة كهذه في الرسائل الثانوية ـ لبولس أو بطرس.

أنا لا أعلم بوجود دليل واحد أو شبه دليل يوحي بأن بطرس أو بولس استخدما كاتباً أضاف بشكل هام أو غير هام إلى محتويات الرسالة. لذا فإن من الضروري أن لا ندرس أسلوب الكتابة فقط بل المحتوى أيضاً عندما ننظر إن كان بولس أو بطرس كتبا أو لم يكتبا ـ لنقل ـ الرسالة إلى أفسس أو الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، أو أن بطرس كتب أم لم يكتب الرسالتين الأولى والثانية. عندما يدعي شخص أنه كتب رسالة فهو يقر بمحتواها. أحياناً نرى رسالة منسوبة إلى بولس تتناقض مع ما يقوله بولس في مكان آخر كما يحدث عندما تختلف الرسالة إلى أفسس عن رأي بولس في قيامة المؤمنين كما نجدها في رسالته إلى أهل رومية. وبما أن الكتبة لم ينتجوا محتويات الرسائل (على الأقل الرسائل بصيغة مقالات من هذا النوع) فإن

الكاتب لا يمكن أن يكون مسؤولاً عن الاختلاف. لذلك فإن بولس لا يمكن أبداً أن يكون مسؤولاً عن الرسائل غير المتفق عليها. وأحياناً أخرى يكون ما يجده المرء في رسالة لا يمكن أن يفسر منطقياً على أنه صادر عن مؤلف مرموق. أياً كان الشخص الذي كتب الرسالة رقم 1 لبطرس مثلاً فهو شخص رفيع الثقافة مسيحي يتكلم اللغة اليونانية وكان يفهم كيف يستعمل الأدوات البلاغية وكان يستطيع الاستشهاد بالعهد القديم باللغة اليونانية بتباه وخبرة عميقة. وذلك لا ينطبق على صياد السمك غير المثقف الأمي الذي كان يتكلم اللغة الآرامية الآتي من منطقة الجليل الريفية. ولا يبدو أن الرسالة كتبها كاتب نيابة عنه.

وكما ذكرت في الفصل الثاني يفيدنا أيضاً أن نفكر بشكل واقعي حول فرضية الكاتب وكيف يحتمل أن تفسر كيف أن بطرس نفسه ربما استطاع كتابة الرسالة الأولى، لا يمكن أن يكون قد أملى الرسالة على كاتب لأنه لم يكن مدرباً على الأساليب البلاغية والإنشائية باللغة اليونانية. ولا يمكن أن يكون قد أملى الرسالة باللغة الآرامية وطلب من الكاتب أن يترجمها إلى اليونانية لأن الرسالة تحتوي صيغاً معقدة من المناقشة والعرض التي تصلح فقط في اللغة اليونانية وتتطلب معرفة مسبقة بالعهد القديم المكتوب باليونانية وليس بالنسخة العبرية التي يفترض أنها كانت مألوفة لبطرس. ولا يبدو ممكناً أن بطرس أعطى خلاصة عامة لما كان يريد قوله وأن الكاتب بعد ذلك أنشأ له الرسالة باسمه لأنه في تلك الحالة سيكون الكاتب وليس بطرس هو مؤلف الرسالة وثانياً والأكثر أهمية في الموضوع أنه لا يبدو أننا وجدنا أي شبيه بمثل هذا الإجراء من العالم القديم.

على المؤرخين أن يقرروا ما الذي يمكن أن يكون قد جرى في الماضي. أيهما أكثر احتمالاً - رواية لا تحوي أي شبه معروف (بطرس يطلب من شخص آخر أن يكتب له الرسالة باسمه) أم رواية فيها الكثير والكثير من حالات مشابهة بما أنها قد حدثت في كل الأوقات؟ إن التزوير قد حصل في كل الأزمنة. وبالتأكيد هذا أفضل تفسير لما كان يجري هنا.

والشيء نفسه ينطبق على الرسائل التي تحمل اسم بولس والتي لم يكتبها والتي يختلف فيها المحتوى بشكل ملموس وليس فقط الأسلوب عن أفكار بولس

نفسه. إن هذه الرسائل لم ينشئها الكتبة. لقد أنشئت لاحقاً على يد مؤلفين مسيحيين ينتحلون شخصية بولس. وكنتيجة نقول إن فرضية الكاتب بقدر ما تبدو واعدة للوهلة الأولى لا يمكنها أن تبرر حالات التزوير في العهد الجديد.

الخلاصة المستنتجة:

بإمكاني تلخيص هذه الفصول الأربعة بسلسلة من العبارات المختصرة. كان هناك عدد من حالات التزوير الأدبي في بدايات المسيحية، وبعض منها يمكن أن نجده في العهد الجديد. وهذه حقاً أشياء مزورة وهي كتب يدعي مؤلفوها أنهم أشخاص مشهورون وأصحاب نفوذ رغم أنهم كانوا أشخاصاً آخرين. ويتجنب بعض العلماء حالياً اصطلاح «تزوير» ويقولون عن هذه الكتابات إنها مكتوبة باسم مستعار أو أنها نقوش مزيفة ومن الناحية الفنية هذه التسميات الأخرى صحيحة ولكنها غير دقيقة. إن الكتابة باسم مستعار تتضمن الكتابات التي وضعت تحت اسم فني (مستعار) ولا يقع ضمنها أي من الكتابات التي درسناها. والنقوش المزيفة هي في الأصل كتابات مجهولة المؤلف تم لاحقاً نسبتها خطأ إلى أشخاص مشهورين. والكتب التي نتحدث عنها هي لمؤلفين كذبوا بشأن حقيقة شخصيتهم لكي يخدعوا قراءهم كي يعتقدوا أنهم أشخاص معينين. والاسم الفني لهذا النوع من الأعمال هو تزوير.

كان التزوير في العصور القديمة مختلفاً عن التزوير في الوقت الحالي في بعض الاعتبارات الهامة وهذه الاختلافات يجب ألا توضع دائماً في البال. والأكثر أهمية أنه في العصر الحاضر يرتبط التزوير بمعنى العمل المخالف للقانون الذي قد يوصل الشخص إلى السجن. في العصور القديمة لم يكن هناك قوانين ضد أشياء كهذه ولذلك لم يكن هذا العمل يرى كأنه غير قانوني. لكن هذا الاختلاف ليس مهماً كثيراً ليتطلب منا استخدام مصطلح آخر لهذه الممارسة. «الكتب» في العصور القديمة مثلاً كانت تختلف عن الكتب الحالية، كانت تكتب على لفائف ولم تكن تنتج بكميات كبيرة مع ذلك فهذا لم يمنع أحداً من تسميتها بالكتب. وأعمال التزوير في العصور القديمة كانت تختلف في بعض النواحي عن التزوير حالياً لكنها مع ذلك كانت تسمى تزويراً.

إن المعاني السلبية للمصطلح مناسبة للظاهرة القديمة. وقد سمى المؤلفون القدماء مثل هذه الأعمال كتابات غير صحيحة، وسموها أكاذيب وكذلك سموها: «أطفال غير شرعيين». وإن محاولات عديدة قام بها العلماء العصريون لرؤية هذه الممارسة بشكل أكثر إيجابية في الحقيقة لم تصمد أمام التمحيص الدقيق. أكثر الإدعاءات شيوعاً والموجودة بكثرة بين العلماء والناس العاديين هي أن هذه الممارسة كانت مقبولة بكثرة في المدارس الفلسفية أو أنه يمكن تفسير هذه الظاهرة بافتراض أن المؤلف استخدم كاتباً ألف الكتابة بذاته. ولا يملك أي من هذين التفسيرين تعزيزاً كافياً في المصادر القديمة.

من الضروري أن نتذكر أن الكتاب القدماء الذين يذكرون ممارسة التزوير يدينونه ويشيرون إلى أنه خادع وغير مناسب وخاطئ. وإذا كنا سنفعل ذلك أيضاً فإن هذا سيعتمد على عدد من العوامل. وإن القراء المعاصرين الملتزمين دينياً بتعاليم العهد الجديد ربما يريدون أن يقدروا المؤلفين الذين خدعوا قراءهم حول شخصيتهم الحقيقية على أساس أنهم كانوا يكذبون من أجل الوصول إلى خير أكبر مثلاً. وربما يميل قراء آخرون على الاعتراف بأن المؤلفين تجاوزوا المعايير الأخلاقية القديمة ومن الأفضل وصفهم كما فعلت أنا ـ بأنهم مزورون.

الفصل الخامس
التزوير في النزاعات مع اليهود والوثنيين

اشتهر عن عيسى أنه قال في العهد الجديد: «أنا ما جئت لألقي سلاماً على الأرض بل سيفاً» (متى، إصحاح 10: 34). كلمات أكثر صدقاً من أي شيء قيل من قبل. كثير من المسيحين في العصر الحديث يظنون بدينهم أنه داع للسلام كما كان في كثير من الأحيان وكما يجب أن يكون. لكن أي إنسان لديه أدنى معرفة بالتاريخ يعلم أيضاً كم كان المسيحيون أصحاب عنف على مر العصور يدعمون الظلم والاضطهاد والحروب والحملات الصليبية والمذابح المنظمة ومحاكم التفتيش والمحرقات اليهودية ـ وكل ذلك باسم الدين.

وربما كان جميع المسيحيين الداعمين للأعمال البغيضة في التاريخ كانوا يتصرفون بعقيدة فاسدة؛ ربما كانوا ينتهكون المبادئ الصادقة لديانتهم؛ ربما كانوا لا علاقة لهم بتعاليم محبة السلام لراعي الأغنام الصالح. ولا ينبغي لأحد أن ينكر الخير المدهش الذي تم فعله باسم المسيح والأعمال التي لا تحصى للحب البعيد عن الأنانية والتضحيات المذهلة التي قدمت لمساعدة المحتاجين. ورغم هذا فإن أدياناً قليلة في تاريخ الجنس البشري أظهرت ولعاً بالخلاف أكثر من أي دين مؤسس على تعاليم يسوع الذي جاء حقاً بالسيف مصداقاً لكلمته.

أدرك بعض قدماء المسيحيين أن الدين سيبنى على النزاع. يقول مؤلف الرسالة إلى أفسس في العهد الجديد والمفترض أنه بولس يقول لقرائه أن «البسوا سلاح الله الكامل» (إصحاح 6: 10 ـ 20). وإن صراعهم لم يكن «مع دم ولحم بل مع السلاطين مع ولادة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات».

وفي مواجهة هؤلاء الأعداء الكونيين كان على المؤمنين أن يلبسوا درع البر وترس الإيمان وخوذة الخلاص و «سيف الروح الذي هو كلمة الله» هذه إذن لم تكن معركة ضد أعداء بشريين بل ضد القوى الروحية المصطنعة ضد الله. لكنها كانت معركة على كل حال.

من المدهش أن نجد مؤلف الرسالة إلى أفسس يقول لقرائه في توجيهاته حول «الدرع» المسيحي: «اثبتوا بمنطقين أحقاءكم (وسطكم) بالحق» (إصحاح 6: 14). كان الحق مهماً لهذا الكاتب وقبل ذلك يشير إلى الإنجيل بأنه «كلمة الحق» (إصحاح 1: 13) ولاحقاً يشير إلى أن «الحق في يسوع» ويقول لقرائه أن «يقولوا الحقيقة» لجيرانهم (إصحاح 4: 24 ـ 25). ويدعي أيضاً أن «ثمر النور» موجود في «الحق»، فكم هو من السخرية إذن أن يكون المؤلف قد خدع قراءه حول شخصيته الحقيقية.

لقد كتب الكتاب باسم مستعار باسم بولس من قبل شخص كان يعلم تماماً أنه ليس بولس. وهو يدعي خطأ انه مرجع مسيحي معصوم من الخطأ يقوم هذا الداعي إلى الحق بإصدار كتابة باسم مستعار «كتاب كتب زوراً». على الأقل هذا ما كان النقاد القدماء سيسمونه لو أنهم علموا أن المؤلف لم يكن بولس.

لذلك ذهب بعض المسيحيين إلى المعارك ولم يكونوا متسلحين بالحق بل بالخداع. وربما شعر المؤلف بأن لديه العذر في الكذب حول هويته. لقد كان هناك مع كل ذلك الكثير المعرض للخطر.

لقد دخل المسيحيون في نزاع ليس فقط مع القوى الروحية بل أيضاً مع القوى البشرية، أو ربما وبشكل أدق، من وجهة نظر المؤلف، فإن القوى الروحية المحتشدة ضد المسيحيين أظهروا أنفسهم في العالم الإنساني (بصورة بشرية) وعلى هذا المستوى كانوا فعلاً يخوضون المعارك. وكما علم مؤرخو المسيحية الأولى منذ زمن طويل فإن المسيحيين في القرون الأولى للمسيحية كانوا في صراع دائم وكانوا يشعرون أنهم معرضون للهجوم من كل ناحية. كانوا متنافرين مع اليهود الذين اعتبروا آراءهم ضالة ومنحرفة عن التقاليد الموروثة لشعب إسرائيل. وكانوا متناحرين مع الوثنيين شعوباً وحكومات والذين كانوا يعتبرونهم متكتمين وأن دياناتهم غير معتمدة وقد سببت خطراً على الدولة. وكانوا متنافرين بشكل عنيف جداً وخبيث جداً مع بعضهم بعضاً حيث قال المعلمون المسيحيون المختلفون والجماعات المختلفة أنهم هم وحدهم أصحاب الحق وأن المعلمين والجماعات الأخرى أساؤوا فهم الحقائق التي نادى بها المسيح خلال حياته على الأرض.

في كل هذه المعارك تضمن «درع الله الكامل» أسلحة الخداع. فالتزوير كان يستخدم من قبل بعض المؤلفين المسيحيين لكي يرد على هجمات اليهود والوثنيين وليجابه أفكار المسيحيين الآخرين الذين كان لديهم فهم آخر ومخطئ للعقيدة.

في هذا الفصل أدرس النزاعات مع الغرباء أي اليهود والوثنيين المخالفين للدين المسيحي وفي الفصل القادم أعالج النزاعات الداخلية التي أقضت مضجع الكنيسة منذ البداية.

إن كثيراً من المسيحيين الإنجيليين المحافظين في الوقت الحاضر لا يستطيعون أن يفهموا لماذا لا يقبل اليهود فكرة أن عيسى هو المسيح المنتظر أو المخلص المنتظر. فكل شيء يبدو واضحاً بالنسبة لهؤلاء المسيحيين. لقد تنبأ العهد القديم بما سيكون عليه المخلص المنتظر. وإن عيسى قد اختبر تلك الأشياء المتنبأ بها. لذا فبالطبع هو المخلص المنتظر. لقد قال العهد القديم إنه سيولد من عذراء (أشعياء 7: 14)، في بيت لحم (ميخا 5: 2) وأنه سيضطر للجوء إلى مصر وهو طفل ثم يعود من هناك (يوشع 11: 1) وأنه سيربى في الناصرة ولذا سيدعى الناصري (أشعيا 11: 1). وتنبأ العهد القديم أنه سيخدم (يقوم بالكهانة) في الجليل (أشعيا 9: 1 ـ 2) وأنه سيكون شافياً كبيراً (53: 4). وتنبأ بدخوله المظفر إلى القدس وسط تهليل الجماهير (أشعيا 62: 11 وزكريا 9: 9) وبتطهيره للمعبد (أرميا 7: 11) وتعرضه للإنكار من قبل الزعماء اليهود (المزامير 118: 22 ـ 23). والأهم من ذلك كله تنبأ بصلبه من أجل خطايا الآخرين وبقيامته المجيدة من بين الأموات (المزامير 22: 110، وأشعيا 53).

لقد فعل يسوع كل ما تم التنبؤ به فلماذا لا يرى اليهود هذا الشيء؟ إنه في كتبهم المقدسة! ألا يستطيعون القراءة؟ هل هم عمي؟ هل هم أغبياء؟.

إن الحقيقة بالطبع هي أن اليهود وعلى مر التاريخ لم يكونوا أكثر جهلاً وعمىً وغباء من المسيحيين. إن الرد النموذجي لليهود على المزاعم المسيحية بأن عيسى حقق النبوءة هي أن النصوص الكتابية التي يستشهد بها المسيحيون إما أنها لا تتحدث عن مخلص مستقبلي أو أنها لا تقدم نبوءات على الإطلاق. وعلى المرء أن يقر عند النظر إلى هذه المجموعة من الحوارات من الظاهر أن القراء اليهود لديهم وجهة نظر. ففي المقاطع التي يزعم أنها تتنبأ بموت وقيامة يسوع مثلاً نجد أن كلمة

«المخلص المنتظر» في الواقع غير واردة أبداً. ويندهش كثير من المسيحيين بهذا الزعم ولكن اقرأ فقط أشعياء 53 بنفسك وانظر.

رفض معظم اليهود القدماء كون عيسى المخلص المنتظر لسبب بسيط هو أن عيسى لم يكن أبداً كما كان معظم اليهود يتوقعونه. وعلي أن أؤكد أن كثيراً من اليهود في العالم القديم لم يكونوا جالسين على أطراف مقاعدهم يتظرون مجيء المسيح المنتظر أكثر مما يفعله معظم اليهود حالياً. لكن كانت هناك مجموعات من اليهود المتدينين بشدة قريباً من زمن يسوع والذين كانوا يعتقدون أن الله سيرسل شخصاً مخلّصاً لينقذهم من مشاكلهم الخطيرة جداً.

وبنت كل هذه المجموعات توقعاتها على الكتاب المقدس اليهودي بالطبع، لكن كانت هناك توقعات مختلفة عما سيكون عليه حال هذا المخلص المنتظر (7).

إن مصطلح «مسيح» (مسايا messaya) يأتي من كلمة عبرانية تعني «ممسوح بالزيت». وفي الكتاب المقدس اليهودي كانت الكلمة تستخدم للإشارة إلى ملك إسرائيل، أي شخص كالملك شاؤل، أو الملك داوود أو الملك سليمان. وكان الملك يمسح بالزيت حرفياً على رأسه أثناء حفل تنصيبه ليظهر أن نعمة الله الخاصة رست عليه بطريقة فريدة (انظر مثلاً المزامير 2 ـ من العهد القديم). وبعد فترة من الزمن عندما لم يعد هناك ملوك آخرون على شعب إسرائيل ظن بعض اليهود أن الله سيرسل ملكاً مستقبلياً، شخصاً ممسوحاً بالزيت كالملك داوود العظيم الذي كان في الزمن الماضي والذي سيقود جيوش إسرائيل ـ كما فعل داوود ـ ضد أعدائهم ويعيدون بناء إسرائيل مرة أخرى كدولة سيادية في الأرض. هذا الملك المستقبلي إذن هو الذي سيكون المخلص المنتظر وهو مخلوق بشري محارب قوي وحاكم عظيم لشعب الله.

يهود آخرون أكثر ميلاً نحو التفكير الكوني كانوا يعتقدون أن هذا المخلّص القادم سيكون شخصاً خارقاً مرسلاً من السماء وهو نوع من القاضي الكوني للأرض والذي سيجابه العدو بقوة لا تقهر قبل أن ينشئ مملكة هنا على الأرض يتم حكمها من قبل رجل مختار من الله. مع ذلك كان يهود آخرون مصممين بشكل مبدئي على ما يمكن تسميته «ديانة» إسرائيل في مقابل وضعها السياسي. اعتقد هؤلاء اليهود أن الحاكم المقبل للشعب سيكون كاهناً قوياً سيقوي شعب إسرائيل

بتعليمهم التفسير الصحيح للناموس اليهودي (الشريعة) وإنه سيحكم شعب الله إذن بتقوية مراعاتهم لما طلبه الله منهم في الكتاب المقدس.

باختصار كان هناك عدة توقعات للشخص «الممسوح بالزيت» المخلص المنتظر وكيف سيكون. الشيء الوحيد الذي كان مشتركاً في كل هذه المفاهيم للمخلص القادم هو أنه سيكون شخصاً يتمتع بالفخامة والقوة مؤيداً من عند الله ليتغلب على الأعداء وليحكم شعب الله بسلطة قوية.

من ناحية أخرى زعم أتباع يسوع أنه كان المخلص. ومن كان عيسى؟ مبشر غير معروف كثيراً من منطقة الجليل المتخلفة ثقافياً والذي أزعج السلطات الحاكمة وكان نتيجة لذلك معرضاً للإذلال العام والتعذيب وأعدم على الصليب كمجرم لا قيمة لحياته.

بالنسبة لمعظم اليهود كان ليصعب عليهم أن يتخيلوا شخصاً أقل شبهاً بالمسيح المنتظر من عيسى الناصري. لكن ذلك هو ما ادعاه المسيحيون، لقد زعموا أنه هو المسيح المنتظر. واقتنع أوائل المسيحيين بهذا القول لأنهم كانوا يعتقدون أن عيسى قد رفع من قبل الله من بين الأموات بدنياً وفعلياً.

وكان الله قد بين أن يسوع لم يكن مجرد مجرم تافه أو مبشر ضعيف. في الواقع كان الله قد أيده ليغلب أعظم عدو على الإطلاق وهو الموت نفسه. لقد صعد عيسى إلى السماء وهو الآن جالس على يمين الله وإنه ينتظر أن يعود ليؤسس حكمه على الأرض. وبحسب هذه النظرة المسيحية القديمة فإن توقعات اليهود حول المخلص المنتظر كانت صحيحة. فالمسيح المنتظر سيغلب أعداء الله في إظهار للقوة. ولكن قبل فعل ذلك يحتاج لدحر الأعداء الأكبر وهم قوى الخطيئة الشريرة والموت اللذين كانا متحدين ضد الله وشعبه. لقد قهر يسوع الخطيئة على الصليب وقهر الموت عند قيامته من بين الأموات. فهو إذن المخلص وإنه عائد ليكمل مهمته.

بالنسبة لأتباع عيسى إذن كان يفترض بالكتاب المقدس أن يتنبأ ليس فقط بالنواحي القوية لعودة المسيح «الثانية» ولكن أيضاً الأحداث الهامة لـ «مجيئه» الأول. ولذلك فتش المسيحيون في نصوص الكتاب المقدس ليجدوا مقاطع يمكن أن تشير إلى ولادة وحياة وموت وقيامة يسوع. كان المسيحيون واثقين أن هذه

المقاطع المتعلقة بـ (الولادة من عذراء في بيت لحم، الدخول المظفر، الموت فداء لخطايا الآخرين، وهكذا) كانت تشير إلى يسوع لأن يسوع كان المخلص والنصوص المقدسة بشرت به. ولم يكن معظم اليهود مع ذلك مقتنعين لأن أحداً من هذه المقاطع لم يكن في الواقع يتكلم عن المخلص والكتاب اليهودي لا يذكر أبداً أن المخلص سيأتي مرتين ولأن حياة يسوع لم تكن أبداً الحياة المجيدة لرسول الله المبارك (الممسوح بالزيت).

وهكذا فقد كانت هناك صراعات عميقة وشاقة من البداية.

في المراحل الأولى كان اليهود أكثر عدداً من المسيحيين واستطاعوا التغلب عليهم بسهولة. لكن المسيحيين كانوا باستمرار يردون الهجمات واستمروا في الجدل والجدل والجدل. ومن بين الأشياء الأخرى لم يستطع كثير من اليهود المسيحيين أن يفهموا لماذا اليهود غير المسيحيين لم يروا وجهة نظرهم ولم يقبلوا «حقيقة» أن يسوع كان المخلص. البراهين كلها كانت موجودة تماماً في النصوص المقدسة نفسها! وعندما اقتربت خطوط القتال أكثر فأكثر من بعضها وتخندق الطرفان واستخدموا طرقاً أقسى بدأ المسيحيون يجادلون أن اليهود الذين رفضوا يسوع كانوا مسؤولين عن موت المسيح تماماً كالسلطات اليهودية التي دعت إليه أساساً. إن رفض المسيح كان بمثابة قتله.

وهكذا بدأ اليهود غير المسيحيين يعرفون بأنهم أشخاص قتلوا مخلصهم - قتلة المسيح. ومن الواضح أنهم أساؤوا فهم كتابهم المقدس وجحدوا إلههم. ونتيجة لذلك نبذهم الله.

وفي هذا السياق أنتج كم هائل من الكتابات من كلا الطرفين وخصوصاً من قبل المسيحيين. وبعض هذه المنشورات ما تزال بين أيدينا في الوقت الحاضر. هناك رسالة، يقال إنها لبرنابا أحد أصحاب بولس الرسول، تزعم أن اليهود لم يفهموا دينهم جيداً وذلك لأنهم فسروا ناموس (شريعة) موسى حرفياً بدلاً من فهمها معنوياً حتى أن العهد القديم ليس يهودياً بل هو كتاب مسيحي. وهناك نص لكاتب مسيحي مشهور من القرن الثاني وهو الشهيد جوستن نجد فيه حواراً مع حاخام يهودي يبين له فيه الأخطاء في تفسيراتهم لكتابهم المقدس. وفي موعظة للمدعو

مليتو (Melito) وهو قس مسيحي من أواخر القرن الثاني يزعم فيها أن اليهود لم يقوموا فقط بنكران المخلص بل قاموا بقتله، قتلوا ابن الله فهم مذنبون بقتل إله: لقد قتلوا الله نفسه. وهكذا سارت الأمور.

ومن بين الأعمال التي أنتجها المسيحيون في هذا الكر والفر كان هناك الكثير من التزوير: كتب كتبت بأسماء شخصيات مرجعية في الماضي القصد منها أن تظهر الحقيقة الساطعة للمسيحية وأخطاء اليهود الشنيعة. وكان هناك خصوصاً عدد من حالات التزوير التي أكدت الشخصية الحقيقية ليسوع: إنه كائن مقدس وليس مجرد إنسان فانٍ كما أقرت السلطات الرومانية. في هذه الكتابات لم يكن الرومان هم المسئولين عن صلب المسيح بل القادة اليهود أو حتى الشعب اليهودي ذاته.

بعض حالات التزوير التي نتجت:

إنجيل بطرس:

شاهدنا سابقاً إحدى حالات التزوير التي كتبت ولو جزئياً على الأقل لتنشر هذه الفكرة. يؤكد إنجيل بطرس (الذي نوقش في الفصل الثاني) أنه «لم يكن أحد من اليهود» راغباً في غسل يديه ليظهر براءته من دم يسوع.

في هذا الإنجيل نرى أن الملك اليهودي هيرودس وليس بيلاطس هو الذي أمر بموت يسوع. وفيما بعد يظهر الشعب اليهودي ندمهم على قتل من اختاره الله ويقرون أن الله الآن سيحاكمهم وينزل الدمار على مدينتهم المقدسة (أورشليم) في إشارة إلى الحرب الرومانية التي نتج عنها إحراق المعبد وتسوية الجدران بالأرض وذبح المعارضة اليهودية في عام 70 ميلادية.

إن إنجيل بطرس هو أحد أقدم الأناجيل بعد فترة العهد الجديد وربما كتب حوالي عام 120 ميلادية. إن تزويرات الأناجيل المعادية لليهود بدأت تزداد شهرة مع مرور الوقت وخصوصاً عندما زاد انتشار المسيحية وكانت قادرة على تأكيد قوتها بشكل أكثر إقناعاً.

إنجيل نيقوديموس:

أحد أكثر الأناجيل غموضاً يأتي قريباً من نهاية الفترة الزمنية التي أتناولها في هذا الكتاب وهي القرون المسيحية الأربعة الأولى. وهذا الإنجيل عبارة عن قصة

مطولة لمحاكمة يسوع وموته وقيامته والتي يدعى كذباً بأن كاتبها لم يكن غير نيقوديموس الحاخام المعروف تماماً للقراء المسيحيين بدوره المهم في إنجيل يوحنا كتابع ليسوع «سراً» (انظر الإصحاح 3: 1 ـ 15) (2). إن إنجيل نيقوديموس أصبح مألوفاً ومؤثراً بشكل غير معتاد خلال العصور الوسطى إذ أنه تم تداوله كثيراً في الأوساط اللاتينية الغربية وتم بالتالي ترجمته ونشره في ما يقرب من كل اللغات في أوربا الغربية. وكان يعتقد بالطبع أنه كتب من قبل نيقوديموس نفسه. لكن القصة كانت قد ألفت في وقت ما في القرن الرابع بعد موت نيقوديموس بثلاثمائة سنة (إذا افترضنا أنه كان شخصية تاريخية). وربما كان على كل حال قائماً على قصص تناقلها الناس شفاهة طوال قرنين قبل أن تسجل كتابياً.

يبدأ الإنجيل بالإشارة إلى أن نيقوديموس كان قد كتب الرواية أصلاً باللغة العبرية. والحقيقة أن المؤلف يبدو أنه باللغة اليونانية الأصلية. ولكن بزعم أنه ظهر أولاً بالعبرية فإن المؤلف الحقيقي أياً كان قدمه بمظهر المرجعية مبيناً أن القصة قديمة جداً وفي نفس الوقت أنها (كما يفترض) مبنية على رؤية شاهد عيان.

لا شك بأن هذه القصة أبعد ما تكون عن كونها تاريخية كما تجذر في أساطير لاحقة حول الساعات الأخيرة في حياة يسوع وحول موته وقيامته. لقد صممت الرواية لتبين أن بيلاطس كان بريئاً تماماً من إعدام يسوع وأن القادة اليهود والشعب اليهودي كانوا مذنبين تماماً وأنه بسبب كفرهم بيسوع نبذهم الله.

إن الصفة الإلهية ليسوع تم تأسيسها من بداية الرواية في واحد من أكثر المشاهد إقناعاً وأهمية. قبل محاكمة يسوع نجد السلطات اليهودية تتحدث مع بيلاطس وتلح على أن يسوع مدان بجرائم وينبغي إدانته. ويأمر بيلاطس مراسله بإحضار يسوع إلى قاعة المحكمة. وفي المحكمة هناك خادمان يمسكان «رايات» عليها صورة قيصر «المقدس» كما كانت الرايات الرومانية. وعندما يدخل يسوع قاعة المحكمة ينحني حاملا الأعلام أمامه بحيث تظهر صورة قيصر وكأنها تقدم الطاعة في حضرته.

وتغضب السلطات اليهودية وتعيب على حاملي الأعلام الذين يجيبون بأنه لا علاقة لهم بالأمر وأن صور قيصر انحنت من تلقاء نفسها لتبجل يسوع. ويقرر

بيلاطس أن يحاول الوصول إلى قرارة المسألة ولذلك يأمر الزعماء اليهود بأن يختاروا بعض رجالهم الأشداء ليحملوا الرايات ويجعلوا يسوع يخرج ويدخل مرة ثانية فيختار الزعماء اثني عشر يهودياً مفتولي العضلات ستة لكل راية ويمسكونها بكل قوتهم. ويدخل يسوع ثانية إلى القاعة ومرة ثانية تنحني الرايات أمامه.

قد تعتقد أن الجميع فهموا الموضوع لكن ذلك سيفسد القصة.

يفزع بيلاطس ويحاول أن ينقذ يسوع من الورطة ولكن بلا جدوى فإن السلطات اليهودية تعلن أن يسوع شرير يستحق الموت. ومراراً خلال جريان المحاكمة يتهمون يسوع بالأخطاء ويصرون على أنه يجب أن يقاضى. وكذلك يصر بيلاطس أن عيسى بريء من كل التهم ويعبر عن دهشته لماذا يصر اليهود على رؤيته مقتولاً ويحث الزعماء اليهود أن يسامحوه ويخلوا سبيله، لكنهم يرفضون ويطالبون بموته. ثلاث مرات يعبرون عن رغبتهم بتحمل المسؤولية بذكر كلمات متى في الإصحاح 27: 25 «ليكن دمه علينا وعلى أولادنا». عندما تمت كتابة هذه الكلمات لأول مرة قبل قرون في إنجيل متى فإنها قد عبرت مسبقاً عن نزعة معادية لليهود.

بقول هذه الكلمات أظهرت الجموع اليهودية أنهم كانوا راغبين ليس فقط باستحقاق خطيئة موت المسيح بل أيضاً بانتقالها إلى الأجيال التالية من اليهود. وقد استخدمت هذه الكلمات عبر القرون من قبل المسيحيين المعادين لليهود ليلوموهم على قتل المسيح وينزلوا بهم أعمالاً رهيبة من العنف انتقاماً لذلك. ذلك النوع المتشدد من المعاداة لليهودية واضح سلفاً هنا في إنجيل نيقوديموس. فقد تم إظهار السلطات اليهودية في أنها بملء إرادتها تتعامى عن شخصية يسوع الحقيقية. حتى الإمبراطور كان يبجله (في الرايات). ويستدعى عدد من الشهود ليعيدوا رواية كل المعجزات التي أداها بصفته ابن الله. لكن لا جدوى. ويصلب يسوع بتحريض من اليهود وقادتهم. وتبين بقية القصة حقيقة شخصية يسوع الإلهية. فهو يقوم من بين الأموات ويقدم الدليل الدامغ الذي لا يمكن إنكاره للزعماء اليهوديين على قيامته من خلال شهادة شهود موثوقين.

هنا إذن قصة مزورة كتبت بعد ثلاثمائة سنة من الأحداث التي رويت لتبين أن موت يسوع لم يكن يستحقه وأن الرومان (الذين كانوا في صف المسيحيين

بحلول منتصف القرن الرابع) لم يكن لهم علاقة بالصلب وأنه كان ذنب اليهود كاملاً وأن اليهود برفضهم ليسوع قد قاموا برفض إلههم. ولا عجب أن رواية كهذه قد أصبحت واسعة الانتشار عبر أوربا الغربية في العصور الوسطى عندما كان بعض اليهود وجهاً مستمراً ومزعجاً لما يعنيه كون المرء مسيحياً.

«الأناجيل المرتبطة ببيلاطس»:

إن عدداً من الكتابات منذ حوالي زمن إنجيل نيقوديموس هي بطريقة ما أو بأخرى متعلقة ببونتيوس بيلاطس ودوره في موت يسوع. وقد وضعت هذه الكتابات لتظهر أن بيلاطس لم يكن مخطئاً بشأن موت يسوع وأنه أحس بندم شديد بعدما تم ذلك. نتعلم في العديد من هذه الكتابات أن بيلاطس لم يندم فقط على العمل السيء بل أصبح فعلاً مؤمناً بالمسيح. وفي المسيحية المتأخرة أصبح تنصر بيلاطس جزءاً من الموروث الثقافي من الكنيسة القديمة. ففي الكنيسة القبطية اعتبر بيلاطس قديساً مسيحياً.

ولكن من الناحية التاريخية بالطبع لا شيء يمكن أن يكون أبعد من الحقيقة من هذه الرواية. فلقد استمر بيلاطس كحاكم وحشي على مملكة يهوذا بعد موت يسوع. وليس هناك شيء في سجلات التاريخ ما يوحي بأنه كان حتى يتذكر أنه قد أمر بإعدام يسوع ناهيك عن أنه ندم على ذلك. مع ذلك فإن سبب نفي التهمة عنه ثم تبجيله في أجزاء من الكنيسة المسيحية واضح بشكل معقول. فإن لم يكن بيلاطس مسؤولاً عن موت يسوع فمن إذن؟ اليهود. وقد كتبت أساطير بيلاطس في سلسلة من الوثائق التي قد ترجع إلى القرن الرابع أو حتى قبل ذلك. وإن عدداً منها يقال بأنه كتبها بيلاطس نفسه. ولكنها جميعاً مزورة.

رسالة هيرودس إلى بيلاطس:

أول وثيقة ننظر فيها لم يقل أنها كتبت من قبل بيلاطس بل كتبها له زميله هيرودس أنتيباس (Herod Antipas) وتسمى رسالة هيرودس إلى بيلاطس. تاريخياً يعرف بيلاطس بأنه كان الحاكم الروماني على مملكة يهوذا في القسم الجنوبي من إسرائيل عندما كان هيرودس أنتيباس ابن هيرودس الكبير (حاكم البلاد عند ولادة يسوع) هو الحاكم اليهودي لمنطقة الجليل في الجزء الشمالي من البلاد. وأفضل ما

يمكن معرفته عن هيرودس أنتيباس هو من التراث الإنجيلي القائل بأنه قطع رأس يوحنا المعمدان. وفي الأساطير اللاحقة يقال بأنه أسف على ما فعله كثيراً لأن شبح يوحنا المعمدان رجع إليه يطارده.

هذه هي الحالة في هذه الرسالة المزورة باسمه والتي يزعم أنها أرسلت إلى بيلاطس (3). يشير هيرودس هنا إلى أنه آسف لمعرفة أن بيلاطس قد قتل يسوع لأنه هو هيرودس - أراد أن يراه ويندم على الأفعال القبيحة التي ارتكبها. وهو يقول إن حكم الله على المذنبين يتناسب مع جرائمهم.

وفي حادثة عجيبة كما يروي بيلاطس نرى أن ابنة هيرودس فقدت رأسها في فيضان حدث بينما كانت تلعب على ضفاف أحد الأنهار. بدأ الفيضان يأخذها بعيداً عندما وصلت أمها لتنقذها فأمسكت برأسها. لكن الرأس قطع حتى أن الأم بقي معها رأس الطفلة فقط بين يديها. ويذكر هيرودس أن هذا حصل انتقاماً لقطعه رأس يوحنا المعمدان. لدرجة أنه يقول: «إن الديدان تخرج من فمي».

يظهر المؤلف الذي كتب باسم مستعار هنا بأنه خلط بين هيرودس وهيرودس أغريبا (Agrippa) الذي أكله الدود كما جاء في أعمال الرسل في العهد الجديد (أعمال الرسل، إصحاح 12). ولذلك أيضاً نجد أن الجندي الروماني لونجينوس - الذي يقال إنه طعن خاصرة يسوع عندما كان على الصليب - قد لاقى مصيراً مرعباً. لقد وضع في كهف يأتي إليه كل ليلة أسد وينهش جسده حتى الفجر وفي اليوم التالي يعود جسده كما كان ثم يأتي الأسد مرة أخرى ويستمر هذا حتى آخر الزمان.

إلا أن بيلاطس الذي تلقى الرسالة يصور بشكل إيجابي كممثل للمسيحيين غير اليهود. فليسوا هم بل اليهود الذين سيواجهون الإدانة على ما فعلوه بيسوع: «سيقضي الموت على الكهنة ومجلس الحكام عند بني إسرائيل لأنهم بلا حق آذوا يسوع المحق».

إنهم المسيحيون ن غير اليهود إذن الذين سيرثون مملكة الله بينما هيرودس واليهود الآخرون «سيطردون منها» لأنهم لم يحافظوا على وصايا الرب أو وصايا ابنه.

رسالة بيلاطس إلى هيرودس:

تتجه رسالة أخرى مزورة اتجاهاً معاكساً فهي من بيلاطس إلى هيرودس (4). قد يتوقع المرء أن تكون هذه الرسالة رداً على الرسالة الأولى ولكنها وبالرغم من عنوانها ـ رسالة بيلاطس إلى هيرودس ـ وأنها تسمي بعض الشخصيات نفسها (هيرودس وبيلاطس ولونجينوس والجندي صاحب الرمح) فإنهم تقريباً ليس بينهم شيء مشترك. وفي الواقع لا تشير هذه الرسالة إلى الرسالة الأولى وتتناقض معها في مسألة هامة. فلونجينوس هنا بدل كونه يخضع لعذاب لا ينتهي لما كان قد ارتكبه يصور على أنه غير دينه وأصبح مؤمناً بيسوع بعد قيامه من القبر. تلك هي في الحقيقة غاية الرسالة الثانية وهي أن يسوع قد بعث وأنه ليس لونجينوس وحده بل زوجة بيلاطس أيضاً ومن بعدها بيلاطس نفسه كلهم أصبحوا مؤمنين.

وفقاً لما روي في الرسالة وبعدما قام بيلاطس «بعمل فظيع» في صلب يسوع فإنه يسمع أنه قام من بين الأموات. ويذهب بروكلا (Procla) ولونجينوس ليجدا يسوع في الجليل. وهناك يتكلم معهم ويقتنعون بقيامته. وعندما يعلم بيلاطس أن يسوع قد عاد إلى الحياة يخر إلى الأرض بحزن عميق. ولكن بعد ذلك يظهر له يسوع ويرفعه عن الأرض ويعلن له: «إن كل الأجيال والأمم ستباركك». فهنا لم يكن بيلاطس نادماً فقط ولكنه داخل في المسيحية وسوف يعتبره المتسبون إلى الدين إنساناً محظوظاً».

رسالة بيلاطس إلى كلوديوس:

هناك رسالة أخرى يقال إنها من بيلاطس إلى مسؤول روماني لكنها هذه المرة يفترض أنها موجهة إلى الإمبراطور الروماني كلوديوس وقد كتبت لتوضح دور بيلاطس في موت يسوع وتسمى رسالة بيلاطس إلى كلوديوس (4). قد يبدو غريباً أن يكتب بيلاطس إلى كلوديوس وخصوصاً إذا علمنا أن تيبريوس وليس كلوديوس هو الذي كان الإمبراطور عندما حكم بيلاطس على عيسى بالموت. (وكلوديوس أصبح إمبراطوراً بعد ذلك بعشر سنين).

وربما تم تزوير هذه الرسالة بعد زمن طويل من حقيقة أن المزور لم تكن لديه حقائق التاريخ الإمبراطوري قبل مائتي سنة (هل تعرف مثلاً من كان رئيس الولايات المتحدة عام 1811؟).

إن أحد المواضع التي حفظت فيها الرسالة في رواية مختلفة عن الأنشطة التبشيرية للرمل تدعى (أعمال الرسولين بطرس وبولس). في هذه الرواية يتم إخبارنا أنه بعد 8 سنوات من موت يسوع يظهر الرسول بطرس والمجدف الكبير سمعان الساحر ـ الذي لاقيناه سابقاً ـ أمام الإمبراطور نيرون، ومن الواضح أن ذلك كان أوائل الستينات من القرن الأول الميلادي. وعندما يسمع الإمبراطور عن المسيح يسأل بطرس كيف يستطيع أن يعرف المزيد عنه فيقترح بطرس عليه أن يسترجع الرسالة التي كتبها بيلاطس إلى سلفه الإمبراطور كلوديوس ويقرأها له أحدهم علناً. ويفعل نيرون ذلك وعند ذلك يتم اقتباسها كاملة.

كانت فكرة أن بيلاطس ربما كتب رسالة إلى الإمبراطور ليشرح موت يسوع واسعة الانتشار في بداية المسيحية. ولدينا إشارات لبعض رسائل كهذه تعود إلى وقت مبكر في القرن الثالث نجدها في كتابات الأب الكنسي ترتوليان وفي القرن الرابع في كتاب تاريخ الكنيسة للمؤلف يوسيبوس (6). والرسالة التي أتناولها هنا ربما لم تكن المشار إليها من قبل هذين المؤلفين وربما تم تأليف هذه الرسالة من قبل مزور ظن أن رسالة ما كهذه لابد أن تكون قد كتبت يوماً ما. فالمواضيع الموجودة في الرسالة القصيرة مشابهة تماماً للمواضيع التي اكتشفت مسبقاً. إنهم اليهود الأشرار المسؤولين عن موت يسوع ولسوف يعاقبهم الله على ذلك. وكما يذكر بيلاطس في رسالته: «إن اليهود بدافع من الحسد جلبوا النقمة على أنفسهم وعلى الذين يأتون من بعدهم بسبب أعمالهم المروعة في أحكامهم، لقد كانوا غافلين عن الوعود التي أعطيت لأسلافهم بأن الله سيرسل إليهم ابنه المبارك من السماء... بواسطة عذراء.

وبحسب الرسالة أثبت يسوع أنه كان ابن الله بمعجزاته الكثيرة لكن زعماء اليهود كذبوا لكي ينفذ فيه حكم الإعدام. وبعد ذلك صلبوه (وليس الجنود الرومان!). وعندما قام من بين الأموات «اشتعل خبث اليهود» حتى أنهم قدموا الرشاوى للجنود ليقولوا إن تلاميذ يسوع سرقوا الجثة من القبر. وكتب بيلاطس هذه الرسالة لكي يعلم الإمبراطور الحقيقة وكي لا يدفع لتصديق الروايات الكاذبة التي حكاها اليهود».

تقرير بونتيوس بيلاطس:

هناك وثيقة أطول تدعى تقرير بونتيوس بيلاطس وهي تقدم أيضاً رسالة أخرى من الحاكم الروماني إلى الإمبراطور لكن هذه المرة إلى تيبيريوس بعد موت يسوع بفترة قصيرة (7).

وتبدو هذه الرسالة أنها أكثر قرباً مما وصفه ترتوليان من القرن الثالث عندما قال: «إن بيلاطس الذي كان مسبقاً رجلاً مسيحياً في قرارة نفسه عمل وصفاً لكل ما حدث للمسيح وقدمه للإمبراطور في ذلك الوقت» (8).

مرة أخرى هناك شك إن كان ذلك الوصف هو الوثيقة التي يشير إليها ترتوليان.

يميل العلماء أن زمن التقرير جاء في تاريخ لاحق وربما في القرن الرابع أو نحو ذلك. والإدعاءات الرئيسية في التقرير شبيهة بحالات التزوير الأخرى التي شاهدناها في هذا الفصل: لقد كان يسوع هو صانع المعجزات ابن الله الذي أدانه اليهود خطأ وحكموا بموته. وأن بيلاطس كان بريئاً من كل تلك الأعمال.

يبدأ التقرير بتأكيد أن بيلاطس كان يدير مقاطعة اليهودية بحسب «ألطف التوجيهات» الآتية من الإمبراطور. ولم يكن هناك شيء يدل على قسوة قلب أو حقد من جهة بيلاطس هذا! لكن «جماهير اليهود بأكملها» (وليس الزعماء اليهود فحسب) سلموا له يسوع «متهمين إياه بتهم لا حصر لها» رغم أنهم «لم يتمكنوا من إدانته بجريمة واحدة».

لكن يتابع بيلاطس فيشير قائلاً بأن يسوع قد عمل معجزات كثيرة فجعل الأعمى يبصر وأبرأ الأبرص وأحيا الموتى وشفى المصابين بالشلل وما شابه ذلك. لقد كانت هذه أعمالاً مدهشة كما يعترف بيلاطس نفسه فيقول: «من ناحيتي أنا أعلم أن الآلهة التي نعبدها لم تفعل مثل هذه الأشياء الخارقة كما فعلها يسوع» لكن اليهود لم يتأثروا وهددوا بالعصيان ولذلك يأمر بيلاطس بالمسيح كي يصلب.

عند موت يسوع يغطي ظلام معجز الأرض وعند قيامته يظهر نور خارق ففي الساعة الثالثة صباحاً تبدأ الشمس تسطع بكل حرارتها وتشاهد الملائكة في السماء وتحدث زلازل وتصدعات للصخور وتتشكل تشققات هائلة في الأرض. وكل هذا يعني الهلاك لليهود المعاندين:

«النور لم يتوقف طيلة الليل يا مولاي الملك وقد مات كثير من اليهود الذين تم ابتلاعهم في شقوق الأرض في تلك الليلة ولذلك فإن أجسادهم لن يتم العثور عليها أبداً. أريد أن أقول إن أولئك اليهود الذين تكلموا ضد يسوع قد عذبوا. ولم يبق إلا معبد واحد في أورشليم لأن كل المعابد المعادية ليسوع قد ابتلعتها الأرض».

تسليم بيلاطس:

مثال أخير عن «إنجيل مرتبط ببيلاطس» يدعى تسليم بيلاطس (9). وهذه ليست رسالة بل هي رواية تروي ما حدث لبيلاطس حالما تلقى تقريره عما جرى عند موت يسوع وقيامته. ويبدو أن تسليم بيلاطس يفترض مسبقاً وجود تقرير بيلاطس ولكنها تختلف من ناحية الأسلوب وفيها نقاط خلاف مع النص الأقدم. ويميل العلماء إلى الاعتقاد إذن أنهما كتبا من قبل مؤلفين مختلفين.

يبدأ كتاب تسليم بيلاطس بذكر وصول رسالة بيلاطس إلى روما وقراءتها للقيصر تيبيريوس أمام جمهور كبير دهشوا عندما علموا أن الظلام الذي حدث في وقت النهار والزلازل التي عمت العالم التي عاشوها وأحسوا بها كانت نتيجة لصلب ابن الله. و «يستشيط القيصر غضباً» ويرسل جنوده ليقبضوا على بيلاطس ويحضروه إلى روما. وعندما يصل بيلاطس يقدمه قيصر للمحاكمة ويوبخه بسبب إعدامه ليسوع: «إنك بتجرؤك على القيام بهذا العمل الشرير دمرت العالم بأكمله».

لكن بيلاطس يحتج بأنه بريء ويصر قائلاً: «إنها جماهير اليهود الذين كانوا طائشين ومذنبين» ويجيب قيصر بأنه رغم ذلك فقد كان على بيلاطس أن يعرف بشكل أفضل إذ أنه كان واضحاً من معجزات يسوع أنه «كان المسيح». وفور ذكر قيصر اسم المسيح هوت كل الأصنام الوثنية في مجلس الشيوخ حيث كانت المحكمة منعقدة وتحولت إلى تراب. وهنا كما في إنجيل نيقوديموس تقوم آلهة الوثنين بانحناءة متواضعة أمام عظمة مقام المسيح وتتلاشى. في هذه الواقعة نرى أنها حدثت بالضبط لدى ذكر اسم المسيح المقدس.

ويكرر بيلاطس قوله إن أعمال يسوع أظهرت أنه كان «أعظم من كل الآلهة» التي كانوا يعبدونها. لكن قيصر أعدمه «بسبب الفوضى وبسبب عصيان اليهود الملحدين المخالفين للقانون». ويلجأ قيصر والشيوخ للتصويت ويقررون إهلاك

الشعب اليهودي. ويعد ذلك يرسلون الجيوش التي تفني الشعب ويأخذون كل من تبقى حياً من اليهود ليبيعهم كعبيد. وبيلاطس نفسه حكم عليه بالموت بسبب دوره في القضية. ولكن قبل موته يصلي بيلاطس داعياً لله مطالباً بتبرئته وقائلاً مرة أخرى إن موت يسوع كان بسبب «الشعب اليهودي الملحد». وعندما أنهى دعاءه جاء صوت من السماء ـ صوت المسيح نفسه ـ مطمئناً بيلاطس إلى خلاصه وقال: «كل السلالات والأسر والأمم غير اليهودية سوف تباركك لأنه في حكمك قد تحقق كل ما قيل عني من قبل الأنبياء. وأنت نفسك ستظهر كشاهد على عودتي الثانية».

وعندما يقطع الجلاد رأس بيلاطس ينقض ملاك من السماء ويأخذه حاملاً إياه كما هو مفترض إلى السماء.

الهدف من «أناجيل بيلاطس»:

الأهداف البعيدة المرجوة من هذه الأناجيل المرتبطة ببيلاطس ينبغي أن تكون الآن واضحة. بتبرئة بيلاطس من قتل يسوع فإن الروايات تجعل اليهود وليس فقط زعماءهم يتحملون الذنب كله. ووفقاً لبعض الأساطير فإن بيلاطس بريء لدرجة أنه يصبح مؤمناً وتابعاً مخلصاً للمسيح. ولذلك فإن الله غاضب من اليهود ويعاقبهم على جريمتهم التي ارتكبوها ضد ابن الله.

تم تزوير هذه الكتابات في فترة شهدت عداوة متنامية بين المسيحيين واليهود. أدرك المسيحيون أنه لن يكون هناك عودة صلة مع اليهود وأن هناك فرصة ضئيلة أن يأتي اليهود ويروا «الحقيقة» بشأن يسوع وأنه كان مسيح الله وليس مجرد مجرم أعدم على الصليب. هذه «الحقيقة» إذن هي ما أدى إلى إنشاء هذه «الكتابات المزورة» في المسيحية. معنى هذا أن عدداً من المؤلفين المسيحيين اختاروا أن يقولوا الحقيقة بشأن المسيح المقدس وأعدائه الشريرين اليهود بتزوير الوثائق ويزعموا للناس بأنها ليست مزورة.

وقد قبل القراء المسيحيون هذه الوثائق كما هي واعتبروها تقارير حقيقية من زمانها الأصلي بدلاً من أن يعرفوها على حقيقتها وهي أنها كتابات مزورة كتبت في فترات لاحقة. لقد قصد المؤلفون أن يخدعوا قراءهم وقراؤهم خدعوا جميعاً بكل سهولة.

كتابات يسوع:

لدينا كتابات قليلة جداً من بدايات المسيحية يقال أن يسوع كتبها بنفسه. وهناك إشارات قليلة جداً أن يسوع كان يستطيع الكتابة. لكن هناك تقارير قليلة عن كتاباته ـ رغم أن هذا ليس معروفاً بشكل كبير حتى بين العلماء ـ وبضعة كتابات باقية حتى الآن بأنه (كذباً) قيل إنه ألفها.

حتى في داخل صفحات العهد الجديد هناك ذكر لكتابة يسوع. وهذه ليست قصة وجدت أصلاً في العهد الجديد ولكنها رواية متأخرة أضافها الكتاب إلى إنجيل يوحنا. إنها في الواقع واحدة من أشهر القصص حول يسوع إنها قصة يسوع والمرأة المتهمة بالزنا (إصحاح 8: 1 ـ 11).

في هذه القصة تجر السلطات اليهودية امرأة إلى أمام يسوع وتخبره بأنها ضبطت في حالة الزنا. وبحسب شريعة موسى فهم يقولون إنها يجب أن ترجم حتى الموت. لكن ماذا يقول يسوع؟ إن هذا فخ واضح. فإذا قال يسوع: «نعم ارجموها بكل تأكيد» فإنه بذلك يخالف تعاليمه هو بالمغفرة والرحمة. ولكن إن قال «لا، دعوها تذهب» فيكون بذلك مخالفاً شريعة موسى. فماذا عليه أن يفعل؟ يجد يسوع بالطبع دائماً طريقة يتخلص بها من هذه الورطات. ويفعل ذلك في هذه الحالة بأن ينحني ويكتب على الأرض. بعد ذلك يتصب ويقول لهم: «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر» وبعد ذلك ينحني ثانية ويستأنف الكتابة. وشيئاً فشيئاً يرحل كل رجال السلطة اليهودية واحداً وراء واحد وهم يشعرون بالخجل حتى لم يبق أحد ليدين المرأة.

إنها قصة مدهشة حتى لو لم تكن في الأصل جزءاً من العهد الجديد (10). ولكن اللافت للنظر بشكل خاص بما يخص بحثنا هنا هو ما يفعله يسوع عندما ينحني إلى الأسفل، فإنه لا يقال أنه كان يرسم أو يعبث بيديه على التراب. لقد قيل حرفياً إنه كان «يكتب» والمصطلح اليوناني يشير بوضوح بأنه كان يكتب كلمات. وهذا يعتبر أول إشارة موجودة عندنا بأن يسوع كان قادراً على الكتابة (11). وتقول إحدى الدراسات الحديثة عن هذا المقطع إنه تم تأليفه بعد سنين عديدة من موت يسوع وبالضبط من أجل أن يبين أنه كان (يستطيع) الكتابة (12).

ويذكر آباء الكنيسة عدة كتابات مزعومة للمسيح. ولسوء الحظ لم يبق أي من هذه الكتابات المزورة. وعلى سبيل المثال يذكر (الدستور الرسولي) من القرن الرابع كتباً مزورة باسم يسوع كتبها الزنديقان سمعان وكليبيوس. ومن الصعب أن نعرف إن كانت مثل هذه الكتب قد وجدت فعلاً أم أنها فقط قيل أنها كانت موجودة لكي تهاجم هؤلاء المعلمين الكاذبين لأنهم زوروها.

إن رجل اللاهوت أوغسطين من القرن الخامس يذكر من ناحية أخرى أن رسالة يقال إن عيسى كتبها بأنها ربما كانت موجودة (13). لقد كانت الرسالة موجهة إلى الرسولين بطرس وبولس وقد أقرت الممارسات السحرية.

لم يجد أوغسطين صعوبة في بيان أن الرسالة كانت مزورة لأن بولس لم يكن في الواقع أحد الحواريين في فترة حياة يسوع، ولكن بعد وفاته. ويناقش أوغسطين منطقياً أن المزور كان قد شاهد رسومات ليسوع مع بطرس وبولس (كالتي يمكن للمرء أن يشاهدها حتى الآن في أقبية روما مثلاً) واستنتج منها خطأً بأن بولس كان واحداً من تلاميذ يسوع. وعلى ذلك الأساس الخاطئ اختلق المزور رسالة افترض فيها أن يسوع أرسلها إلى بولس مع بطرس. وللأسف لم تعد الرسالة موجودة لدينا (14).

إلا أن اثنتين من الكتابات الأخرى قد بقيت وهي تحمل اسم يسوع من القرون الأربعة الأولى. ومن المحتمل أن لا تكون أي منهما ينظر إليها كتزوير لأن أياً منهما لا يبدو أنه يزعم جدياً أنه كتب من قبل عيسى التاريخي نفسه. توجد واحدة منهما في رواية عن موت يسوع وبعثه واسمها رواية (جوزيف من أريماثيا). وبحسب هذه الرواية الخيالية جداً فإن أحد اللصوص الذين كانوا مصلوبين مع يسوع يتم مسامحته من خطاياه ويوعد بمكان في الجنة. من الصليب يكتب يسوع رسالة إلى الأطفال الملائكيين المسؤولين عن الجنة يوجههم أن يسمحوا لهذا الشخص بالدخول عندما يصل إلى بواباتها. وإنها رسالة محيرة ولا يبدو حقاً كما لو أن المؤلف يريد من قرائه أن يأخذوها على محمل الجد على أنه شيء كتبه يسوع (15). ولكني قد أكون مخطئاً.

كتابة أخرى ليسوع هي وثيقة اكتشفت في عام 1945 مع مجموعة من النصوص الغنوصية تسمى مكتبة نجع حمادي والتي أقول عنها المزيد في الفصل

القادم. كتبت هذه الوثيقة بصيغة ضمير المتكلم باسم يسوع واصفة طبيعة صلبه الحقيقية والطريقة الصحيحة للحصول على الخلاص عن طريقه. وتسمى الرسالة الثانية لسث (Seth) العظيم (والرسالة الأولى إن كانت قد وجدت أصلاً لم تعد موجودة الآن). ورغم أن يسوع يزعم أنه يكتب هذا الكتاب فهو يسوع الذي بعث وهو يكتب من السماء. ولذلك السبب فهي ليست بالضبط نفس الشيء كالتزوير باسم عيسى الأرضي.

لكن إحدى الرسائل القصيرة التي تزعم أنها مكتوبة من قبل عيسى الأرضي ما تزال باقية حتى الآن. لقد كتبت هذه الرسالة من قبل شخص ربما أراد أن يغش قارئيه كي يعتقدوا أنه كان يسوع حقاً.

إن كان الأمر كذلك فإنها تسمى تزويراً بحق. هذه الرسالة هي جزء من مراسلة بين يسوع وملك يدعى الملك أبغر (Abgar) من مدينة إديسا في سورية[1] وأول سجل لهذه المراسلة موجود في كتاب تاريخ الكنيسة ليوسيبيوس الذي يدعي فعلاً أنه اكتشف كلا الرسالتين في محفوظات مدينة اديسا، ويشير يوسيبيوس إلى أن الرسالتين تمت كتابتها باللغة السريانية لكنه ترجمها إلى اليونانية. فهو لذلك يذكرهما بشكل كامل (16).

الرسالة الأولى هي من «الحاكم أبغر» إلى «يسوع المخلص الطيب». يشير أبغر إلى أنه قد سمع كل شيء عن حوادث الشفاء المعجز الذي قام به يسوع واستنتج أن يسوع لابد أن يكون «إلهاً... نزل من السماء» أو «ابن الإله» في كلا الحالتين يطلب أبغر من يسوع أن يأتي إليه ويشفيه من مرضه (دون أن يذكر المرض). ويضيف قائلاً إن ذلك سيكون مفيداً لعيسى أيضاً، لأنه «سمع أن اليهود يتهامسون ويرغبون في إيذاء يسوع».

يكتب يسوع إجابة يشير فيها إلى أن أبغر مبارك بسبب إيمانه به دون أن يراه ويعلق قائلاً «لقد كتب عني أن الذين يرونني لن يؤمنوا بي والذين لا يرونني سيؤمنون بي وسيحيون» (انظر سفر أشعياء إصحاح 6: 9، ومتى إصحاح 13: 14 ـ 17، ويوحنا إصحاح 9: 39 وإصحاح 12: 39 ـ 40). أي أن الناس الذين عاش

(1) المقصود بها سوريا القديمة وهي الآن واقعة قرب مدينة أورفه التابعة لتركيا، وقديماً كان اسمها الرها. (المترجم)

يسوع بينهم وعمل («اليهود» الذين ذكرهم أبغر) لن يؤمنوا ولذلك لن تكون لهم حياة بل موت. ويتابع يسوع الرسالة في الاعتذار بأدب عن الذهاب إلى أبغر في إديسا لأن «علي إنجاز كل ما أرسلت لأقوم به» وبعد ذلك علي «الصعود إلى الذي أرسلني». لكن يسوع يعد أبغر بأنه بعد صعوده إلى السماء سيرسل أحد حوارييه ليشفي أبغر و «أعطي الحياة لكما معاً أنت والذين معك».

إنني أفترض أن هذه الجملة الأخيرة تعني أن الحواري المرسل سيعلمهم الإنجيل الذي سيؤمنون به من أجل حياة أبدية. ويحسب الأساطير اللاحقة فإن يسوع وفى بوعده للملك أبغر. فقد أرسل أحد الحواريين إلى إديسا وشفى الملك من مرضه وحوله وكامل أهل مدينته إلى مؤمنين بالمسيح.

إن مراسلة أبغر تنجز غاية شبيهة بتلك الموجودة في أناجيل بيلاطس ولكن بطريقة أكثر براعة. هنا أيضاً تتم مهاجمة اليهود لمعاداتهم ليسوع ويقال إنهم ليسوا ورثة الحياة الأبدية لأنهم كفروا به. إذن هذه الرسالة أيضاً تمثل العداء ضد الشعب اليهودي بسبب دورهم في موت يسوع.

كملاحظة جانبية يبدو أن المراسلة مع أبغر كان فيها حياة ممتعة بعد الموت. وعندما كان يتم تداولها في الكنيسة القديمة كان الكتبة يغيرونها في بعض المواضع. وإن بعضاً من المخطوطات الباقية عن رسالة يسوع تضيف سطراً ختامياً يخبر أبغر «إن مدينتك ستكون مباركة والعدو لن يعود مسيطراً عليها» وفي رسالة لاحقة في القرن الرابع قررت امرأة مسيحية ثرية اسمها ايجيريا من الطرف الغربي للإمبراطورية (إما إسبانيا أو فرنسا) أن تذهب في حج لزيارة كل الأماكن المقدسة في الأرض المقدسة (فلسطين) وأثناء رحلتها كانت تكتب يومياتها باللغة اللاتينية وما زالت موجودة لدينا حالياً (17). ذهبت ايجيريا في رحلاتها إلى إديسا وشاهدت الرسائل المتبادلة بين يسوع وأبغر كما عرضها عليها أسقف مسيحي في المكان.

ويحسب الأسقف فإن مدينة إديسا عندما تعرضت لهجوم من الجيوش الفارسية ـ فإن الحاكم الذي كان يحكم المدينة وقتئذ ـ أخذ رسائل يسوع والتي كانت تعد أن المدينة لن تقهر ورفعها أمام بوابة المدينة فأحبط الجيش المهاجم بالقوة السحرية للرسالة وتقهقر بالتالي راجعاً إلى بلاد فارس بدون أن يؤذوا أحداً.

وبعد ذلك لم يحاول أي عدو أن يهاجمها منذ ذلك الحين. لقد كان مفيداً أن نحصل على هذه الرسالة حتى لو كانت مزورة.

المعارضة الوثنية للمسيحية:

عندما نتحول من الحديث عن العداء ضد اليهود من قبل المسيحيين الأوائل إلى المواجهة التي كانت تحدث أحياناً وسط الوثنيين نجد من الضروري أن نوضح بعض الأفكار الخاطئة حول المسيحية الأولى في الإمبراطورية الرومانية. يشاع كثيراً أن المسيحية منذ بداياتها كانت تعتبر ديانة مخالفة للقانون وأن المسيحيين لم يكونوا يستطيعون الإعلان عن معتقدهم خوفاً من الاضطهاد الحكومي وأنه نتيجة لذلك كان عليهم أن يبقوا مختبئين في الأقبية والسراديب الرومانية على سبيل المثال. ولكن يتبين أن أياً من تلك الإشاعات غير صحيح. وأقول بالتأكيد أن المسيحية لم تكن مخالفة للقوانين أكثر من أي دين آخر. وفي معظم الأزمان والأماكن كان بإمكان المسيحيين أن يبقوا مجاهرين بعقيدتهم ونادراً ما كانت هناك حاجة لـ: «يبقوا في الخفاء».

صحيح أن الوثنيين كانوا أحياناً يعارضون المسيحيين لكونهم موضع شك وربما بذيئين تماماً كمعظم الديانات «الجديدة» التي وجدت خصوماً لها في الإمبراطورية. ولكن لم يكن هناك قوانين إمبراطورية موجهة ضد المسيحية في السنوات المائتين الأولى ولم يكن هناك تصريحات بأنها غير قانونية ولم تكن هناك أي محاولات في أنحاء الإمبراطورية لقمعها. ولم يحدث أن أي إمبراطوري روماني شرع اضطهاداً عاماً للمسيحيين في الإمبراطورية إلا ما كان في عام 249 حيث قام الإمبراطور ديسيوس بتشريع كهذا.

قبل ديسيوس كان الاضطهاد للمسيحيين شأناً محلياً تماماً.

في كثير من الأحيان كان ذلك نتيجة لحالات عنف غوغائي أكثر من كونه مقاومة «رسمية» صادرة عن السلطات المحلية. وعندما كانت هناك مقاومة رسمية فقد كانت تحدث عادة لإرضاء وتهدئة جماهير الشعب الذين لم يوافقوا على وجود المسيحيين بينهم. ولكن ما الذي كان لا يرضيهم عنهم؟

بالنسبة للوثنيين كانت هناك أشياء كثيرة لا يرضون عنها. وربما كان أهمها كما رأينا أن الوثنيين كانوا عادة يعبدون آلهتهم لأنهم كانوا يعتقدون أنها تزودهم بما

يحتاجونه ويرغبون به في الحياة كالسلام والأمان والرخاء والصحة والطعام والشراب والمحاصيل والأطفال وكل شيء آخر يجعل حياتهم ممكنة وذات معنى. ولم يكونوا يعتقدون أن الآلهة الوثنية تتطلب منهم الكثير مقابل ذلك. لم تكن مثلاً تصر على أن كل فرد يجب أن «يؤمن» بها ولم تكن لها «شرائع» معقدة يجب إتباعها. وكانوا تقريباً يطلبون أن تتم عبادتهم بطرق مناسبة أي أنه كان على الناس أن يؤدوا أضاحي وتقدمات تقليدية مقبولة وتلك كانت لزمن طويل جزءاً من عبادتهم، ويقولوا صلواتهم المناسبة لهم.

فإذا عبد الناس الآلهة، فالآلهة ترعاهم. لقد كان ذلك ترتيباً سهلاً ومفيداً. لكن ماذا جرى عندما لم تعبد الآلهة وعندما أهملت وأهينت؟ بالطبع كانت الأمور سيئة. كان بإمكان الآلهة أن تجعل المعيشة بائسة حقاً إذا أغضبت: كانوا يستطيعون إشعال الحروب والقحط والكوارث الطبيعية والهلاك والموت. كيف إذن سيكون رد فعل الناس إذا أصاب مجتمعهم شكل من أشكال المصائب؟ لقد كان افتراضهم الطبيعي أن يعتقدوا أن واحداً أو أكثر من الآلهة قد غضب ويجب إرضاؤه.

إذا كانت فئة من المجتمع ترفض العبادة المناسبة للآلهة وقالت بإصرار أن الآلهة غير موجودة وقالت عنها بأنها شياطين شريرة أو أنهم ببساطة رفضوا أن يقوموا بالحد الأدنى لمتطلبات عبادتها فإن هذه الفئة ستكون الأكثر عرضة للوم إذا أصابت المجتمع أي مصيبة. وإن الكنيسة المسيحية كانت بالضبط هي تلك الفئة. الأديان الأخرى كانت تتبع التقاليد القديمة التي تم تناقلها جيلاً فجيل لعبادة الآلهة. حتى اليهود كانوا عموماً ينظر إليهم كأناس مقبولين مع أنهم كانوا يعبدون فقط إلههم الواحد. وكان معروفاً عنهم أنهم يقدمون الأضاحي طلباً لخير الإمبراطور (ولم يقدموها له) وكان ذلك يعتبر مناسباً. وأكثر من هذا فإن تقاليدهم كانت معروفة بأنها قديمة ومحترمة ولم يكونوا يؤذون أحداً ولم يتصرفوا بشكل غير لائق من الناحية الاجتماعية وكانوا تقريباً يبقون مع بعضهم. فاليهود إذن كان ينظر إليهم كاستثناء للقاعدة بأن المعبودات المحلية وعلى مستوى الإمبراطورية يجب أن تعبد.

من ناحية أخرى لم يكن المسيحيون يعاملون كاستثناء. ففي معظم الحالات كانوا إما يهوداً لم يعودوا محافظين على عاداتهم اليهودية الموروثة (فبأي معنى

تسميهم يهوداً؟) أو أنهم كانوا من الأمم غير اليهودية الذين تخلوا عن عبادة آلهتهم لعبادة إله يسوع.

إن المسيحيين سرعان ما رفضوا عبادة الآلهة التي جعلت الدولة كبيرة وزودتها بكل ما هو ضروري ونافع في الحياة.

فإذا نزلت بالأمة التي آوت المسيحيين مصيبة فإنهم سيكونون كبش الفداء الطبيعي للعقوبة. عاقبوا المسيحيين وارجعوا إلى نعم الآلهة. وهكذا كانت جمل ترتوليان الشهيرة حول كون المسيحيين عرضة للاضطهاد كلما حلت مصيبة في مجتمع ما إذ يقول: إنهم يظنون المسيحيين سبباً لكل مصيبة عامة، وكل بلوى يبتلى بها الناس. فلو أن نهر التيبر فاض مرتفعاً حتى أسوار المدينة، ولو أن نهر النيل لم يرسل مياهه لتصل إلى الحقول ولو أن السماء لم تمطر ولو أن زلزالاً حصل أو كانت هناك مجاعة أو وباء فوراً يصيح الناس: أرسلوا المسيحيين إلى الأسد! (ليأكلهم)"(1) (18).

وفوق هذا فإن رفض المسيحيين للمشاركة في عبادة ترعاها الدولة كان غالباً ما يعتبر نوعاً من التعبير السياسي بأن المسيحيين ليسوا مهتمين بالصالح العام للدولة. وهذا الشيء كان يعتبر شيئاً خطيراً ومعادياً للمجتمع. أولاً لأن المسيحيين كانوا يعبدون رجلاً مصلوباً أي أنه شخص مدان من قبل الدولة. ألم يكن ذلك نوعاً من الإعلان السياسي بأن المسيحيين كانوا يزدرون حكم الدولة؟ وحتى لو لم نقل ذلك، ألم يكن ضرباً من الجنون أن يهجروا الآلهة المجربة ودين الدولة الأصلي لكي يعبدوا مجرماً مصلوباً؟

المشكلة الأخرى هي أن المسيحية، بخلاف اليهودية، كانت ظاهرة جديدة تماماً. فالناس في العالم القديم لم يكونوا يحبون شيئاً أكثر من العراقة ولم يكن هناك شيء يجعل أي دين أو مذهب فلسفي مصدقاً ومعتمداً أكثر من الزعم بأن له أصولاً قديمة. فالقديم كان محترماً والجديد مشكوكاً فيه. وماذا عن المسيحية؟ لقد كانت عبادة إنسان عاش في فترة حديثة جداً. فكيف يمكن أن يكون صادقاً؟

لم تكن النظرة إلى هذا الدين الجديد على أنه خطر وكاذب فقط بل كان أيضاً يعتبر فاسداً ومنحرفاً. لم يعقد المسيحيون لقاءات مفتوحة يستطيع الجميع

(1) إشارة إلى نوع من أنواع التعذيب في أيام الإمبراطورية الرومانية.

حضورها. لم يكن هناك مبان للكنائس تفتح في أيام الأحد صباحاً ليذهب إليها أي شخص مهتم بالتعرف على الدين الجديد وكانت الكنائس في المائتي سنة الأولى تقريباً تنعقد في بيوت خاصة والاجتماعات ذاتها كانت خاصة ولم يحضرها إلا المسيحيون فقط. ولذلك كان الناس يعتقدون أن هذا الدين سري ومتكتم، ليس ذلك فقط فقد كانت هناك شائعات عما كان يجري في هذه اللقاءات.

أحد الأسباب بما أن غالبية المسيحيين كانوا من الطبقات الدنيا العاملة فإن اللقاءات الأسبوعية كانت تحدث عادة إما قبل بدء العمل، قبل الفجر، أو بعد انتهائه أي بعد غروب الشمس أي بعد أن يحل الظلام. هذه الاجتماعات الليلية كان يشاع أنها تعقد بين أناس هم «أخوة» و «أخوات» وكان يقال عنهم إنهم «يحبون بعضهم بعضاً» و «يحيون بعضهم بعضاً بقبلة». وكانوا يعقدون «أعياد الحب» بشكل دوري وكانوا يحتفلون في تلك الأعياد بحب إلههم لهم وحبهم لبعضهم بعضاً.

إن كنت تريد نشر إشاعات تدور حول المسيحيين الأوائل فكم كانت تلك الأقوال ستفيدك؟ مسيحيون لقاءاتهم ليست عامة ويظن أنها تتضمن أفعالاً إباحية محرمة فيها إخوة وأخوات يحشرون أنفسهم في أماكن ضيقة وربما يسكرون ويقيمون احتفالات للحب في الظلام.

الأسوأ من ذلك أنه نقل لنا أن المسيحيين في أعياد الحب تلك كانوا يأكلون لحم ابن الله ويشربون دمه. أكل لحم طفل وشرب دمه؟ إضافة إلى زنا المحارم كان الناس يظنون أن المسيحيين يرتكبون جريمة قتل الأطفال وأكل لحم البشر، قتل الأطفال الصغار ثم أكلهم.

قد تبدو كل هذه الاتهامات بعيدة الاحتمال كثيراً لكنها كانت توجه عموماً ضد المسيحيين من قبل أعدائهم الوثنيين. في أحد المصادر المسيحية القديمة والتي تدعى الأوكتافيوس (Octavius) الذي كتب من قبل مؤلف اسمه مينوسيوس فيلكس (Felix) من القرن الثالث نقرأ عن شخص وثني يعبر عن اشمئزازه مما كان يجري في تلك القداديس المسيحية الليلية. هذه النظرة بحسب ما يقوله فيلكس مأخوذة من العالم الوثني الشهير فرونتو (Fronto) الذي كان معلم الإمبراطور ماركوس أورليوس (Aurelius):

«في يوم خاص يجتمع المسيحيون من أجل احتفال مع كل أولادهم وأخواتهم وأمهاتهم ـ الجنسين من كل الأعمار. وهناك وبعدما يصيبهم الهياج بعد أكل طعام الاحتفال والشراب تشتعل فيهم نيران الشهوات المحرمة. ويحرضون كلباً مقيداً نحو عمود الضوء ليقفز عليه ويتجه إلى فضلة طعام يرمونها بعيداً عن متناول سلسلته المقيد بها. وبهذه الوسيلة ينقلب الضوء وينطفئ ومع ذلك ينطفئ علمهم بأفعالهم: في الظلام الخالي من الخجل وبشهوة لا توصف تتم عمليات الجماع العشوائي وكلهم يرتكب ذنب جماع المحارم بعضهم بالفعل ولكن الجميع مشاركون بموافقتهم على ذلك» (19).

لكن هذه الممارسات الأسبوعية لا شيء إذا ما قورنت بتناولهم وجبات طعام طقوسية دورية يتم الاحتفال بها مع المتسبين الجدد إلى الدين:

«إن سوء سمعة هذه القصص المحكية عن المتسبين الجدد للدين تتناسب مع فزعهم الشديد. يغطى طفل رضيع بالدقيق والهدف هو خداع الغافل وبعد ذلك يقدم أمام الشخص الذي سيتم قبوله في طقوسهم. ويطلب من المرشح أن يوقع ضربات على الرضيع ـ وتبدو الضربات غير مؤذية بسبب التغطية بالدقيق. وهكذا يقتل الطفل بأصوات تبقى غير مشاهدة ومكتومة. وإن دم هذا الطفل الرضيع ـ وتصيبني الرعشة عندما أذكر هذا ـ هذا الدم يلعقونه بشفاه متعطشة؛ وهذه هي الأطراف التي يوزعونها بحماس، هذا هو الضحية التي يختمون بها عهدهم، وبالمشاركة في هذه الجريمة يتعاهدون على الصمت المشترك. هذه هي طقوسهم وإنها أقبح من كل انتهاك للمقدسات مجتمعة» (20).

كانت هذه أنواع التهم التي توجب على المسيحيين أن يدافعوا عن أنفسهم ضدها. فإذا كانت جماهير الناس صدقت مثل هذه الأشياء فلا عجب أنهم جابهوا المسيحيين وبالعنف في بعض الأحيان.

وإذا كانت جموع الجماهير ضد الناس الذين شاركوا في الدين الجديد فأي خيار يكون أمام الحكام المحليين إلا أن يقاوموهم أيضاً؟ إن الاضطهادات المحلية للمسيحيين لم يكن هدفها معاقبة المسيحيين على جرائمهم بقدر ما كانت لجعلهم ينبذون دينهم ويعودوا إلى جادة الصواب.

ولهذا السبب نجد تقريباً في كل الروايات عن الشهداء المسيحيين القضاة الذين كانوا يحكمون في القضايا الموجهة ضد المسيحيين كانوا يطلبون منهم أن يتخلوا عن معتقدهم (21). كان هدف هذه السلطات لا أن يؤذوا المسيحيين بل ان يقنعوهم بالتوقف عن كونهم مسيحيين. وكان الناس ينظرون إلى المسيحيين كتهديد لكل من السلامة السياسية للإمبراطورية لدرجة أن الآلهة يمكن أن تنزعج وتوقع انتقامها، وكتهديد لنسيج المجتمع من خلال سلوكهم المنافي بشدة للأخلاق.

بالطبع دافع المسيحيون عن أنفسهم ضد كل أمثال هذه التهم وفعلوا ذلك بعدد من الطرق. فبدءاً من النصف الثاني من القرن الثاني بدأ المثقفون الوثنيون يتحولون أحياناً إلى الدين الجديد. وكان هؤلاء صنفاً جديداً من المسيحيين فهم متعلمون مثقفون بشكل كبير مدربون على المهارات الخطابية وقادرين على إجراء مناقشات فلسفية مدعومة وكتابتها وراغبين في اتخاذ موقف مدافع عن العقيدة. ويدعى هؤلاء المثقفون بـ «المدافعين» عن الدين. وكما رأينا فإن كلمة «دفاع» في هذا السياق لا تعتبر محاولة للاعتذار وهي من الكلمة اليونانية (apologia) التي تعني «دفاعاً عقلانياً».

ومن بين أشهر المدافعين المسيحيين من القرنين الثاني والثالث كان هناك جوستين مارتير من روما وأثيناغوراس من أثينا وترتوليان من قرطاج وأوريغن من الإسكندرية.

أكد هؤلاء الكتاب على أي شخص يستمع لهم أن المسيحيين لم يكونوا معارضين للدولة بل هم في الواقع مؤيديون لها. وبقيت الدولة وازدهرت ليس بسبب الهبات المقدمة للأصنام الميتة بل بسبب الصلوات المقدمة لله الحي الذي يملك القدرة والقوة فوق الجميع. وإن عبادة رجل مصلوب لم تكن إعلان معارضة للدولة بل على العكس فإن ممثل الدولة ـ بونتيوس بيلاطس مثلاً قد أعلن بكل تأكيد أن عيسى لم يكن مذنباً. وإن موت يسوع كان سوء استخدام للعدالة ارتكبه اليهود المتمردون الذين سبق أن رفضوا مخلصهم بالذات وبالتالي فقد رفضوا إلههم.

وكنتيجة لذلك رفضهم الله لصالح عباده المخلصين وهم المسيحيون. فبدلاً من كونه ديناً «جديداً» تعتبر المسيحية قديمة تماماً. وقد كانت في الواقع التعبير عن اليهودية القديمة، ديناً أقدم من أي شيء في كل من الفلسفة الوثنية أو الأساطير.

إن أفضل الفلاسفة الوثنيين ـ بحسب ما قاله بعض المدافعين عن المسيحية ـ شارك آراء تم تهذيبها بواسطة الرسالة المسيحية عن الإله الواحد الحقيقي. وإن عيسى نفسه كان قد دعا إلى مجموعة راقية جداً من الأخلاق وكان أتباعه خلوقين أكثر من أي أحد غيرهم. وبالطبع هم لم يقتلوا الأطفال ولم يسمحوا حتى بالإجهاض. ومن الطبيعي أنهم لم يقوموا بأكل لحوم البشر وكانوا حذرين تماماً لما يأكلون ولم يقعوا في شهوة النهم والسكر. طبعاً لم يرتكبوا زنا المحارم وكان حبهم لبعضهم بعضاً عفيفاً. في الواقع كثير منهم مارس العفة طوال الحياة حتى وإن كان متزوجاً. وبالطبع لم يؤيدوا أي نوع من الزنا وبالنسبة لهم لم يكن من الخطأ فقط ممارسة الجنس مع أي أحد سوى شريك الزواج بل كانت الرغبة في فعل ذلك خطيئة.

باختصار كانت المسيحية بالنسبة للمدافعين عنها ديناً عريقاً محترماً من الناحية الفلسفية وأخلاقياً لحد كبير. وقد صمد ضد الديانات الفاسدة لكلا الطرفين الوثنيين واليهود. وشيئاً فشيئاً انتشرت وشاعت هذه الرسالة حيث أن أعداداً متزايدة من الوثنيين تحولوا إلى الدين. وأخيراً حالما أصبحت المسيحية دين الإمبراطورية فإن رأي المدافعين أصبح مقبولاً على أنه أمر واضح ومنطقي. إلا أنه قبل ذلك كان على المسيحيين أن يكافحوا من أجل معتقداتهم وممارساتهم الدينية. وأحد الطرق التي كافحوا بها كانت من خلال جهودهم الأدبية التي تضمنت تأليف الكتابات المزورة.

بعض التزويرات الصادرة:

عدد من التزويرات التي رأيناها سابقاً:

إن عدداً من التزويرات التي تحدثنا عنها سابقاً أدت عملها أيضاً في الدفاع (بشكل اعتذار) عن العقيدة المسيحية ضد هجمات الوثنيين.

وأريد هنا أن أؤكد ناحية لم أتناولها من قبل. وسيكون من الخطأ أن نعتقد أن مؤلفاً ما لابد أنه قام بتزوير لغاية واحدة فقط فليس الأمر كذلك بالنسبة لكتب أخرى وهو بالتأكيد ليس كذلك بالنسبة لحالات التزوير أيضاً.

هذا الكتاب الذي أكتبه الآن ـ ما هو الهدف منه؟ في الواقع هناك أهداف متعددة. إنني أريد أن أخبر قرائي حول ظاهرة أدبية قديمة هامة. أريد أن أصحح

أخطاء قام بها علماء آخرون عندما ناقشوا تلك الظاهرة. أريد من القراء أن يفكروا بمزيد من العمق حول دور الأكاذيب والخداع في تاريخ الدين المسيحي. أريد أن أبين المفارقة في حقيقة أن الأكاذيب والخداع قد استخدمت تاريخياً لتأسيس «الحقيقة». أريد من قرائي أن يروا أنه يمكن أن تكون هناك تزويرات في العهد الجديد. أريد أن أحكي قصصاً ممتعة حول كتابات مجهولة نسبياً ومحيرة من العصور القديمة.

نادراً ما يكون لأي شيء مكتوب هدف واحد فقط، وكذلك التزويرات أيضاً. وكقاعدة لقد كانت متعددة الأغراض. خذ مثلاً مجموعة الكتابات التي سميتها «أناجيل بيلاطس» تريد هذه الأناجيل أن تبين أن اليهود كانوا هم المسئولين عن موت يسوع.

وهي تفعل ذلك بالتأكيد بشكل مرهق على أن الحاكم الروماني بونتيوس بيلاطس صرح ببراءة يسوع من كل الاتهامات. ويعمل ذلك التأكيد كنوع من العداء المسيحي لليهودية تاركاً المجال للقراء المسيحيين كي يستنتجوا أن اليهود كانوا قتلة المسيح الأشرار.

ولكنها أيضاً تعمل على مساعدة المسيحيين في الدفاع عن أنفسهم ضد الهجمات التي شنها عليهم الوثنيون. ورداً على الوثنيين الذين أصروا على أن يسوع كان مجرماً مداناً ترفضه الدولة الرومانية استطاع المسيحيون أن يقولوا إن ذلك لم يكن صحيحاً وأن الحاكم المعين على دولة يهوذا وجد المسيح بريئاً وصلبه فقط لأن اليهود الأشرار اضطروه لفعل ذلك. فيسوع لم يكن مجرماً ولم يكن أتباعه كذلك.

أو انظر إلى الرسائل المتبادلة بين بولس الرسول والفيلسوف الروماني سينيكا. على أحد المستويات أرضت هذه الرسائل فضول المسيحيين. كيف أمكن لأبرز علماء اللاهوت في الدين الجديد أن لا يكون معروفاً للعقول العظيمة الأخرى في زمانه؟

لقد بينت هذه الرسائل أن بولس في الواقع كان معروفاً ومحترماً من قبل أعظم مفكريهم على الإطلاق وهو سينيكا الذي لا مثيل له. ولكن هذه الرسائل زيادة على أنها أرضت فضول المسيحيين حققت دوراً دفاعياً في تبيان أن المسيحية منذ البداية كانت أبعد ما تكون عن كونها ديناً للفلاحين الآتين من طبقات المجتمع الدنيا ومن مناطق ريفية متخلفة بل هي ذات تراث فلسفي محترم جداً. ما هو مقدار

كونها محترمة؟ إن أعظم الفلاسفة الرومان في القرن الأول كان يوقر بولس الرسول ويمتدح بصيرته الخارقة.

بطريقة أخرى يمكن أن تكون بعض أقدم الرسائل المسيحية ـ وهي الرسائل الموجودة في العهد الجديد لكل من بطرس وبولس ـ قد عملت على محاولة دفع الهجمات الآتية من الخصوم الوثنيين. خذ كمثال على ذلك رسالة بطرس الأولى. فهي رسالة يقوم مؤلفها الذي كتب باسم مستعار وادعى أنه سمعان بطرس ويطمئن فيها المسيحيين في آسيا الصغرى الذين كانوا يخضعون للتعذيب والمعاناة. لكن الرسالة لم يكن القصد منها تقديم الراحة فقط بل قصد منها أن تقدم دفاعاً ضد الاتهامات المحددة الموجهة للمسيحيين والتي أوجدت الظروف لمعاناتهم.

المسيحيون مثلاً يظن بأنهم معارضون للحكومة ولذا فإن المؤلف يحض قراءه قائلاً: «كونوا خاضعين لكل ترتيب بشري من أجل الرب سواء كان للإمبراطور الذي هو فوق الكل أو للولاة الذين أرسلهم للانتقام من فاعلي الشر وللمدح لفاعلي الخير لأن هكذا هي مشيئة الله: أن تفعلوا الخير فتسكتوا جهالة الناس الأغبياء» (الإصحاح 2: 13 ـ 15).

يتهم الوثنيون المسيحيين أيضاً بأنهم يعيشون حياة لا أخلاقية فاضحة ولذلك يحث المؤلف قراءه قائلاً: «امتنعوا عن شهوات الجسد التي تشن حرباً ضد أرواحكم، حافظوا على سلوك جيد أمام الأمم فإن عيرتم كشريرين فقد يلاحظون أعمالكم الحسنة ويمجدون الله» (إصحاح 4: 11 ـ 12). يدعي الوثنيون أن المسيحيين مفرقون للمجتمع ولذلك يقول المؤلف للعبيد أن يكونوا خاضعين لأسيادهم والزوجات أن يكن مطيعات لأزواجهم والأزواج أن يعاملوا زوجاتهم باحترام ويطلب من الجميع أن يحسنوا التصرف: «غير مجازين الشر بالشر ولا الشتيمة بالشتيمة بل بالعكس مباركين» (إصحاح 3: 9). وبما أن العظات يفترض أنها آتية من بطرس نفسه ـ أهم رئيس للكنيسة القديمة ـ فهي تتمتع بأهمية خاصة على أنها تمثل جوهر الرسالة المسيحية منذ البداية الأولى.

كان هناك مهمة مختلفة لحالة تزوير أخرى نظرنا فيها سابقاً وهي إنجيل نيقوديموس. كان هذا الكتاب في العصور القديمة يدعى أعمال بيلاطس بما أن

نصفه الأول يسجل وصفاً لموت يسوع من وجهة نظر الحاكم الروماني بونتيوس بيلاطس نفسه. هذا الوصف بالطبع متعاطف جداً مع كل من بيلاطس ويسوع. يسوع البريء من الاتهامات يحضر ليمثل أمامه ويعلن بيلاطس براءة يسوع بشكل متكرر معترفاً بمعجزات وحياة وشخصية يسوع المقدسة وأخيراً يأمر بإعدامه فقط بعدما اضطر لذلك بدافع من خصوم يسوع اليهود.

ربما كنا قادرين على عزل سبب أكثر دقة لكتابة هذا الكتاب. بحسب يوسيبيوس في العام 311 تم تزوير كتاب وثني معاد للمسيحية اسمه أعمال بيلاطس. صور هذا الكتاب يسوع بطريقة سلبية جداً مشيراً إلى أنه كان يستحق كل شيء حصل له كما يرى بعيني بونتيوس بيلاطس. وقد تأثر كثيراً بهذا الكتاب الإمبراطور الروماني ماكسيمين دايا حتى أنه أمر بوضعه في أماكن عامة في أنحاء الإمبراطورية وأمر باستعماله في المدارس لتدريب الأطفال على القراءة (22).

هذا الكتاب الوثني (أعمال بيلاطس) إذن كان شائعاً ومنتشراً بشكل هائل لكن لسوء الحظ لم يعد باقياً حتى الآن. فهل هو من قبيل المصادفة أن ظهرت بعد عدة سنوات نسخة «بديلة» من أعمال بيلاطس وهي نسخة يصور يسوع فيها أنه بريء وليس مداناً وفيها يظهر بيلاطس مؤيداً ليسوع ويصرح أنه مقدس بدلاً من أن يكون معادياً له ويعلن أنه يستحق الموت؟ في رأي عدد من العلماء، يعتبر كتاب أعمال بيلاطس الموجود لدينا الآن (والمعروف أيضاً باسم إنجيل نيقوديموس) قد ألف حصراً ليتناقض كتاب أعمال بيلاطس الوثني كطريقة لتصحيح السجلات.

تنبؤات العرافات:

كان الاعتقاد في روما القديمة أنه كان يوجد في الأزمان القديمة متنبئة معروفة باسم سيبل (Sibyl) (أي العرّافة) ويقال إنها عمرت لمدة طويلة جداً جداً وبحسب ما يقول الشاعر أوفيد فقد عاشت ألف سنة (23). ووفقاً للتقاليد الموقرة يقال إن العرافة سبل كتبت قصائد مطولة كانت ذات طبيعة تنبؤية وضعت ليس فقط لتتحدث عن المستقبل بل لتخبر أيضاً حكام روما بما يجب فعله في أوقات المحن. والكتابات العديدة المنسوبة للعرافة تم جمعها على مر السنين وخزنت في واحد من أكثر الأماكن قداسة في روما وهو معبد جوبيتر كابيتولينوس. وقد عين

عدد من الكهنة الذين تم تسميتهم لاحقاً بـ «الخمسة عشر» ليحفظوا ويفسروا هذه الكتابات عند الحاجة لذلك وكما يوجههم مجلس الشيوخ في روما.

وتشير بعض السجلات إلى أن التنبؤات السيلية كما كانوا يسمونها (نسبة إلى العرافة سبل) تم الرجوع إليها حوالي خمسين مرة بين عامي 500 و 100 قبل الميلاد في أوقات الطاعون أو المجاعة أو الظواهر العجيبة (أي عندما بدا لهم أن شيئاً خارقاً سيقع) لكي يعرفوا ماذا قالت عنه تلك المتنبئة وماذا عليهم أن يفعلوا تجاهه (24).

حصلت مأساة كبيرة عام 83 ق.م عندما احترق معبد جوبيتر واحترقت معه كتب التنبؤات. فوجه مجلس الشيوخ إلى أنه ينبغي جمع النسخ الأخرى من تلك الكتب من أماكن متعددة وخصوصاً من مدينة ارثريا وقد جرت محاولة لإعادة إنشاء الكتابات الأصلية. وقد تلفت هذه الكتابات أيضاً في أوقات لاحقة. واليوم نعرف عن اثنين فقط من الأقوال المختصرة التي ربما كانت تتبع للمجموعة الثانية من النبوءات السيلية ولكن ليس لدينا أي من كتابات المجموعة الأولى.

إن التراث الذي يقول إنه عاشت قديماً عرافة وثنية استطاعت بثقة أن تتنبأ بالمستقبل كان قوياً جداً حتى أن الإغراء بإيجاد تكهنات أو نبوءات باسمها أثبت أنه لا يمكن دفعه من قبل شعوب لاحقة وخاصة لليهود ومن بعدهم المسيحيين.

وكما أشرت سابقاً فإن اليهود كانوا مقبولين لحد كبير في أرجاء الإمبراطورية. ومع ذلك فقد كان عليهم من حين لآخر أن يكافحوا من أجل حقهم بالتعايش مع الوثنيين وأن يدافعوا عن دينهم ضد الهجمات الوثنية. وبتزوير تنبؤات باسم العرافة سبل تمكن اليهود من الإدعاء أن ديانتهم كانت عريقة جداً كما تشهد بهذا أقدم المتنبئات وأنها متوافقة مع أفضل ما وجد في الديانات الوثنية.

لقد جمع عدد من النبوءات اليهودية المزورة باسم سبل في مجموعة استولى عليها فيما بعد مؤلفون مسيحيون مجهولون (24). وقد عدل هؤلاء الكتاب عدداً من التنبؤات بأن أدخلوا فيها «نبوءاتهم» المسيحية الخاصة بهم. وقد أضافوا بعض نبوءات جديدة كلياً لهذه المجموعة. فهذه النسخة المعدلة مسيحياً للتنبؤات السيلية تم تناقلها من جيل لجيل عبر القرون وما زال لدينا حالياً اثني عشر كتاباً منها.

إن الكتابات اليهودية والمسيحية المزورة باسم العرافة سيبل تمت أخيراً من قبل عالم مسيحي بيزنطي في وقت ما بالقرن السادس الميلادي. وبسبب مشكلات في طريقة نسخ الكتب عبر القرون فإن تعداد الكتب الاثني عشر يتم بدون ترتيب كأن يقال الكتب من 1 إلى 8 ومن 11 إلى 14. بعض هذه الكتب يهودية وبعضها كتب يهودية حصلت فيها إدخالات مسيحية مطولة (مثل الكتب من 1 إلى 2 و 8) وهناك كتب أخرى مسيحية حصرياً (كالكتاب رقم 6 وربما رقم 7). والأجزاء المسيحية من التنبؤات المزورة باسم العرافة سيبل تتنبأ بقدوم المسيح وتهاجم اليهود لعدم إيمانهم بهذا الذي سيأتي.

ولإعطاء مثال فقط عن الطريقة التي تعمل فيها هذه التزويرات الدفاعية لننظر إلى الكتاب الأول اليهودي الصيغة لحد كبير حتى المقطع الأخير والذي يحوي إدراجات مسيحية. يبدأ الكتاب بعبارة العرافة سيبل: «بدءاً من الجيل الأول للناس المهمين وحتى الجيل الأخير سأنبئكم بهم جميعاً حسب دورهم أشياء كهذه كما كانت من قبل وكما هي الآن وكما سيلاقي العالم في المستقبل» (26).

هنا إذن عرافة وثنية قديمة موثوقة ستخبر الناس عن المستقبل. وبعد أن تروي قصة خلق العالم ومن بعده كل أجيال البشر تتابع العرافة فيما أدخله المسيحيون لتشير إلى ما يلي:

ثم سيأتي حقاً ابن الله العظيم متجسداً مشابهاً للبشر الفانين على الأرض... وسيظهر حياة أبدية لأناس مختارين. سيشفي المرضى وكل الذين تلطخوا بالذنوب ـ كل الذين يؤمنون به. الأعمى سيبصر والأعرج سيمشي والأصم سيسمع والبكم الذين لا يستطيعون النطق سيتكلمون.

لكنها تقول: «إن شعب إسرائيل بشفاه كريهة ونفثات سامة سيوقعون ضربات بهذا الرجل» وتتابع كلامها لتصف موت المسيح وقيامته والدمار الذي سيلحق ذلك ليصيب «العبرانيين» على العمل الشرير الذي ارتكبوه ضد المسيح.

وأحد المقاطع الأكثر قوة في النبوءات السيلية الباقية وهو الكتاب القصير جداً رقم 6 الذي يمثل ترنيمة للمسيح: «إنني أتحدث من قلبي عن ابن الإنسان الشهير العظيم لمن منحه من وَلده، وهو الأكثر سمواً، عرشاً ليمتلكه قبل أن يولد».

ويستمر المقطع ليتحدث عن مجيئه المجيد إلى العالم وعن رفضه وعن العواقب لشعب إسرائيل لمن خبئت له مصائب شديدة:

لأنكم بسبب تفكيركم العدائي لم تعرفوا إلهكم عندما جاء إليكم أمام أعينكم البشرية الفانية. لكنكم توجتموه بتاج من الشوك ومزجتم لـه المرارة الشديدة مع الشراب كإهانة له. وهذا سيسبب لكم مصائب كبيرة.

وربما كان أكثر المقاطع إثارة للاهتمام في النبوءات السيبلية آتياً من إضافة مسيحية في الكتاب الثامن حيث يشكل مقطع طويل من النبوءات فيها قصيدة تشكل الحروف الأولى من أسطرها ما يشبه كلمة السر عندما يتم جمعها ووضعها بالترتيب. وهي تشكل الكلمات اليونانية التي تعني «يسوع المسيح، ابن الله، المخلّص، الصليب». وهذا النوع من الكتابة المرتبة بهذا الشكل يقصد به أن يكون رمزياً ذا معنى خفي. ومن بين أشياء أخرى يبين المقطع أنه كان هناك تفكير مسبق دخل في إنشاء القصيدة وجعلها لافتة للنظر بحقيقة أنها يفترض أنها أنشئت من قبل عرافة وثنية عاشت قبل قرون من ميلاد يسوع.

إن النبوءات السيبلية المسيحية كانت معروفة تماماً في العصور القديمة. قديمة بقدم جوستن مارتر في منتصف القرن الثاني كان يشار إلى تلك التكهنات بأنها تتنبأ بحقائق المسيحية (27). وكما قد تتخيل فإن الوثنيين الذين كانوا يقصدون مهاجمة المسيحيين كانوا يعرفون تمام المعرفة أن هذه التكهنات التنبؤية لمجيء المسيح وأعماله على الأرض وإنكاره من قبل اليهود وتبرئته لم تكن أصيلة بالنسبة لسيبل القديمة ولكنها أدخلت في هذه الكتابات أو أنه تم إلباسها ثوباً كاملاً من قبل المؤلفين المسيحيين (28).

هذه أحد الأمثلة التي كان فيها مزورون مجهولون من بين المسيحيين موضع شك بحق. وبالطبع كانوا أيضاً مدانين بشدة كما حصل في كل الأوقات تقريباً مع المزورين في العصور القديمة.

خاتمة:

كثيراً ما كان المسيحيون في القرون الثلاثة الأولى يشعرون بأنفسهم معرضين للهجوم بسبب عقيدتهم وهو سبب كاف. وقد كانوا فعلاً كذلك. ومنذ الأعوام

الأولى للكنيسة رفض اليهود الذين لم يدخلوا في المسيحية الرسالة المسيحية بأن يسوع هو المخلص اليهودي المرسل تصديقاً للكتب اليهودية المقدسة وأدى هذا ليس فقط لنقاش جاد حول التفسير الصحيح للكتاب المقدس بل أدى أيضاً إلى عداوة خطيرة. واشتدت العداوة عندما شعر المسيحيون أن خصومهم اليهود غير المسيحيين رفضوا الاستماع للمنطق وكانوا بكل وضوح إما معاندين أو عمياً عن الحقيقة. وعندما ازدادت أعداد المسيحيين وقوتهم ازداد التوتر. وبالطبع بعد ذلك سيطرت المسيحية وبمجرد حصول ذلك أصبح القتال غير متكافئ. وكانت النتيجة كامل التاريخ القبيح للعداء المسيحي ضد اليهودية.

في أثناء صراع المسيحيين مع جيرانهم اليهود من ناحية كان عليهم أن يتقوا هجمات الوثنيين من ناحية أخرى. وأكثر بكثير من الاضطهاد الرسمي كان هناك معارضة محلية للمسيحيين بين عائلاتهم وأصدقائهم وجيرانهم السابقين ـ ولاحقاً مع جموع الناس ـ التي سببت للمسيحيين معظم المشاكل في القرون الأولى قبل أن يصبح الأباطرة الرومانيين رعاة لعمليات الاضطهاد الممتدة عبر الإمبراطورية كلها في أواسط القرن الثالث. وكان كثير من الوثنيين ينظرون إلى المسيحية على أنها خطرة سياسياً ممزقة للمجتمعات ولا أخلاقية بشكل فاضح.

كل هذا جعل المسيحيين مضطرين للدفاع عن أنفسهم ضد هذه الاتهامات بإظهار أنهم أعضاء مطيعون للدولة منسجمين اجتماعياً ومحافظين وأنهم أكثر الناس أخلاقاً على الأرض.

وكما رأينا فقد كان فرعا الهجوم المضاد المسيحي مرتبطان تماماً. بمهاجمة اليهود على رفضهم مخلصهم كان المسيحيون قادرين في الوقت نفسه على أن يعلنوا براءة يسوع وأتباعه أمام المسؤولين الحكوميين والمراقبين الوثنيين الآخرين. وبإدعائهم أنهم الممثلون الحقيقيون للديانة اليهودية القديمة لم يحاول المسيحيون فقط أن يبعدوا اليهود بل أن يعطوا أيضاً حس العراقة والقدم لمزاعمهم الدينية الخاصة بهم، وأنهم قدماء كموسى، الذين كان أكبر بكثير من أي مشرعين أو فلاسفة وثنيين. وبتصويرهم لليهود على أنهم مبغضون آثمون لله تمكن المسيحيون أن يصوروا أنفسهم على أنهم كائنات أخلاقية راقية وليس لهم أي تهديد على النظام الاجتماعي.

في هذه الفوضى الكبيرة بين هجوم وهجوم معاكس قدم بعض المؤلفين المسيحيين أسلحة التزوير الأدبي. وكان الهدف النهائي للكنيسة أن تثبت نفسها على أنها حقيقية وأن تبين أن كل الأديان الأخرى بالتالي باطلة. لذلك فمرة ثانية أمامنا واحدة من أكبر المفارقات للدين المسيحي القديم: بعض الناطقين باسمه البارزين يبدو أنهم لم يكن لديهم أي وخز للضمير بشأن الكذب لكي ينشروا عقيدتهم أو أن يمارسوا الخداع لكي يبنوا الحقيقة.

الفصل السادس
الكتابات المزورة في النزاعات مع المعلمين الكاذبين

لطالما استمتعت بحوار عقلاني حول قضية جدلية، عندما كنت في المدرسة الثانوية كنت في فريق الحوارات وقد أحببت ذلك. وكنت وزملائي ماهرين في ذلك منذ أن كنا في سن السادسة عشر وكنا قادرين أن نكون في أي من طرفي حوار ساخن وأن نشارك فيه ثم نقلب الأدوار ونجادل في الطرف المعاكس في الحوار التالي. وما زلت أقوم بعمل حوارات في أرجاء البلاد حالياً ودائماً تقريباً مع علماء مسيحين إنجيليين حول مواضيع ذات أهمية خصوصاً للمسيحيين الإنجيليين (البروتستانت). والحوارات تدور حول أسئلة كهذه: «هل يستطيع المؤرخون إثبات أن يسوع قد رفع من بين الأموات؟» (وأنا دائماً أقول: لا، لا أحد يستطيع أن يثبت ذلك)، «هل روايات الإنجيل حول يسوع معتمدة؟» (لا، ليس تماماً)، «هل يعطي الكتاب المقدس جواباً كافياً للسؤال: لماذا توجد المعاناة؟» (لا، حقاً لا وهلم جرا).

أعتقد أيضاً أن الحوارات يمكن أن تكون مفيدة من الناحية التربوية في الصفوف المدرسية؛ فهي تساعد الطلاب في مرحلة ما قبل التخرج أن يتعلموا كيف يجرون الحوار ويقيمون الدليل ويروا نقاط القوة في موقف يرفضونه شخصياً. ولذلك فإني أجعل طلابي يتحاورون حول مواضيع خلافية في منهاجي التدريسي حول العهد الجديد.

أحياناً في إعداد هذه الحوارات أكتشف مسبقاً أي جانب يريد الطلاب أن يمثلوه (إيجاباً أو سلباً) وبعد ذلك أطلب منهم أن يأخذوا الجانب المعاكس مجبراً إياهم على أن يحاوروا عن موقف يجربوه يوماً ما ليروا أن خصومهم ربما يكون لديهم شيء مهم ومقنع يقولونه.

وفي السنوات الطويلة التي أمضيتها في حوار رسمي وسنواتي الطويلة في مناقشة غير رسمية أدركت شيئاً هاماً جداً. إننا نميل إلى الدخول في أشد الحوارات حرارة حول مواضيع نهتم بها حقاً ومع أناس شديدي القرب منا. فقط في حالات

نادرة نصبح متوترين ومنزعجين بشأن شيء لا يهمنا. وأكثر المجادلات حرارة تكون بشكل شبه دائم مع أصدقاء وأشخاص محبوبين أكثر من أشخاص غرباء تماماً.

حوارات بين المسيحيين الأوائل:

مثل هذا الشيء كان صحيحاً في الحوارات التي جرت بين المسيحيين الأوائل. وكما رأينا في الفصل السابق كان المسيحيون في صراع مع اليهود والوثنيين حول صحة دينهم. وكانت هذه الحوارات تشتد أحياناً. وقد كانت على كل حال حول قضايا تهم المسيحيين بشكل عميق. لكن أعنف الحوارات المسيحية كانت مع مسيحيين آخرين عندما كانوا يتحاورون حول الأمور الصحيحة للاعتقاد والطرق الصحيحة للعيش. هذه الحوارات الداخلية كانت في أكثر الأحيان مفعمة بالنقد اللاذع والكراهية.

كان المسيحيون يطلقون تسميات كريهة ضد بعضهم بعضاً ويقولون أشياء قبيحة وقد رفعوا كل العوائق ليجعلوا خصومهم المسيحيين يبدون مستحقين للتوبيخ وأغبياء وجاحدين وفي حالات كثيرة ليس لخصومهم الحق حتى في أن يسموا أنفسهم مسيحيين. وأي شخص ينظر إليه على أنه معلم كاذب كان عرضة للهجاء الشديد؛ وأما الأشخاص من غير الملة ـ كالوثنيين واليهود ـ فكانوا يعاملون بلطف إذا ما قورنوا مع المسيحيين.

كانت نقاشات المسيحيين مع المعلمين الكاذبين الموجودين بينهم تحدث كثيراً وترجع تاريخياً إلى الحد الذي يوجد لدينا سجلات حوله.

إن أقدم مؤلف مسيحي لدينا هو بولس وفي كل واحدة من رسائله تقريباً يتضح أنه كان له خصوم في كل الأطراف. وقد فشل كثير من القراء المسيحيين في رؤية أهمية هجمات بولس المستمرة على معلمين كاذبين. وأحد الأشياء التي تبينها هذه الهجمات بلا نزاع هي أن بولس في كل مكان يذهب إليه تقريباً حتى ضمن كنائسه التابعة له كان هو وآراؤه عرضة لهجوم شديد من قبل المسيحيين الذين كانوا يفكرون ويؤمنون بطريقة مختلفة عنه. من السهل أن نفتقد هذه الحقيقة التاريخية الواضحة لأن كتابات خصوم بولس لم تصمد أمام عاديات الزمن بينما أصبحت

كتاباته جزءاً من العهد الجديد. ولكن إذا استطعنا أن نعود بأنفسنا إلى خمسينيات القرن الأول المسيحي فسنجد أن بولس في كل مكان ذهب إليه قاوم معلمين مسيحين كانوا يعتقدون بأنه بشر بإنجيل كاذب.

وكان هذا صحيحاً حتى في الكنائس التي أنشأها بنفسه. ولم يكن هؤلاء الخصوم متشابهين في كل مكان فالمواقع المختلفة أوجدت خصوماً مختلفين وبآراء مغايرة.

فقط لنعطي أمثلة رئيسية كان خصوم بولس المسيحيون في كنائس غلاطية يقولون إنه قد شوه رسالة الإنجيل الحقيقية لعيسى وحوارييه عندما أصر بأن الأمم (غير اليهود) لم يكن يتوجب عليهم الختان ولا أن يصبحوا يهوداً لكي يعتبروا أتباعاً ليسوع. ورد خصومه بأن هذا هراء فيسوع كان يهودياً وكان أتباعه يهوداً وقد علم الناس الشريعة اليهودية وكان هو المخلص اليهودي المرسل من عند إله اليهود إلى الشعب اليهودي ـ فاتباع يسوع كان يعني طبعاً أن يكون المرء يهودياً. وهذه الفكرة ضاعت في الحوارات اللاحقة ولكنها بالتأكيد كان لها مؤيدون كثيرون ومتحمسون في زمانها.

وفي كنيسة كورنث (في اليونان) أصر خصوم بولس على أنه كان خطيباً ضعيفاً مثيراً للشفقة لم يظهر أي دليل على أنه مؤيد من عند الله. ومن ناحية أخرى كان لديهم مواهب إلهية متميزة في إظهار تفوق رسالتهم بأن المؤمنين الحقيقيين قد نشئوا سابقاً مع المسيح ليختبروا القوة ومتعة الوجود السماوي في الدنيا في الزمن الحاضر.

وفي مدينة روما كان بولس يعاب عليه من قبل زعماء مسيحيين قالوا إنه لم يكن حوارياً حقيقياً. هاجم هؤلاء المسيحيون بولس لاعتقاده أن الأمم (غير اليهودية) كانوا أفضل من اليهود في الكنيسة ولأنه كان يدعم إنجيلاً أدى إلى نمط حياة لا أخلاقي.

وهكذا تجري الأمور ـ في كل ناحية كان لبولس خصوم ـ ولا ينبغي لنا أن نلغي هؤلاء الخصوم ونعتبرهم أقليات هامشية لا قيمة لها. فقد كانوا في كل مكان وكان بولس يراهم خطرين عليه. ومع الزمن تغلبت آراؤه ولكن في زمانه كانت وجهات النظر المختلفة شائعة كثيراً وذات تهديد قوي. ولم يكن بولس الرسول

الوحيد المعرض للهجوم. ففي كل مجتمع مسيحي قديم كان هناك مؤمنون يهاجمون مؤمنين آخرين بسبب معتقداتهم الخاطئة.

كانت هذه مشكلة بالنسبة لدين يدعي أنه يمثل الحقيقة «الوحيدة». فإذا كان أتباع يسوع يمثلون الحقيقة الواحدة والموحلة من عند الله فلماذا لم تكن الكنيسة واحدة وموحدة؟ في الواقع كانت الكنيسة كل شيء إلا هذا، ليس فقط في زمان بولس ولكن طوال القرون الأربعة الأولى بكاملها. وفقط في القرنين الثاني والثالث، على سبيل المثال، نعرف عن معلمين مسيحيين أقوياء ومؤثرين من أمثال ماركيون (Marcion) الذي ادعى أنه لا يوجد إله واحد فقط بل إلهان اثنان. وقال بعض الغنوصيين أن هناك ثلاثين كائناً إلهياً أو ثلاثمائة وخمس وستون.

لقد ادعى هؤلاء المسيحيون أنهم على حق وأن كل الآخرين مخطئون. ولو كسبت واحدة من هذه الفئات النقاش لكان العالم مكاناً مختلفاً في هذه الأيام.

في القرنين الثاني والثالث قال بعض المسيحيين أن يسوع كان أتقى إنسان عاش في الحياة وأن الله اختاره ليكون المخلص المرسل من عنده. ولكنه لم يكن أبداً ذا طبيعة إلهية. الإنسان لا يمكن أن يكون ذا طبيعة إلهية.

وقد أصر مسيحيون آخرون مرة ثانية مثل ماركيون أن المسيح كان ذا طبيعة إلهية تماماً وليس بشرياً على الإطلاق. ولكن مسيحيون آخرون بما فيهم الغنوصيون الذين سبق أن ذكرتهم ادعوا بأن يسوع المسيح هو كائنان اثنان: بشري هو يسوع وإلهي وهو المسيح الذي حل في يسوع ليعطيه القوة من أجل مهمته الدينية والذي خرج منه قبل موته لأن المسيح لا يمكن أن يتألم. ومع ذلك قال مسيحيون آخرون إن يسوع كان الله الأب ذاته وجاء إلى الأرض.

في هذا الوقت نفسه كان هناك مسيحيون أنكروا خلق الله للعالم أو أنه سمى إسرائيل شعبه أو أنه ألف الكتب المقدسة اليهودية. كان هناك مسيحيون أصروا على أن الكتب اليهودية مقدسة ولكن لا ينبغي أن تفسر حرفياً. ومع ذلك قال مسيحيون آخرون إنها يجب أن تفسر حرفياً وتتبع حرفياً كما يفعل بعضهم حتى في وقتنا الحاضر.

لم يكن المسيحيون القدماء إلا مختلفين جذرياً ولكن كل الجماعات المسيحية لم تكن فقط تدعي بأنها محقة بل أيضاً وحدها المحقة ورأيهم وحده هو الذي يمثل

الحقيقة الإلهية الوحيدة، وكنتيجة طبيعية لذلك فقد ادعى كل منهم أن فكرتهم عن الحقيقة هي الفكرة التي بشر بها يسوع نفسه ومن خلاله انتقلت إلى الحواريين. وكل هذه الطوائف كان لديها كتب تثبت ذلك، كتب من المفترض أنها كتبت من قبل الرسل الذين يؤيدون وجهات نظرهم.

قد يستغرب المسيحيون حالياً لماذا لا تقرأ هذه الطوائف المختلفة بكل بساطة عهدهم الجديد ليروا بأن آراءهم خاطئة. والجواب بالطبع هو أنه لم يكن هناك عهد جديد. العهد الجديد نشأ من هذه الصراعات عندما تغلبت واحدة من هذه الطوائف في الجدال وقررت أي كتب ستكون داخلة في العهد الجديد. وكتب أخرى تمثل وجهات نظر أخرى وأيضاً كانت منسوبة لرسل يسوع لم تترك فقط خارج الكتاب المقدس بل أتلفت وتم نسيانها. وكنتيجة حالياً وعندما نفكر بالمسيحية الأولى نميل إلى أن نفكر بها فقط كما وصلت إلينا في كتابات الفريق المنتصر.

وببطء فقط وفي العصور الحديثة ظهرت إلى النور كتب قديمة تؤيد أفكاراً بديلة لأنها ظهرت في الحفريات الآثارية وعن طريق الصدفة المحضة كما حدث في رمال مصر مثلاً.

ماذا كان المعلمون المسيحيون يفعلون عندما يقتنعون بأن فهمهم الخاص ليسوع وللدين كان صحيحاً ولكن لم يكن لديهم أية كتابات رسولية لتدعمه؟ أحد الأشياء التي كانوا يفعلونها أحياناً ـ أو غالباً ـ أنهم كانوا يختلقون كتابات رسولية. لا شيء ولد تزويرات أدبية بأسماء الرسل أكثر من التناقضات الداخلية بين الطوائف المسيحية المتنافسة. وقد أسست هذه التزويرات مرجعية رسولية لآراء كل طائفة وهجوماً على آراء الطوائف الأخرى. إن كثيراً من التزويرات التي درسناها سابقاً تفعل ذلك لحد كبير...

وهناك تزويرات أخرى سيتم بحثها هنا.

تزويرات موجهة ضد خصوم مجهولين:

عندما نقرأ الاتهامات المسيحية القديمة للمعلمين الكاذبين يكون من الصعب غالباً أن نعرف ماذا كان خصومهم يعتقدون بالتحديد. وذلك لأنه في معظم الحالات ليس لدينا أي من كتابات الخصوم ذاتها ولذلك يتوجب علينا إعادة تركيب آرائهم مما قاله عنهم أعداؤهم. وذلك غالباً لا يمنح المرء مجالاً ليستمر في

الموضوع. حاول أن تتخيل إعادة تركيب الآراء الحقيقية لأحد المرشحين لرئاسة الجمهورية مما يقوله عنه مرشح آخر لكي يهاجمه. هذا النوع من إعادة التركيب أسهل بكثير كي نفعله في الوقت الحاضر في وقت نملك فيه وسائل إعلام وتقارير كثيرة من كلا طرفي أي قضية بحيث يكون من الصعب أن تكذب بشأن آراء الشخص الآخر. إن السياسيين اليوم يجب أن يكونوا متسترين نسبياً. في العالم القديم لم يكن هناك فعلياً شيء يمنع من التشويه والتحريف السافر. فكيف لأحد أن يعرف بدون وجود مقال صحفي أو في مجلة تبين آراء الخصوم الحقيقية؟

في حالات أخرى كانت المجادلات ضد الخصوم من أجل القراء الذين يجدون الخصوم بينهم مباشرة لذا فكل من الكاتب والقراء يعرفون تماماً ما هي آراء الخصوم ونتيجة لذلك لا يشعر الكاتب بأي حاجة لذكرها علناً.

هذا جيد بالنسبة للقراء الذين يعرفون عما يتحدث المؤلف. ولكن بالنسبة للذين يعيشون بعد ألفي سنة يمكن أن يكون ذلك محبطاً. فنحن نحصل على تلميحات فقط عن طبيعة التعليم الخاطئ وعلينا أن نبذل أقصى جهدنا لتجميع الأمور مع بعضها من الشيء القليل الذي يقال لنا.

وكذلك في حالات أخرى قد يهاجم أحد المؤلفين أفكاراً اختلقها هو بنفسه كنقيض لأفكاره. وهذا هو خصوصاً الوضع في الكتابات المزورة التي يتظاهر فيها المؤلف أنه يعيش في عصر سابق. والتعاليم الخاطئة التي تهاجم ليست بالضرورة آراء كان يعتقدها أي إنسان. إنها ببساطة وجهة نظر بديلة يعيبها المؤلف ويهاجمها لكي يعلن «حقيقة» وجهة نظره.

علينا أن نواجه كل هذه الحالات عندما نتعامل مع الكتابات المزورة للمسيحية القديمة بما فيها تلك الكتابات في العهد الجديد.

تهاجم عدة مؤلفات تعاليم كاذبة ولكن من شبه المستحيل أن نقول ماذا كان الخصوم يعتقدون إن كانوا حقاً قد وجدوا أصلاً.

الرسالة إلى مؤمني كولوسي:

هذه هي الحالة مع الرسالة إلى أهل كولوسي المكتوبة باسم بولس ولكن من شبه المؤكد أنها مكتوبة باسم مستعار كما رأينا في الفصل الثالث. وإن المؤلف ـ أياً

كان ـ يحض قراءه أن لا ينحرفوا بسبب تعاليم كاذبة: «انتبهوا لئلا يسلب أحد عقولكم بالكلام الفلسفي والغرور الباطل القائم على تقاليد البشر وقوى الكون الأولية لا على المسيح» (إصحاح 2: 8).

ويستمر في تكليف قرائه بما ينبغي عليهم اعتقاده وما لا ينبغي وبالممارسات الدينية التي يجب وما لا يجب عليهم أن ينشغلوا بها ولكن مع من كان يتجادل؟

هذه حالة تقليدية قديمة لا يملك العلماء أي طريقة لمعرفتها. ليس لأن أحداً قد توقف عن المحاولة. فواحد من العلماء كان يكتب في عام 1973 وأشار إلى أنه قد كان هناك أربع وأربعون رأياً علمياً مختلفاً حول ما كان يمثله المعلمون الكاذبون الذين خضعوا للهجوم والنقد (1). وعلى فترة خمسة أعوام في أوائل التسعينات (من القرن العشرين) كان هناك أربعة كتب رئيسية كتبت عن الموضوع من قبل علماء مختصين وكان كل منهم يمثل رأياً مختلفاً (2). وإن رأيي أننا لن نعرف بشكل مؤكد.

ما نستطيع قوله هو أن المؤلف يصور هؤلاء المعلمين الكاذبين ـ سواء وجدوا حقيقة أم لا ـ على أنهم يحثون القراء المسيحيين على عبادة الملائكة بناء على رؤى إلهية رأوها. وقد حضوا أتباعهم أن يعيشوا نمط حياة متقشفة متخلين عن بعض الأطعمة والأشربة ومراعين ربما لأحكام السبت والاحتفالات اليهودية (هكذا في الإصحاح 2: 16 ـ 18 و 21 ـ 23). وإن المؤلف ـ الذي يدعي أنه بولس ـ معارض لكل ذلك. وهو يعتقد أن المسيح وحده هو التجسد الكامل للمقدس.

وأكثر من ذلك فإن أولئك الذين عاشوا «في المسيح» قد جربوا مسبقاً فوائد القيامة (قيامة المسيح): وليس هناك حاجة لأن ينشغلوا في ممارسات تقشفية.

لماذا يدعي كاتب أنه بولس لكي يهاجم هؤلاء الخصوم المجهولين؟

من الواضح أنه بسبب القيام بذلك سمح للكاتب أن يعيب الأشخاص الذين يختلف معهم وفي الوقت ذاته أطلق وجهة نظره رغم أن رأيه في الواقع مختلف عن رأي بولس كما رأينا في الفصل الثالث.

رسالة يهوذا:

لننظر بعد ذلك إلى رسالة يهوذا في العهد الجديد. هذه الرسالة القصيرة موجهة بوضوح أكثر ضد معلمين كاذبين في المجتمع المسيحي. فبعد أن يحيي قراءه يشرح

المؤلف سبب كتابة الرسالة قائلاً: بعدما شعرت بضرورة تشجيعكم على الجهاد في سبيل الإيمان الذي تسلمه القديسون كاملاً لأن بعض الناس تسللوا إلينا وهم أشرار يحولون نعمة إلهنا إلى فجور وينكرون سيدنا وربنا يسوع المسيح (3 ـ 4).

ها هنا يوصف الخصوم بنعوت كريهة نوعاً ما لكن النعوت الأشد نجدها عندما نتابع قراءة الرسالة. وإحدى النقاط التي تستحق التأكيد هي أنه حتى عندما دخل هؤلاء الخصوم في الطائفة (كأعضاء) فقد ظلوا ينكرون المسيح.

وهذا لا ينبغي أن يفهم بأنهم ينكرون كونهم مسيحيين على العكس من ذلك فهم يصورون على أنهم معلمون مسيحيون وبقوله أنهم ينكرون المسيح بزعم المؤلف أنهم ليسوا حقاً مسيحيين لأن ما يعلمونه للناس غير صحيح. وليس مستحيلاً أن نتصور أنهم سيقولون الشيء نفسه حول المؤلف. لكن كتابته أصبحت كتاباً مقدساً وكتاباتهم، إن كانت قد وجدت أساساً قد فقدت إلى الأبد.

على أي حال فإن المؤلف من خلال هذه الرسالة ليس لديه شيء جيد ليقوله حول الخصوم. فهم ينجسون الجسد (مهما كان ذلك يعني) ويحتقرون السيادة ويشتمون الملائكة. إنهم حيوانات غير عاقلة يتلذذون معاً بلا حياء وهم «غيوم لا ماء فيها» و «أشجار خريفية بلا ثمار ماتت مرتين واقتلعت من أصولها»، إنهم ملحدون وأعمالهم فاسقة، إنهم «متذمرون، باحثون عن العيوب، يتبعون أهواءهم ويتفوهون بالكلمات الجوفاء» (8 ـ 16).

هنا أيضاً يصعب القول إن كان المؤلف يهاجم طائفة حقيقية وجدت تاريخاً. إنه بالتأكيد ممتلئ نقداً لاذعاً على أعدائه ولكن من المستحيل أن يؤلف صورة متناسقة عما قام هؤلاء الناس بتعليمه بناء على الشتائم والهجوم السريع الذي انهمك فيه المؤلف. ومن المحتمل أن القراء الأصليين لهذه الرسالة عرفوا بالتحديد الأشخاص الذين كان المؤلف يشير إليهم والأشياء التي علموها.

أو ربما كان المؤلف يستعمل مجموعة خيالية من الأعداء ليجعلهم ستراً لتعليمه حول الطبيعة الحقيقية لإيمانه المسيحي الذي «تسلمه القديسون كاملاً» (3). في أي من الحالتين ففي محاولته مهاجمة الباطل يتضح أن المؤلف نفسه قام بارتكاب الغش. فهو يدعي أنه يهوذا في التعليم رقم (1) وبهذا الإدعاء يبدو أنه يقول إنه أخو يسوع.

هناك خمسة أشخاص باسم يهوذا في العهد الجديد وأسوأهم سمعة بالطبع هو يهوذا الاسخريوطي. واحد من الآخرين بهذا الاسم هو يهوذا ابن مريم ويوسف النجار، أحد الأخوة الأربعة ليسوع المذكورين في إنجيل مرقس (إصحاح 6: 4). إن مؤلف هذه الرسالة القصيرة من شبه المؤكد أنه يدعي أنه يهوذا نفسه بالتحديد لأنه يعرف عن نفسه بـ «يهوذا، أخو يعقوب» وبما أن الأقدمين لم يكن لهم اسم أخير (اسم عائلة) فإن مؤلفاً له اسم شائع سيعرف عن نفسه عادة (لكي تعرف أي يهوذا هو) بذكر قريب له مشهور وغالباً ما يكون والده. لكن المؤلف هنا لا يسمي والده بل أخاه يعقوب. وهذا يجب أن يدل على أن يعقوب هو أحد أفراد العائلة المشهور بشكل خاص.

وبماذا اشتهر يعقوب خصوصاً في الكنيسة القديمة؟

إن أشهر يعقوب كان رأس الكنيسة الأولى كنيسة القدس. ويعقوب هذا كان أخا يسوع المذكور مثلاً في كل العهد الجديد كما في رسالة بولس حول عدة مناسبات (انظر غلاطية إصحاح 1: 19).

إذا كان يهوذا هذا يعرف عن نفسه بأنه أخو يعقوب ذلك فإذن هو ضمناً وصراحة أخو يسوع.

ولكن من المؤكد تقريباً أن يهوذا التاريخي لم يكتب هذه الرسالة. فمؤلفها يعيش في فترة لاحقة في تاريخ الكنيسة عندما كانت الكنائس قد تم تأسيسها وعندما كان معلمون كاذبون قد تسللوا إليها وقامت الحاجة إلى استئصالهم. في الواقع يتحدث المؤلف عن «تذكر نبوءات الرسل» (التعليم 17) وكأنهم أي الرسل قد عاشوا قبل زمن طويل. وخلافاً لهم فهو يعيش في «الأيام الأخيرة» التي تنبئوا بها (التعليم 18). هذا شخص يعيش بعد زمان الرسل.

وهناك سبب آخر كي نكون متأكدين نسبياً أن يهوذا لم يكتب الرسالة (المشار إليها سابقاً في الفصل الثاني). ومثل بطرس الذي جاء من الطبقة الدنيا من فلاحي الجليل فإن يهوذا الفلاح المنتمي للطبقة الدنيا من أهل الجليل لم يكن يستطيع الكتابة بشكل شبه مؤكد. هذا إن لم نقل شيئاً عن الكتابة باليونانية وإن لم نقل شيئاً عن تأليف رسالة بأسلوب بلاغي خطابي مؤثر يبرهن عن معرفة مفصلة يدعي أنه يهوذا

لكي يجعل المسيحيين يقرروا كتابه وليقفوا ضد المعلمين الكاذبين الذين لديهم رأي مختلف عن الإيمان.

كتابات مزورة معارضة لبولس:

كان بولس عرضة دائماً للانتقادات ليس فقط في فترة حياته بل بعد مماته أيضاً. رآه بعض المسيحيين كأعظم مرجع للكنيسة القديمة جعلته رؤياه للمسيح في الطريق إلى دمشق مخولاً ليدعي الفهم الصحيح للإنجيل. ورآه آخرون كشخص غريب عن مجموعة الرسل ومتطفلاً بدل رسالة يسوع وحوارييه الأصلية إلى دين مختلف بعيد جداً عن الحقيقة.

لقد شاهدنا مسبقاً أن مؤيدي بولس زوروا رسائل باسمه. وقد شعر المؤلفون بأسماء مستعارة أن سلطة بولس يمكن أن تكون مقنعة للآخرين في خضم المجادلات والصراعات التي كان يواجهها المجتمع المسيحي.

ولذلك نجد لدينا مجموعة كبيرة من الكتابات البولسية (المرتبطة ببولس) التي لم يكتبها في الحقيقة وهي: الرسالة إلى أفسس والرسالة إلى كولوسي، والرسالتان إلى تسالونيك، والرسالة الأولى والثانية إلى تيموثاوس، والرسالة إلى تيطس، والرسائل الثلاث إلى كورنثيا، والرسائل إلى سينيكا. وبلا شك رسائل أخرى عديدة لم يكتب لها البقاء منذ أيام الكنيسة القديمة.

لكن خصوم بولس أيضاً كتبوا كتابات مزورة وفي هذه الحالات كانت الكتابات بأسماء مستعارة تناقض تعاليم بولس أو على الأقل كان الناس يظنونها تعاليم بولس، سواء كانت حقاً تمثل آراء بولس التاريخي أم لم تكن.

وبالطبع لم تكتب هذه الكتابات المزورة باسم بولس ولكن بأسماء مراجع أخرى ذات شهرة كبيرة من الذين يلقون اللوم والنقد إما مباشرة أو بشكل غير مباشر على من يسمونه الرسول إلى الأمم الأخرى (غير اليهود).

رسالة بطرس غير المعتمدة في الكنيسة:

تحدثنا سابقاً في الفصل الثاني أن واحدة من الرسائل غير المعتمدة هي رسالة بطرس والتي تظهر كنوع من التمهيد لـ: الكتابات المزورة. تفترض هذه الرسالة ما كان

يدعى على نطاق واسع في الكنيسة القديمة وما زال يدعى من قبل كثير من العلماء والناس العاديين اليوم أن بطرس وبولس لم يتفقا تماماً على رسالة الإنجيل الحقيقية.

بولس التاريخي نفسه يشير في كتاباته المعتمدة أنه وبطرس كانا أحياناً على طرفي نقيض. وهذا الشيء لا يمكن أن يرى بشكل أوضح من رسالة بولس إلى أهل غلاطية حيث يلمح إلى أن بطرس اختار ألا يشارك المسيحيين غير اليهود (والذين كانوا وثنيين قبل ذلك) طعامهم في مدينة أنطاكية عندما وصل المسيحيون اليهود إليها (انظر الإصحاح 2: 11 ـ 14).

يفترض أن بطرس ظن أن هؤلاء الزوار سينزعجون من قراره بعدم التزام الكوشر (الطعام اليهودي). وانسحاب بطرس من أمام المسيحيين غير اليهود (ليلتزم بالكوشر) ربما كان ببساطة محاولة منه لئلا يثير القلاقل بين المؤمنين اليهود الذين اعتقدوا أنه من الضروري بالنسبة لليهود أن يحافظوا على هويتهم اليهودية حتى بعدما أصبحوا من أتباع يسوع.

من ناحية أخرى كان انسحاب بطرس برأي بولس مخالفة للإنجيل. فهذا الإنجيل بنظره دعا إلى أن اليهود وغير اليهود متساوون أمام الله بإيمانهم بالمسيح وأن أتباع عيسى ليس واجباً عليهم اتباع الشريعة ومن ضمنها التشريعات بشأن الطعام اليهودي (الكوشر).

وقد جابه بولس بطرس أمام الناس وسماه منافقاً لأنه أكل مع غير اليهود عندما لم يكن هناك إخوان يهود حاضرين لكنه رفض أن يفعل ذلك عندما وصلوا. من سوء الحظ حقاً أننا لا نعرف كيف أجابه بطرس أو من الذي فاز بالمناقشة بنظر الحاضرين. وكل ما نعرفه هو من ناحية بولس لأنه يورده في رسالته إلى أهل غلاطية. ولكن من الواضح أنه كان هو وبطرس أحياناً على طرفي نقيض وليس واضحاً أبداً أنهما تصالحا أو اتفقا حول تلك القضية. هذا التوتر بين بطرس وبولس حول الحفاظ على الشريعة كما رأينا هو موضع نقاش في رسالة بطرس غير المعتمدة حيث نجد أن المؤلف الذي يدعي أنه بطرس ولكنه في الواقع يكتب الرسالة بعد موت بطرس بزمن طويل ويهاجم شخصاً يسميه «عدواً» له، هذا العدو دعا إلى «إنجيل غير قانوني لغير اليهود» أي إلى إنجيل يقول أن الشخص يكون صالحاً مع الله بدون تطبيق الشريعة. هذا العدو

الشخصي لبطرس قد ادعى كذباً أن بطرس يتفق مع فهمه الخاطئ للعقيدة، ولكن «بطرس» لا يتفق معها ويهاجم عدوه بولس لإدعائه أنه يفعل ذلك.

هذا إذن هجوم غير مقنع على بولس كتبه مسيحي يهودي ظن أن من المناسب بل من الضروري لليهودي الذي آمن بيسوع أن يستمر في مراعاة الشريعة اليهودية وأن التقصير في ذلك معناه وجود خلل في الدين الصحيح. وبالنسبة للمؤلف ليس سلطة رسولية بل هو مبشر كاذب.

الكتابات المزورة باسم كليمنت:

يوجد تعليم مشابه في الكتابات المزورة باسم كليمنت ذاتها (3).

إن كنتم تتذكرون فإن هذه الكتابات هي عبارة عن مجموعة من روايات طويلة يقال أن كليمنت كتبها وكليمنت هو بابا روما الرابع والتي يصف فيها أسفاره ولقاءه مع الرسول بطرس وتحوله ليصبح أحد أتباع يسوع. تروي معظم الكتب مغامراته اللاحقة في أثناء مشاركته لبطرس في رحلاته التبشيرية. وتروي هذه الأحداث بشكل خاص كيف انشغل بطرس بنزاعات ومنافسات خارقة مع سمعان الساحر الذي ادعى أنه مندوب الله الحقيقي ولكنه وفقاً لما يقوله بطرس كان أحد المعلمين الكاذبين. في بعض المقاطع من هذه الكتب يتضح أن سمعان يجري فهمه على أنه شخص آخر ـ وأنه عدو بطرس الحقيقي وهو الرسول بولس.

وليس هذا أكثر وضوحاً مما نراه في المقاطع العديدة في (الكتابات المزورة باسم كليمنت) المعروفة أيضاً باسم (Homilies) المواعظ (4).

وفي أحد المقاطع يشرح مفصلاً طريقة الله في التعامل مع العالم منذ البداية الأولى. ويشير بطرس بأنه في أكثر الأحيان كان هناك أزواج من الناس الذين يظهرون في التاريخ المقدس. وأول واحد سيظهر يكون دائماً أقل قيمة من الثاني ولذلك مثلاً أول من ولد لآدم وحواء كانا قابيل الشرير (وهو الأول) وهابيل الصالح (وهو الثاني).

وهكذا أيضاً أبو اليهود إبراهيم ولد له ولدان: أولهما إسماعيل الذي لم يرث الوعود (الربانية) وبعده جاء اسحق. وكان لاسحق ولدان وهما عيسو المجدف ويعقوب التقي وهلم جرا عبر التاريخ.

وهذا النموذج ينطبق على مجال الدعوة المسيحية كما يقول «بطرس». وأول الدعاة إلى غير اليهود كان «سمعان» (أي بولس) وكان بالضرورة هو الأدنى. والثاني المتفوق كان بطرس نفسه الذي يقول: «لقد أتيت بعده (سمعان/ بولس) وقد أتيت عليه كما يأتي النور على الظلام وكالمعرفة بعد الجهل وكالشفاء بعد المرض» (2: 17). ليس تصويراً مؤكداً جداً لبولس! لقد تتبع بطرس مهمة وطريق بولس مصححاً كل شيء كان قد أفسده بولس.

وهنالك مقطع آخر أكثر إدانة. وكما هو معروف جيداً كثيراً ما كان يقال عن بولس بأنه تم تعيينه كرسول من قبل المسيح في الرؤيا التي رآها في الطريق إلى دمشق (انظر أعمال الرسل رقم 9). لم يكن بولس أحد الأتباع الأصليين ليسوع. بل على العكس من ذلك بدأ حياته كمضطهد للكنيسة المسيحية. ولكن بعد ذلك ظهر له المسيح وغيره طالباً منه أن يصبح رسوله إلى غير اليهود. بولس نفسه، بولس التاريخي، أخذ هذا التفويض بمنتهى الجدية وزعم في بعض الكتب مثل الرسالة إلى أهل غلاطية أنه بما أنه تلقى رسالته الإنجيلية من يسوع مباشرة حيث لم يره أحد. وأي شخص بشر برسالة مخالفة لرسالته يكون داعياً إلى الباطل وليس إلى الحق (الرسالة إلى غلاطية، إصحاح 1: 6 ـ 9). هو أي بولس حصل على الحقيقة من المسيح نفسه ومن بين أشياء أخرى كانت هذه الحقيقة أن غير اليهود ليس عليهم أن يلتزموا التشريع اليهودي لكي يجدوا الخلاص في المسيح (هكذا في غلاطية إصحاح 2: 15 ـ 16).

إن مؤلف هذه الرسائل يختلف قليباً مع هذا الكلام ويصور بطرس نفسه ساخراً من بولس على إدعاءاته بأنه حصل على اتصال مباشر بتعاليم يسوع بناء على رؤيا فردية سريعة. وفي الموعظة رقم 17 يقول بطرس لـ «سمعان» (أي لبولس): لقد زعمت أنك... عرفت عقائد يسوع بشكل مرضٍ أكثر مني لأنك سمعت كلماته من خلال رؤيا... لكن من يعتمد على الرؤى والأحلام غير مضمون لأنه لا يعرف الذي وثق به. ولأنه من الممكن أنه كان شيطاناً أو أنه كان روحاً خادعة تدعي ما ليست هي عليه.

لا يمكن الاعتماد على الرؤى لأنك لا تستطيع أن تعرف حقيقة ما تراه لذلك فإن كانت سلطة بولس متأصلة تحديداً في رؤيا فهي ليست سلطة على الإطلاق.

ويتابع بطرس قوله بمناقشة يبدو من الصعب رفضها:

هل يمكن أن يعتبر أي شخص لائقاً للتوجيه من خلال أشباح رآها وإن كنت ستقول: «إن ذلك ممكن» فأنا سأسألك: «لماذا أقام معلمنا سنة كاملة يخاطب الذين كانوا مستيقظين؟». وكيف لنا أن نصدق كلامك عندما تخبرهم أنه ظهر لك؟ وكيف ظهر لك في وقت كنت فيه تملك آراء مخالفة لتعاليمه؟ ولكن إن كنت قد رأيت وعلمت من قبله وأصبحت رسوله لمدة ساعة واحدة وتذيع أقواله وتفسر كلامه وتحب رسله فلا تجادلني أنا الذي صاحبته. لأنك بعكسي مباشرة فأنا صخرة راسية وأساس الكنيسة الذي تصمد أمامه الآن.

ربما رأى بولس صورة ليسوع لكن بطرس كان معه لأشهر ـ لسنة! ـ ولم يكن نائماً ولم يكن يحلم بل كان مستيقظاً ويستمع إلى كل كلمة منه. وقد صرح يسوع نفسه أن بطرس وليس بولس هو «الصخرة» التي ستبنى عليها الكنيسة. وبولس متطفل متأخر تعتمد سلطته على أرضية مريبة تماماً. وإن تعاليم بطرس هي التي ينبغي إتباعها وليس تعاليم بولس.

وسواء كانت هذه هي نظرة بطرس التاريخي أم لم تكن فهذا شيء ربما لن نعرفه أبداً. ولكنها بالتأكيد نظرة بطرس الواضحة في الكتابات المزورة المعروفة باسم كتابات باسم كليمنت.

رسالة جيمس (يعقوب):

نجد في العهد الجديد نفسه كتاباً يبدو أنه يهاجم تعاليم بولس أو على الأقل ترجمة سيئة لاحقة لتعاليم بولس. يزعم في هذه الرسالة أنها كتبت من قبل شخص اسمه يعقوب (جيمس) وفي الكنيسة القديمة كان هناك اعتقاد منتشر على نطاق واسع بأن يعقوب هذا كان أخا يسوع.

كان يعقوب معروفاً على امتداد تاريخ الكنيسة القديمة بأنه كان ملتزماً بشدة بجذوره وميراثه اليهودي حتى وهو تابع ليسوع (5). ووفقاً للعهد الجديد لم يكن واحداً من حواريي يسوع أثناء فترة حياته (انظر إنجيل يوحنا، إصحاح 7: 5)، ولكنه كان أحد أوائل الذين رأوا يسوع الذي قام من بين الأموات بعد صلبه. (الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، إصحاح 15: 7) وربما لهذا السبب بدأ يؤمن به. ولاشك أن علاقته الأسرية رفعته إلى مركز السلطة في الكنيسة.

بولس الرسول الذي عرف يعقوب شخصياً (انظر غلاطية 1: 19) يشير إلى أنه كان ملتزماً بمراعاة التشريع اليهودي ويبدو أنه كان يصر على أن أتباع يسوع اليهود الآخرين عليهم فعل ذلك أيضاً (إصحاح 2: 12). وكان مشهوراً بتقواه الشديد فإن واحداً من المصادر القديمة يشير إلى أنه كان يصلي أحياناً كثيرة ولفترات طويلة حتى أن ركبتيه أصبحتا قاسيتين كركبتي الجمل.

وإن أفضل السجلات التاريخية تشير إلى أنه توفي حوالي عام 62 ميلادية بعد ثلاثين سنة من ترأسه لكنيسة القدس.

كان اسم يعقوب شائعاً جداً بين اليهود في فلسطين في القرن الأول الميلادي وبين المسيحيين كذلك. وهناك عدد من الناس يحملون اسم يعقوب في العهد الجديد. يشير إنجيل متى في الإصحاح العاشر (3 ـ 4) إلى أن اثنين من تلاميذ يسوع الاثني عشر كانا بهذا الاسم، وللتفريق بينهما كان يضاف لاسم كل منهما شيء يشير لهويتهما مثل «يعقوب ابن زبيدي» أو «يعقوب ابن الفيوس». ولكن مؤلف رسالة يعقوب لا يعرف نفسه بأكثر من كلمة يعقوب موحياً بأن قراءه المتظرين سيعرفون أي يعقوب هو. ويبدو إذن أن هناك قليلاً من الشك أنه كان يدعي أنه أشهر يعقوب بين الجميع أي أخو يسوع.

وهذه الفكرة يدعمها حقيقة أنه يكتب رسالته إلى «القبائل الاثني عشر في الشتات» إشارة إلى قبائل إسرائيل الاثني عشر التي تفرقت في أنحاء العالم الروماني. يعقوب رئيس المسيحيين اليهود يكتب إلى المسيحيين اليهود المشتتين.

تحتوي الرسالة عدداً من المواعظ الأخلاقية التي تحض القراء على أن يعيشوا بطرق تليق بأتباع يسوع. فعليهم أن يؤمنوا ولا يشكوا وأن يتحملوا الفتن وأن يكونوا بطيئي الغضب وأن ينتبهوا لألسنتهم ويضبطوا شهواتهم وألا يظهروا تحيزاً ولا غيرة ولا طمعاً ولا سعياً للثروة أو إظهاراً للمحاباة مع الأغنياء وما شابه ذلك. ويبدو أن كثيراً من هذه المواعظ تعكس تعاليم يسوع نفسه مثل ما نجده في الموعظة على الجبل (إنجيل متى 5 ـ 7).

ولكن يهتم المؤلف خصوصاً بقضية واحدة وهي قضية تعكس نقطة الخلاف مع مسيحيين آخرين. فبعض المسيحيين يقولون بشكل واضح أنه لكي تكون صالحاً

عند الله فكل ما يلزمك هو الإيمان: وبالنسبة لهم فعل «أعمال صالحة» لا علاقة له بالخلاص طالما أنك مؤمن. ويعقوب يعتقد أن هذا خطأ تماماً وأنك إذا كنت لا تعمل الأعمال الصالحة فمن الواضح أنك لا تمتلك الإيمان. وهو يقول:

ماذا ينفع الإنسان، يا إخوتي، أن يدعي الإيمان من غير أعمال؟ أيقدر هذا الإيمان أن يخلصه؟ فلو كان فيكم أخ عريان أو أخت عريانة لا قوت لهما فماذا ينفع قولكم لهما: «اذهبا بسلام! استدفئا واشبعا»، إذا كنتم لا تعطونهما شيئاً مما يحتاج إليه الجسد؟ وكذلك الإيمان فهو بغير الأعمال يكون في حد ذاته ميتاً. (إصحاح 2: 14 ـ 17).

ويستمر المؤلف في القول بأن امتلاك الإيمان منفصلاً عن الأعمال لا يمكن أن يجلب الخلاص وهو في الحقيقة لا قيمة له. وهذا واضح فوق كل شيء بمثال إبراهيم أبو اليهود الذي نجا بما عمله وليس فقط بما كان يعتقده:

لكن أحدهم سيقول: «أنت لديك إيمان وأنا عندي أعمال» أرني إيمانك بدون أعمال وأنا سأريك إيماني بأعمالي. أنت تؤمن أن الله واحد؟ حسناً تفعل: حتى الشياطين تؤمن به وترتعد. أتريد أن تعرف أيها الجاهل كيف يكون الإيمان عقيماً من غير أعمال؟ انظر إلى أبينا إبراهيم أما برره الله بالأعمال حين قدم ابنه اسحق* على المذبح؟ فأنت ترى أن إيمانه رافق أعماله فصار إيمانه كاملاً بالأعمال. فتم قول الكتاب: «آمن إبراهيم بالله فبرره الله لإيمانه ودعي خليل الله». ترون إذاً أن الإنسان يتبرر بالأعمال لا بإيمانه وحده. (إصحاح 2: 18 ـ 24).

لدينا هنا إذن ذم شديد موجه ضد أي شخص يدعي أن الإيمان وحده يمكن أن يضع الإنسان في موقع صحيح أمام الله (وفي كلام يعقوب يمكن أن «يبرر» الإنسان). ودليله هو إبراهيم (النبي) والنص المقدس الذي يقتبسه تأييداً لذلك هو سفر التكوين إصحاح 15: 6 «فآمن إبراهيم بالله فحسبه له براً».

وأحد الأسباب أن هذا المقطع مهم جداً هو أنه يبدو تقريباً كمحاكاة ساخرة لشيء كتبه بولس نفسه سابقاً في رسالته إلى أهل غلاطية عندما كان يحاول إقناع قرائه غير اليهود أنه لا يتوجب عليهم القيام بالأعمال المطلوبة في الشريعة لكي يتبرروا (يكونوا أبراراً) عند الله، لكن ذلك الإيمان بالمسيح وحده كان كل ما يطلب منهم. والشيء الأكثر غرابة هو أن بولس يحاول أن يظهر هذه القضية بالإشارة

بالتحديد إلى إبراهيم وبالاقتباس من سفر التكوين إصحاح 15: 6. وهذا هو ما كتبه بولس:

لكننا نعرف أن الله لا يبرر الإنسان لأنه يعمل بأحكام الشريعة، بل لأنه يؤمن بيسوع المسيح ولذلك آمنا بالمسيح يسوع ليبررنا الإيمان بالمسيح لا العمل بأحكام الشريعة... هكذا آمن إبراهيم بالله فبرره الله لإيمانه. إذاً فأهل الإيمان هم أبناء إبراهيم الحقيقيون. (غلاطية، إصحاح 2: 16 وإصحاح 3: 6 ـ 7).

لعدة قرون ظل علماء العهد الجديد يقولون إن رسالة يعقوب تجيب على تعاليم غلاطية. علم بولس أن الإيمان بالمسيح هو الذي وضع الناس في علاقة صحيحة مع الله بشكل منفصل عن قيامهم بتنفيذ أحكام الشريعة أو عدم قيامهم به. أصر يعقوب على أن الأعمال مطلوبة وأن الإيمان وحده لا يمكن أن يجلب التبرير. يستخدم المؤلفان نفس اللغة (مثل «يبرر» و «إيمان» و «أعمال») ويرجعان إلى شخصية إبراهيم في العهد القديم وكلاهما يوردان نفس العبارات من سفر التكوين (إصحاح 15: 6). ومنذ أيام مارتن لوثر في بداية حركة الإصلاح أصر بعض المفسرين على أن يعقوب يناقض بولس. وكان استنتاج لوثر أن يعقوب قد فهم ذلك بشكل خاطئ تماماً.

لكن علماء أكثر حداثة وضعوا قراءة (وفهم) يعقوب موضع مناقشة. ولحد كبير كان ذلك لأن يعقوب من الواضح أنه يعني شيئاً مختلفاً بنفس الكلمات رغم أن الرسالة تستخدم نفس كلمات بولس. فعندما يستخدم بولس كلمة «إيمان» كما رأينا في سياق سابق فهو يعني به شيئاً ذا صلة: الإيمان بالمسيح يعني الوثوق بأن موت المسيح وقيامته يمكن أن يعيد الإنسان إلى موقف صالح أمام الله. وبالنسبة لبولس فإن هذا يأتي «منفصلاً عن أعمال الشريعة» بمعنى أن الإنسان ليس عليه أن ينفذ الأعمال المفروضة في الشريعة اليهودية لكي يصدق المسيح.

وليس على المرء أن يحافظ على أحكام السبت ولا أن يتناول الطعام وفق التشريع اليهودي ولا أن يختتن إن كان ذكراً... وهلم جرا.

لكن يعقوب يقصد شيئاً آخر بكل من كلمتي «إيمان» و «عمل». بالنسبة له الإيمان ليس له معنى ارتباطاً بـ «تصديق شخص ما». إنه يشير إلى موافقة ذهنية على

مسألة: «حتى الشياطين تؤمن (أن الله واحد) وهم يرتعدون» (إصحاح 2: 19). أي أنه رغم أن الشياطين تعلم أن هناك إلهاً حقيقياً واحداً لكن ذلك لا يفيدها بشيء. وهذا بالتأكيد لا يعني أن الشياطين تصدق الله: إنهم ببساطة لديهم معرفة فكرية بوجوده. إن الإيمان ـ الموافقة الفكرية على فكرة الدين المسيحي ـ لن ينقذ أحداً حسب رأي يعقوب. ولكن هل سيوافق بولس على ذلك؟ على الأرجح لا.

والمدهش أكثر هو أن يعقوب عندما يتكلم عن «أعمال» فهو لا يشير إلى أفعال مطلوب عملها بحسب الشرع اليهودي: مثل مراعاة السبت ومتطلبات الغذاء اليهودي وما شابه ذلك. ومن الواضح أنه يتحدث عن أعمال صالحة كإطعام الجياع وإكساء العريانين (وهما المثالان الذين قدمهما) وما شابه ذلك.

إن التصديق الفكري للمسيحية بالنسبة ليعقوب لا يظهر في كيفية أن يعيش المرء بلا فائدة فهذا لا يمكن أن ينقذ نفساً.

وهكذا فإن رسالة يعقوب تبدو معارضة لبولس، لكنها لا تعارضه حقاً. ماذا يمكن أن يفهم المرء من هذا؟ في الواقع ليس من الصعب كثيراً أن نرى ما حدث تاريخياً. لقد رأينا في الفصل الثالث أنه كان هناك مؤلفون لاحقون مثل مؤلف الرسالة إلى أفسس الذي زعم أنه بولس لكنه حول تعليمه أن أعمال التشريع اليهودي لا يمكن أن تجلب الخلاص إلى تعليم آخر يقول: «الأعمال الصالحة» لا يمكن أن تنقذ (انظر الرسالة إلى أفسس، إصحاح 2: 8 ـ 9، وانظر أيضاً الرسالة إلى تيطس، إصحاح 3: 5). بالنسبة لكاتب مجهول الاسم كتب الرسالة إلى أفسس لا تساهم الأعمال الصالحة في جعل المرء باراً عند الله. ولذلك فيعقوب لا يرد على ما قاله بولس بل على سوء فهم المسيحيين لما قاله بولس.

المسيحيون المتأخرون عن بولس فهموا مناقشات بولس بأن الإيمان وليس الأعمال هو ما يبرر الإنسان، فهموها على أنها تقصد بأنه لا يهم ما تفعله أو كيف تعيش. والمهم فقط هو ما تعتقده. إن تعليم بولس حول «أعمال الشريعة» فهم على أنه مبدأ عام حول «الأعمال الصالحة». وتعليم بولس حول «التصديق بالمسيح» أو «الثقة بالمسيح» تحول إلى تعليم حول «ما يجب أن تؤمن به» فبالنسبة لهؤلاء المسيحيين المتأخرين إذن ما يهم هو اعتقادك وليس حياتك. لقد ظنوا أن هذا التعليم جاء من

بولس ولذلك هم أيضاً لجئوا إلى إبراهيم والد جميع المؤمنين وإلى سفر التكوين الإصحاح 15: 6 الذي أشار إلى أن إبراهيم كان مبرراً عند الله ليس بأعماله. رد يعقوب مخالفاً بأن ناقش بعكس ذلك قائلاً: لا تستطيع أن تمتلك إيماناً صحيحاً دون أن ينعكس على كيفية عيشك لحياتك، «الإيمان دون عمل يكون ميتاً».

كانت هذه إذن مناقشة أخرى حول تعاليم بولس كما صاروا يفهمونها في كنائسه بعد حياته. ويعقوب لا يسمي بولس صراحة ولكن من الواضح جداً أن تعاليمه هي ما كان في ذهنه، على الأقل كما كانت تفسر في حياته. ولكن هل كان هو يعقوب حقاً أم كان شخصاً آخر يدعي أنه يعقوب؟

هناك أسباب مقنعة للاعتقاد بأن هذه الرسالة لم يكتبها يعقوب أخو يسوع ولكنها زورت باسمه. أولاً لأن الفكرة المرفوضة لابد أنها نشأت في وقت متأخر عن كتابات بولس. أي أنها تطور لاحق للتفكير وفق بولس في مجتمع متعلق ببولس في وقت متأخر عنه. والفكرة حقاً مشابهة للتعاليم الموجودة في الرسالة إلى أهل أفسس والتي كتبت بعد حياة بولس باسمه. ولكنها تمضي أبعد مما جاء في رسالة أفسس لأن مؤلف رسالة أفسس ما كان أبداً ليقول إنه لا يهتم كيف تعيش طالما أنك تمتلك الإيمان. في الحقيقة إنها تقول عكس ذلك تماماً (انظر أفسس، إصحاح 2: 10) وأياً كان الذي يكتب رسالة يعقوب فهو يفترض مسبقاً حالة لاحقة موجودة بين كنائس بولس. ولكن بما أن يعقوب التاريخي ربما استشهد في عام 62م قبل ما يقرب من عقدين من كتابة الرسالة إلى أفسس فإن الرسالة لا يمكن أن تكون قد كتبت من قبله.

إضافة لذلك فإن الشيء الذي تعرفه حق المعرفة عن يعقوب المقدسي هو أنه كان يهمه أن يستمر أتباع يسوع من اليهود بالحفاظ على مطالب الشريعة اليهودية. لكن هذا الاهتمام مفقود تماماً بشكل ملحوظ في هذه الرسالة. هذا المؤلف الذي يدعي أنه يعقوب يهمه أن يقوم الناس بفعل «أعمال صالحة» وهو غير مهتم مطلقاً بالحفاظ على تعاليم الغذاء اليهودية ولا مراعاة أحكام السبت والاحتفالات اليهودية ولا الختان. إن اهتماماته هي ليست نفسها اهتمامات يعقوب المقدسي.

مع ذلك فإن النقطة الحاسمة هي شيء رأيناه من قبل فيما يتعلق بكل من بطرس ويهوذا. لقد كتب هذا الكاتب مؤلفاً فصيحاً جداً ومؤثراً من الناحية

البلاغية وباللغة اليونانية. وهو على معرفة وثيقة بالنسخة اليونانية من العهد القديم. ومن ناحية أخرى فقد كان يعقوب التاريخي (الحقيقي) فلاحاً ناطقاً باللغة الآرامية من منطقة الجليل والذي يكاد يكون من المؤكد أنه لم يتعلم القراءة أبداً. أو أنه إن تعلم القراءة فقد كانت ليقرأ اللغة العبرية. ولو أنه تعلم اليونانية أصلاً فقد كانت لغة ثانية لاشك لكي يتحدث بها بدون طلاقة.

وما كان له أبداً أن يذهب إلى مدرسة، وما كان له ليصبح متمكناً من اللغة اليونانية. ما كان له أبداً أن يتعلم الكتابة حتى في لغته الأصلية فضلاً عن التكلم بلغة ثانية. ما كان له أن يدرس العهد القديم باللغة اليونانية. ما كان له أن يأخذ دروساً في التأليف باللغة اليونانية. ما كان له أن يصبح ماهراً في فن البلاغة اليونانية.

فهذه الرسالة لم تكتب من قبل يهودي غير متعلم ناطق باللغة الآرامية. وأياً كان كاتبها فقد ادعى أنه يعقوب لأن ذلك سيجعله يحقق هدفه بأفضل سبيل: وهو أن يؤكد أن أتباع يسوع ينبغي أن يظهروا إيمانهم في طريقة حياتهم بفعل الخير الذي يعبر عن إيمانهم لأنه بدون عمل يكون الإيمان ميتاً.

كتابات مزورة مؤيدة لبولس:

كما أنه وجد مزورون أرادوا أن يؤكدوا أن بولس كان على خلاف مع التلميذين المقدسين بطرس ويعقوب، وأن بولس لذلك أساء تفسير الرسالة المسيحية، فقد كان هناك آخرون أيدوا بولس وأرادوا أن يقولوا إنه كان في انسجام تام مع تعاليم بطرس ويعقوب وأن الثلاثة جميعاً لذلك كانوا إلى جانب الحقيقة. هذه على الأقل إحدى النقاط الشاملة لاثنتين من الرسائل التي كره العلماء أن يصفوها بالتزوير رغم أن هذا هو الظاهر ـ وهي أعمال الرسل الموجودة في العهد الجديد.

رسالة بطرس الأولى:

لقد شاهدنا عدداً من الأسباب للاعتقاد بأن أياً كان الذي كتب رسالة بطرس الأولى فهو لم يكن بطرس حقاً. ولكن هناك أسباب إضافية اثنان منها يتعلق بقولي هنا أن الرسالة كتبت لتبين أن بطرس وبولس كانا متحابين تماماً. يتعلق السبب الأول بجمهور الرسالة وأول ما نعرفه عن أنشطة بطرس الحقيقي (التاريخي) هي أنه ذهب إلى اليهود ليجعلهم يؤمنوا بالمسيح وعندما التقى بولس

مع «رسل القدس» (بطرس ويعقوب ويوحنا) اتفقوا على أنه كما كان بطرس مسؤولاً عن المهمة إلى اليهود فإن بولس سيذهب إلى غير اليهود (غلاطية، إصحاح 2: 6 ـ 9) والمدهش حول رسالة بطرس الأولى هي أنها مكتوبة إلى غير اليهود وليس لليهود (إصحاح 2: 10 وإصحاح 4: 3 ـ 4). لكن تلك منطقة بولس وليست منطقة بطرس. وزيادة على ذلك فإن المقصد الجغرافي للرسالة تابع لبولس.

الرسالة موجهة إلى المسيحيين الذين يعيشون في خمسة مناطق من آسيا الصغرى وهو مكان أنشأ فيه بولس كنائسه ولا شيء يربط بطرس التاريخي بهذه الأماكن.

ملامح هذه الرسالة تبدو أقل غرابة عندما ينظر إليها في السياق الكامل لما تحاول هذه الرسالة أن تنجزه. فهي لا تقدم فقط الطمأنينة لأولئك الذين يعانون من أجل إيمانهم، ويفعلها ذاك تحاول أن تجعل بطرس يبدو مثل بولس المبشر لغير اليهود في آسيا الصغرى. لماذا قد تريد فعل ذلك؟ بالتأكيد لأسباب قد رأيناها من قبل وهي أنه وجد مسيحيون آخرون كانوا يقولون، حتى في كنائس آسيا الصغرى، أن بطرس وبولس مختلفان مع بعضهما وأنهما يمثلان فهمين مختلفين للإنجيل. وليس لمؤلف رسالة بطرس الأولى، إنه يكتب رسالة باسم بطرس تبدو مشابهة تماماً لرسالة بولس.

الشخصان اللذان ساهما المؤلف في الرسالة وهما سيلفانوس ومرقس (إصحاح 5: 12 ـ 13) هما من ناحية أخرى معروفان كصاحبين لبولس (انظر مثلاً الرسالة الأولى إلى تيطس، إصحاح 1: 1 والرسالة إلى فيلمون، إصحاح 24) وإن استخدام النص المقدس في الرسالة شبيه جداً بالطريقة التي يستخدم فيها بولس نصاً مقدساً: يوشع، إصحاح 2: 25 تم اقتباسه في الإصحاح 2: 10 مثلاً ليبين أن غير اليهود هم الآن شعب الله تماماً كما يستخدم بولس العبارة نفسها في الرسالة إلى روما إصحاح 9: 25.

وتبدو النصائح الأخلاقية في الرسالة مشابهة لنصائح بولس. فعلى سبيل المثال على المسيحيين أن يكونوا «خاضعين لكل سلطة بشرية» كما في رسالة بطرس إلى روما إصحاح 13: 1 ـ 7. والأكثر أهمية هو أن الفكر اللاهوتي المؤيد في الرسالة هو فكر بولس. وكما نجد في أمثلة متفرقة يمكن أن يتم مضاعفتها مرات كثيرة، فإن الإيمان هو الذي يؤدي إلى الخلاص (انظر إصحاح 1: 9)؛ وإن نهاية كل الأشياء

قريبة جداً (إصحاح 4: 7) وموت المسيح يجلب الخلاص من الخطايا (إصحاح 2: 24 وإصحاح 3: 18).

قد تبدو هذه الأقوال كلها كأمور بإمكان كل مسيحي أن يقولها ولكنك عندما تنظر إلى الاختيار الفعلي للكلمات في هذه المقاطع فسوف تتأثر كثيراً في بعض الأحيان لتقول إن هذا لم يأت مباشرة من بولس: «هو نفسه تحمل خطايانا في جسده على الخشبة حتى نموت عن الخطيئة فنحيا للحق» (إصحاح 2: 24).

«فالمسيح مات مرة واحدة من أجل الخطايا، مات وهو البار من أجل الأشرار، ليقربنا إلى الله» (إصحاح 3: 18).

ليس من المقنع أن تعد جدلاً مخالفاً بقولك إن هذه الرسالة تحتوي بعض الفروقات عن رسائل بولس الشخصية أيضاً. من الممكن أن نقول ذلك حول رسائل بولس كلها التي لا خلاف عليها، فكل منها لديها أشياء مختلفة تقولها. ويبدو أن الفكرة التي زورتها هذه الرسالة باسم بطرس هي لتخرج من طريقها وتحتضن أفكاراً قد تمت الموافقة عليها لصالح بولس. لدينا هنا مزور يريد أن يؤكد على أن الرسولين الكبيرين للكنيسة كانا متفقين كلياً في فهمهما للإنجيل خلافاً لمسيحيين آخرين قالوا بأنهما كانا متناقضين أحدهما مع الآخر.

رسالة بطرس الثانية:

يمكن أن يقال شيء مماثل حول رسالة بطرس رقم 2. وفي هذه الحالة يمضي المؤلف أبعد من الأول في طريقه ليؤكد أنه بطرس لأنه لا يسمي نفسه فقط «سمعان بطرس» في الإصحاح 1: 1 ولكنه يؤكد أنه كان شخصياً موجوداً مع يسوع على الجبل عند التجلي: «بعيوننا راعينا عظمته... لأننا كنا معه على الجبل المقدس» (إصحاح 1: 16 ـ 19)[1].

هذا حقاً هو بطرس! وهو حقاً يحب بولس! في الواقع أكثر من أنه يحب بولس ـ فهو يعتقد أن رسائل بولس هي كتابات مقدسة. وكما رأينا فإن رسالة بطرس الثانية تؤكد أنه بالرغم من أن زمناً طويلاً قد مضى منذ أن أعلن يسوع أن نهاية العالم ستكون «قريبة» فإن كل شيء في الواقع يمضي وفقاً لما هو مقدر و (قريباً)

(1) جاء في النص الإنكليزي من الكتاب (إصحاح 2: 8) ويجب أن يكون 3: 8. (المترجم)

في تقدير الله ليس كما هو عندنا لأنه «عند الله هناك يوم كألف سنة وألف سنة كيوم واحد» (إصحاح 3 : 8)[7] في الواقع أجل الله زمن النهاية لكي يعطي مزيداً من الوقت لينجو المزيد من الناس: «انظروا إلى حِلم ربنا على أنه نجاة» ويزعم المؤلف أن هذا تعلمناه من «أخينا الحبيب بولس» الذي قيل لنا إنه «كتب لكم حسب الحكمة التي منحت له متحدثاً حول هذه الأشياء في كل رسائله والتي وردت فيها أمور غامضة يحرفها الجهال وضعفاء النفوس كما يفعلون في سائر الكتب المقدسة» (إصحاح 3: 15 ـ 16).

توجد هنا عدة نقاط هامة هنا. بولس هو «أخو بطرس المحبوب» وهما متفقان على كل الأمور الأساسية.

ومسيحيون آخرون قد فسروا بشكل خاطئ «حرفوا» رسائل بولس. وهم يفعلون ذلك أيضاً مع النصوص المقدسة «الأخرى». وهذا يعني في جملة أشياء أخرى أن «بطرس» يعتبر رسائل بولس كتابات مقدسة. بالنسبة لهذا المؤلف. إذن إذا فسر أحد رسائل بولس ليقصد أنه وبطرس يختلفان فقد أساء فهم الرسائل تماماً. إن رسائل بولس تقول الحقيقة وبطرس يوافق عليها.

إلا طبعاً إذا لم يكن الشخص الذي كتب هذه الرسالة هو بطرس حقاً، ولكنه شخص لاحق يدعي أنه بطرس. وأحد الأهداف النهائية لهذا الكاتب المجهول واضح تماماً: فهو يود كثيراً من قرائه أن يعتقدوا أن الرسول إلى اليهود والرسول إلى غير اليهود ليس بينهما اختلاف في الرأي.

أعمال الرسل:

إن أعمال الرسل هي أقدم رواية نملكها عن انتشار المسيحية في السنوات التي جاءت مباشرة بعد موت يسوع. وهي رواية تاريخية تحاول أن تشرح كيف انتقلت المسيحية جغرافياً من بداياتها في مدينة القدس عبر اليهودية إلى السامرة وبعد ذلك إلى أجزاء أخرى من الإمبراطورية الرومانية حتى وصلت أخيراً إلى مدينة روما ذاتها. ولكن الأعمال لا تهتم فقط بالانتشار الجغرافي بل تهتم مع ما يمكنك تسميته

(7) في الأصل باللغة الإنكليزية جاء إصحاح 2 وهذا خطأ بل هو إصحاح 1. (المترجم)

بانتشارها الاثني «العرقي» والمؤلف يهتم كثيراً بمسألة كيف أصبح الدين اليهودي، دين عيسى وأتباعه، ديناً اعتنقه غير اليهود من الأمم.

فإذا سلمنا باهتمام المؤلف بتحول الوثنيين السابقين إلى الدين الجديد فلا عجب أن يكون البطل الأول للقصة هو بولس المعروف في الكنيسة القديمة بأنه الرسول إلى غير اليهود بلا منازع. لكن في هذه المرويات لا يبدأ بولس حياته كتابع للمسيح. بل على العكس تماماً، فعندما بدأت الكنيسة المسيحية الناشئة تنمو شيئاً فشيئاً في شهورها الأولى من خلال تبشير رسل ملهمين مثل بطرس الذي هو الشخصية الرئيسية للفصول الاثني عشر الأولى من كتاب الأعمال وهي تستجلب كراهية اليهود الذين يرفضون التحول للدين الجديد ويرونه ديناً خطيراً وكفرياً. وبالتالي فإن العدو الرئيسي للدين الجديد هو شاؤل من طرسوس وهو يهودي متعمق في الدين يكلف بالقبض على أي شخص يعلن عن إيمانه بالمسيح ويسجنه.

ولكن بعد ذلك في واحد من أكبر التحولات في تاريخ المسيحية القديمة - ويمكننا القول في التاريخ عموماً - يصبح أكبر مضطهد للدين المسيحي أقوى المبشرين الداعين له.

في الطريق لاضطهاد المسيحيين في مدينة دمشق يرى بولس يسوع الذي بعث من الموت ويؤمن بأن الدين الذي قاومه من قبل هو دين حقيقي (الأعمال، إصحاح 9). وبعد اجتماعه بأولئك الذين كانوا رسلاً قبله - مثل بطرس وآخرين - يكرس بولس نفسه بحماس شديد لنشر العقيدة الجديدة كما كرس نفسه سابقاً لمقاومتها. ويسافر بولس في أنحاء مناطق البحر المتوسط في آسيا الصغرى ومكدونيا وأكايا (حالياً تركيا واليونان) زائراً المناطق المتمدنة الرئيسية وهو يعلم الإنجيل ويدخل غير اليهود بشكل رئيسي في الدين ويؤسس الكنائس.

ولكن في أوائل عمله التبشيري تنشأ نقطة خلاف كبير بين زعماء الكنيسة. ألا يجب على غير اليهود الذين يأتون للإيمان بيسوع أن يؤمنوا بالدين اليهودي إذا كانوا سيصبحون أتباعاً للمخلص اليهودي (المسيح)؟ ألا يجب عليهم الختان والحفاظ على الشرع اليهودي؟ يعتقد بعض القادة المسيحيين أن الجواب هو: نعم ويعتقد آخرون أن الجواب هو: لا. في هذه الرواية بطرس نفسه يعتقد بقوة أن الجواب هو

لا. والسبب إلى حد كبير أنه حتى قبل رحلات بولس التبشيرية أوحى الله لبطرس شخصياً في إحدى الرؤى أن غير اليهود يجب قبولهم في الدين دون أن يصبحوا يهوداً (الأعمال، إصحاح 10 ـ 11) وبطرس في الواقع هو أول من حول غير اليهود إلى المسيحية.

وهكذا عندما يدعى المؤتمر الكنسي ليقرر المسألة الموجودة في أعمال الرسل إصحاح 15 وهي في منتصف الرواية، هناك بعضهم كانوا في الخارج وهم متكلمون أسماؤهم غير مذكورة يؤيدون فكرة أن المؤمنين غير اليهود يجب أن يطلب منهم مراعاة الشريعة لكن المؤيدين الرئيسيين للفكرة المعاكسة ـ وليس بولس وحده بل يضاف إليهم بطرس ويعقوب رئيس كنيسة القدس ـ هم في الطرف الآخر ويقفون مساندين لفكرة أن خلاص المسيح تعدى إلى غير اليهود الذين لا ينبغي عليهم قبول الشريعة اليهودية لكي يكونوا من الناجين.

وإن بولس الذي حصل على سلطته بقرار موحد يعود إلى ميدان التبشير ويؤسس المزيد من الكنائس قبل أن يدخل في مشكلة مع السلطات اليهودية أثناء إحدى الزيارات إلى القدس. ومعظم الثلث الأخير من كتاب أعمال الرسل يعالج موضوع سجن بولس والمحاكمات عندما يحاول الدفاع عن نفسه مصراً على أنه لم يفعل أي شيء مخالف للشريعة اليهودية. وبدلاً من ذلك فقد كان دائماً يدعم الشريعة في تبشيره أن يسوع نفسه هو المخلص اليهودي الذي قام من بين الأموات (رغم أنه يعتقد أن غير اليهود ليسوا مطالبين بمراعاة الشريعة). وأخيراً يتوسل بولس ليعرض قضيته أمام الإمبراطور الروماني لأن من حقه أن يفعل ذلك كمواطن روماني. وينتهي الكتاب برحلته إلى روما وبالإقامة الجبرية في منزله هناك حيث يصور وهو يبشر داعياً كل الذين يسمعونه في أثناء انتظاره للمحاكمة.

وكما يجب أن يتضح من هذه الخلاصة فإن واحداً من المواضيع الطاغية في كتاب أعمال الرسل هو أن بطرس بطل الثلث الأول من الكتاب وبولس بطل باقي الكتاب كانا منسجمين تماماً في كل مجال. لقد اتفقا على القضية العملية وهي إن كان ينبغي على غير اليهود الالتزام بالشرع اليهودي؛ واتفقا على الحاجة إلى التبشير وطريقته في صفوف غير اليهود. واتفقا على كل قضية لاهوتية إلى هذا الحد يتوافق

الكتاب بشكل جميل جداً مع الكتابين الآخرين في العهد الجديد اللذين ناقشناهما من قبل وهما رسالة بطرس الأولى والثانية، وهو مخالف لعدد من الكتب من خارج العهد الجديد كـ (رسالة بطرس) و (المواعظ المنسوبة إلى كليمنت باسم مستعار). وبإمكان المرء أيضاً أن يقول إن الرسالة تتعارض مع ما قاله بولس نفسه في الرسالة إلى غلاطية حيث لم يعامل بطرس بطريقة ودية.

وكما يتبين لنا فهناك كثير من الاختلافات بين ما يقوله كتاب أعمال الرسل حول بولس وما يقوله بولس حول نفسه في رسائله. ولن أدخل في كل التفاصيل المثيرة هنا لأنها بحثت في أماكن أخرى يمكن الوصول إليها بسهولة (6). وفقط بالنسبة لرسالة بولس إلى غلاطية بإمكاني مع ذلك أن أشير إلى أنه بينما نجد أعمال الرسل واضح فيها أن بطرس أدرك ـ حتى قبل بولس ـ أنه كان شيئاً جيداً وحقاً أن يشترك في الطعام مع غير اليهود الذين لا يلتزمون بالنظام الغذائي اليهودي وفي الرسالة الثانية إلى غلاطية نجد أن هذا بالضبط ما يرفض بطرس فعله عندما وصل «إخوة» يهود إلى المدينة.

وبإمكان المرء أن يقول أن بولس كان محقاً وأن بطرس كان ببساطة يتصرف بنفاق. لكن ليس هناك شيء في الرسائل إلى غلاطية ليشير إلى أن بطرس فعلاً نظر إلى الأمر بهذه الطريقة أو أنه ظن بولس كان محقاً حول المسألة.

إن بطرس التاريخي ربما كان قد اعتقد أن مشاركة الطعام مع غير اليهود عندما جاء اليهود كان خطأ. فإن كان الأمر كذلك فإن بطرس التاريخي فكر بطريقة مختلفة عن الطريقة التي فكر بها بطرس المذكور في كتاب أعمال الرسل.

هناك فروق أخرى بين ما نجده في أعمال الرسل والرسالة إلى غلاطية والتي يصعب التوفيق بينها. وهنا سأذكر أمرين فقط. في غلاطية يحاول بولس أن يقنع قراءه من غير اليهود أنه من الخطأ الفاحش أن يختتنوا ويلتزموا بالشرع اليهودي. وهو يريد أن يؤكد أن فهمه لهذه المسألة جاءه مباشرة من الله في الرؤيا التي رأى فيها المسيح والتي حولته إلى تابع له. وهو بالتأكيد الشديد لم يحصل على رسالته من أولئك الذين كانوا رسلاً قبله بطرس ويعقوب والآخرين. وهو يؤكد أنه في الحقيقة وبعد رؤيته للمسيح التي حولته لم يذهب إلى القدس ليتحدث مع الرسل. لقد

ذهب إلى الجزيرة العربية ثم عاد إلى دمشق ولم يذهب إلى القدس لمدة ثلاث سنوات أخرى. (انظر غلاطية، الإصحاح 1: 15 ـ 19).

وهذا يجعل قصة تحول بولس في كتاب الأعمال ممتعة جداً. فهنا نقرأ أن بولس أصيب بالعمى بسبب رؤيته ليسوع في الطريق إلى دمشق وبعد ذلك يدخل المدينة ويستعيد بصره. وماذا كان أول شيء فعله بعدما غادر دمشق؟ إنه يقوم برحلة سريعة مباشرة إلى القدس ليجتمع بالرسل (أعمال: إصحاح 9: 1 ـ 26) إذن أيهما الصح؟ هل بقي بعيداً عن القدس كما يقول بولس نفسه أم أنه ذهب إلى هناك أول الأمر كما يقول كتاب أعمال الرسل؟.

إضافة لهذا من رأى هناك؟ يصر بولس في الرسالة إلى غلاطية الإصحاح 1: 18 ـ 19 أن زيارته التي استغرقت خمسة عشر يوماً رأى فقط شخصين وهما بطرس ويعقوب أخو يسوع. وبولس مصر على هذه النقطة التي يؤكدها بقسمه قائلاً: «ويشهد الله أني لا أكذب في هذا الذي أكتب إليكم!» (غلاطية، إصحاح 1: 19 ـ 20).

وليس واضحاً لماذا يريد أن يؤكد هذه النقطة بشدة. هل هو لأنه لا يريد أن يعتقد أحد أن هذه الرسالة مررت إليه بواسطة رسل يسوع الأصليين والذين لم يلتق بمعظمهم أبداً؟ في أية حالة ما يتضح هو أن الرسالة تتعارض مع أعمال الرسل. فهناك (في الأعمال) عندما يصل بولس إلى القدس مباشرة بعد تحوله يلتقي مع الرسل ويقضي بينهم بعض الوقت ـ ليس فقط مع بطرس ويعقوب بل ظاهراً معهم جميعاً (انظر إصحاح 9: 26 ـ 30).

هذه الاختلافات بين ما تقوله أعمال الرسل حول بولس وما يقوله بولس حول نفسه يمكن أن نجده متكرراً مرات كثيرة وخصوصاً إذا رجعنا إلى الرسائل باسم بولس غير الرسالة إلى غلاطية. وأحد الأسباب التي تجعل الخلافات مهمة هي أن بولس يريد أن ينأى بنفسه عن الرسل ليدعي بأن رسالته جاءت مباشرة من لدن المسيح وليس من أولئك الذين كانوا رسلاً قبله. ومن ناحية أخرى نجد أن كتاب أعمال الرسل يريد أن يؤكد أن بولس تحادث مع الرسل الآخرين قبل أن يبدأ بحمل رسالته إلى ميدان التبشير والدعوة. وبالإضافة لهذا فبالنسبة لبولس لم يعطه الرسل الآخرون رسالة لم يوجهها له المسيح مسبقاً. فإذا كان الآخرون، حتى

بطرس ويعقوب، لم يتفقوا معه فبذلك لا يخالفونه هو بل يخالفون الله الذي تجلى لبولس عن طريق المسيح.

من طرف آخر، بالنسبة للأعمال ليس هناك احتمال اختلاف بين بولس والآخرين. فالله قد أخبرهم جميعاً بالتساوي عن حقيقة الإنجيل وكلهم يبشرون بهذا الإنجيل. إنها الرسالة نفسها والعقيدة نفسها والاستنتاجات العملية نفسها: إنهم جميعاً متفقون تماماً وكلهم على نفس الخط.

السبب الآخر الذي يجعل الاختلافات بين بولس وكتاب الأعمال هاماً هو أن كتاب الأعمال يقال إنه كتب من قبل شخص كان مصاحباً لبولس. ولكن إذا اعتبرنا التناقضات بين رسائل بولس وكتاب الأعمال فذلك يجعل الأمر غير محتمل أبداً. فمؤلف كتاب الأعمال لا يذكر اسمه أبداً وهو إذن يكتب باسم مجهول. لكن تقليد الكنيسة الذي بدأ بعد حوالي قرن من كتابة الكتاب عزاه إلى شخص اسمه لوقا. ولم لوقا؟

إن الاستنتاج معقد نوعاً ما ولكنه يسير بهذا الشكل: أول نقطة مهمة هي أن إنجيل لوقا وكتاب الأعمال كلاهما مجهولا المؤلف وقد كتبا من قبل المؤلف نفسه. وهذا واضح من آرائهما العقائدية المتشابهة ومن المفردات المشتركة ومن أسلوبهما في الكتابة ومثل هذه الدلالات الواضحة كالعبارات الافتتاحية لكلا الكتابين فكلاهما مهدى إلى شخص اسمه ثيوفيلوس. والكتاب الثاني فعلاً يشير إلى أنه الثاني من كتابين مرسلين إلى هذا الشخص. ومن شبه المؤكد إذن أن مؤلف كتاب الأعمال هو مؤلف إنجيل لوقا. والأعمال هي المجلد الثاني من عمل مؤلف من كتابين.

ولكن لم نعتقد أنه كتب من قبل شخص اسمه لوقا؟ ورغم أن إنجيل لوقا لا يعطي إشارات إلى مؤلفه فهناك تلميحات لابد أن تكون مقصودة بالتأكيد في كتاب الأعمال. في أربعة مقاطع من كتاب الأعمال يتوقف المؤلف عن الحديث بصيغة الغائب حول ما كانوا (هم) (بولس ورفاقه) يعملون ويبدأ بالكلام حول ما كنا (نحن) نقوم به (انظر إصحاح 16: 10 ـ 17 وإصحاح 20: 5 ـ 16 وإصحاح 21: 1 ـ 18 وإصحاح 27: 1 و 28: 16). إن هذا شخص يدعي أنه كان مع بولس كرفيق سفر أثناء جولاته التبشيرية، ولكنه لا يذكر من هو (7).

إلا أن القراء عبر القرون اعتقدوا أن هويته يمكن استنتاجها فهذا المؤلف هو شخص مهتم خصوصاً بتبشير غير اليهود في الكنيسة القديمة والذي استثمر بشكل خاص في بيان أن غير اليهود ليس عليهم أن يعتنقوا الدين اليهودي كي يصبحوا مسيحيين.

ومن المعقول أن نستنتج أن هذا الشخص ربما كان هو بذاته غير يهودي. ولذلك فنحن الآن نحدد المسألة قليلاً: فالمؤلف من المفترض أنه شخص غير يهودي يسافر في صحبة بولس. هل نعرف شيئاً عن أشخاص بهذا الوصف؟

في الرسالة إلى كولوسي نعلم عن ثلاثة أشخاص كانوا مرافقين لبولس من غير اليهود وهم: ابافراس (Epaphras) ودياس ولوقا الطبيب (انظر كولوسي، إصحاح 4: 12 ـ 14). ومن هؤلاء الثلاثة يبدو من غير المحتمل أن يكون دياس هو المؤلف لأنه، كما نعلم من مكان آخر، قد «ترك» بولس (انظر تيموثاوس 2، إصحاح 2: 10). ويظهر أن ابافراس كان معروفاً بأنه منشئ الكنيسة في كولوسي (انظر كولوسي، إصحاح 1: 2 ـ 7) وهي كنيسة لم تذكر أبداً في كتاب الأعمال. وذلك سيكون غريباً إذا كان منشؤها هو المؤلف. وبهذا يبقى لدينا مرشح واحد وهو لوقا الطبيب غير اليهودي. وهكذا يكون لدينا الافتراض القديم بأن كتاب الأعمال كتبه لوقا مرافق بولس في رحلاته. وهذا الافتراض موجود مسبقاً لدى ايرينوس الأب الكنسي في أواخر القرن الثاني. لقد كان ايرينوس يكتب بعد قرن من صدور كتاب الأعمال. وهو مع ذلك المؤلف المسيحي الأول الباقي ليعمل مرجعاً مطولاً للكتاب وهو يشير بناءً على معرفته للمقاطع التي ذكر فيها كلمة «نحن» بأن «لوقا لم يكن يفترق عن بولس وكان العامل المشارك له في كتابة الإنجيل كما يثبت ذلك بنفسه بكل وضوح» (8).

وبالرغم من هذه الرواية القديمة فإن مشاكل الاعتراف بلوقا على أنه مؤلف الكتاب شائعة وسائدة. أولاً لأن فكرة أن لوقا كان مرافقاً لبولس في رحلاته نجدها في الرسالة إلى كولوسي وهو كتاب يظهر أنه تم تزويره باسم بولس بعد وفاته. ولكي نتأكد فهناك شخص آخر اسمه لوقا مذكور في رسالة بولس المعتمدة إلى فيلمون (العبارة 24) ولكن لا شيء يقال هناك عن كونه شخصاً غير يهودي. إنه ببساطة مذكور في مجموعة مؤلفة من خمسة أشخاص آخرين. وتبرز مشكلة أكبر في

حقيقة أن هناك تناقضات واختلافات كثيرة بين ما يقوله كتاب الأعمال عن بولس وما يقوله بولس عن نفسه.

وقد ذكرت ثلاثة فقط من هذه التناقضات وهناك المزيد والمزيد منها (9). وإنها تتعلق بكل ناحية من نواحي بولس المعروف تاريخياً. ويختلف فكر بولس اللاهوتي وتبشيره بين ما هو موجود في كتاب الأعمال وفي رسائله، وهناك فروقات أخرى في موقف بولس تجاه الوثنيين وفي علاقته مع الشريعة اليهودية وفي أهدافه التبشيرية وفي ترتيب أعماله وجولاته. هناك تناقضات في كل ناحية تقريباً عندما يكون هناك إمكانية للتدقيق بين ما نقرأه في كتاب الأعمال وبين ما يقوله بولس عن نفسه في رسائله المعتمدة. ولذا فالاستنتاج الحاصل هو أنه من الصعب أن نجتنب القول إن كتاب الأعمال ربما لم يكتبه واحد من الذين رافقوا بولس في رحلاته.

ولكن لماذا إذن يتكلم المؤلف بصيغة المتكلم في أربع مناسبات؟

إن أي شخص قرأ الكتاب حتى الآن لن يجد صعوبة في معرفة السبب. إن المؤلف يقوم بإدعاء حول نفسه وهو لا يسمي نفسه وهو ببساطة يدعي أنه مرافق لبولس في أسفاره ولذلك فهو مؤهل بشكل كبير ليقدم وصفاً «حقيقياً» لرسالة بولس ومهمته التبشيرية. ولكنه وبشكل شبه مؤكد لم يكن مرافقاً لبولس. فمن ناحية كان يكتب بعدما مات بولس ورفاقه بزمن طويل. والعلماء عادة يؤرخون لكتاب الأعمال حوالي عام 85 ميلادي أو قريباً من ذلك أي بعد عقدين من وفاة بولس.

ومن ناحية أخرى يبدو أن المؤلف لديه معرفة قليلة جداً بفكر بولس اللاهوتي ونشاطاته التبشيرية ولا يملك معرفة وثيقة كما ينبغي لشخص صاحب بولس في تلك الرحلات.

وإذا كان المؤلف يدعي أنه شخص معين وهو ليس ذلك الشخص فأي نوع من الكتابة يكتب؟ إن كتاباً من هذا النوع هو تزوير.

ومن الواضح أن إدعاء التأليف في هذه الحالة ليس بمثل الجرأة الموجودة لنقل في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس أو الرسالة الثالثة إلى كولومي التي يقول مؤلفها بشكل مباشر إنه بولس. لكن الإدعاء في كتاب الأعمال هو واضح رغم ذلك: فإن المؤلف يلمح إلى أنه كان مشاركاً وشاهد عيان على مهمة بولس رغم أنه لم يكن كذلك.

ولا ينبغي أن يتم الاعتراض على هذا بأنه لو أراد المؤلف أن يقنع قراءه بأنه كان مرافقاً لبولس لكان أكثر وضوحاً حول هويته أي أنه كان بالضرورة قد سمى نفسه أو أنه كان أكثر تأكيداً على تعريف نفسه كمرافق لبولس في رحلته. هذا النوع من الاعتراض حول ما كان «سيفعله» المؤلف لا يكون مقنعاً أبداً. بالنسبة للقراء المعاصرين أن تقول لمؤلفين قدماء ما كان يجب عليهم فعله لكي يكونوا مقنعين بشكل أكبر هو شيء مضحك قليلاً. لماذا كان على مؤلف كتاب الأعمال أن يفعل شيئاً آخر غير الذي فعله؟ كيف كان من الممكن أن يكون أكثر نجاحاً في خداع قرائه؟ لقد كان ناجحاً في قيامه بذلك بشكل مدهش بالطريقة التي فعلها. لقد قبل القراء منذ ثمانية عشر قرناً وبدون شك أن المؤلف لم يكن شخصاً آخر غير لوقا مرافق بولس في رحلاته. وبإدخال شيء قليل من الضمير الشخصي (ضمير المتكلم) في روايته نجح المؤلف في إنتاج تزوير يستمر في خداع القراء حتى وقتنا الحاضر.

وعلى أية حال فإن سبب التزوير واضح أو على الأقل هو واحد من أسباب كثيرة. يريد هذا المؤلف أن يعتقد قراؤه أنه رفيق بولس ولذلك فهو على معرفة وثيقة ومباشرة بمهمة بولس. وفي هذه الرواية يتفق مع المبشرين الآخرين أمامه ـ وخصوصاً بطرس ويعقوب ـ على كل ناحية ذات أهمية عقائدية وعملية. لقد كانت الكنيسة القديمة في انسجام تام وأساسي، ولم يكن بطرس وبولس متنافرين كما كان مؤلفون آخرون يدعون. هما معاً أعلنا أن الخلاص وصل إلى غير اليهود الذين ليس عليهم أن يكونوا يهوداً حتى يعتبروا مسيحيين.

تزويرات غنوصية ومعادية للغنوصية:

الغنوصية المسيحية المبكرة:

إن أكثر نزاعات القرنين الثاني والثالث حدة وقسوة تتعلق بعدة جماعات مسيحية دعاها العلماء «غنوصية» وقد كانت المسيحية الغنوصية ظاهرة معقدة بشكل مدهش ولكن من أجل أغراضنا في هذا الكتاب يلزمني أن أقدم لمحة رئيسية ملخصة عن الموضوع (10).

كما ذكرت في الفصل الثالث جاء اصطلاح «غنوصي» من الكلمة اليونانية (gnosis) التي تعني «المعرفة». وقد زعمت تشكيلة كبيرة من الجماعات المسيحية

الأولى أن الخلاص لا يأتي من الإيمان بموت وقيامة يسوع بل من الحصول على المعرفة السرية (gnosis) التي قام المسيح بتعليمها. هذه المعرفة كانت في الواقع معرفة ذاتية، معرفة من كنت حقاً في أعماقك ومن أين أتيت وكيف وصلت إلى هنا وكيف تستطيع العودة. زعم الغنوصيون أن بعضاً منا ليسوا مجرد كائنات بشرية من لحم ودم وأن في داخلنا ومضة القدامة التي نشأت في العالم السماوي ولكنها هبطت إلى العالم المادي وأصبحت مسجونة داخل أجسادنا الفانية. وهدف العقائد الغنوصية أن تعلم المعرفة الخفية اللازمة لتحرير هذا العنصر المقدس لكي يستطيع العودة إلى مأواه السماوي.

في الأشكال المسيحية للغنوصية (فلقد وجدت أيضاً أشكال غير مسيحية) يقولون إن المسيح هو الذي يأتي من العالم السماوي فوقنا ليقدم لنا هذه المعرفة الخفية.

لقد وجد عدد كبير من الجماعات الغنوصية التي كان لها أعداد مخيفة من مختلف التعاليم والعقائد. وقد وصف كثير من هذه الجماعات هبوط الومضة المقدسة من خلال حكايا أسطورية معقدة حاولت أن تشرح كيف أتى إلى الوجود كل من العالم السماوي العلوي وهذا العالم المادي الدنيوي. ورغم أن أساطير المجموعات المتعددة اختلفت من واحدة إلى أخرى بشكل ملحوظ فإن كثيراً منها اشتركت في ملامح متشابهة.

في كثير من هذه الأساطير نجد أن نقطة بداية الجميع كانت من كائن مقدس كان روحاً بشكل كامل ولم يكن حوله أي شيء مادي. وقد كون هذا الشيء المقدس كائنات مقدسة أخرى كانت تجليات لصفاته المتنوعة مثل: الصمت، العقل، الحقيقة، الكلمة، الحياة وما إلى ذلك. وكونت بعض من هذه الكائنات أيضاً كائنات مقدسة أخرى إلى أن تشكل عالم مأهول بالقدامة. لكن واحداً من هذه الكائنات ـ وفي بعض النصوص هي صوفيا (الكلمة التي تعني «الحكمة» باللغة اليونانية) ـ سقطت من العالم العلوي وأنشأت كائنات أخرى ليست كاملة القدسية لأنها أتت إلى الوجود من خارج العالم السماوي. وقد ظن أحد هذه الكائنات بدافع من الجهل أنه الإله الأعلى وبمساعدة من بعض الآخرين أسر أمه وخلق العالم المادي كمكان لكي يسجنها فيه داخل الأجسام البشرية. وهذا الإله الجاهل هو إله العهد القديم، إله اليهود.

ولذلك فإن العالم المادي الذي نعيش فيه ليس مكاناً صالحاً. إنه مكان للسجن. وإن إله اليهود ليس هو القدوس المطلق ولكنه قليل الأهمية وجاهل وربما كان خبيثاً أيضاً.

إن هدف الخلاص ليس أن توضع في علاقة صحيحة مع الإله الخالق ولكن أن تنجو من قبضته وسلطانه. إن الخلاص لا يأتي عندما يعود هذا المخلوق الهابط إلى حالته الأولى الأصلية (عودة إلى جنة عدن): بل يأتي الخلاص بالنجاة من هذا العالم المادي. وإن نهاية العالم لن تجلب خلاصاً للجسد بل ستجلب تحرراً من الجسد. ويأتي هذا الخلاص عندما تتعلم الومضة المقدسة المسجونة داخل أجسادنا أسرار كيفية مجيئها إلى الدنيا ومعرفة كيف تستطيع أن تتحرر.

وبما أن الأنظمة الغنوصية المسيحية تعتقد أن المسيح الذي جاء من العالم القدسي ليوصل هذه المعرفة الخفية فمن الواضح أنه لا يمكن أن يكون جزءاً من هذا العالم المادي نفسه. فهو إذن لم يكن مخلوقاً جسدياً. ولذلك فإن لدينا شكلين من الفكر الدوستي الذي ذكرته في الفصل الثاني. لقد زعم بعض الغنوصيين أن يسوع فقط بدا أنه بشر (كما قال مرقيون الذين لم يكن غنوصياً). وزعم آخرون أن المسيح المقدس دخل في الإنسان يسوع عند تعميده ثم غادره قبل موته لأن المسيح لا يمكن أن يتألم. وفي كلا طريقتي فهم المسيح فهو لم يكن بشراً حقيقياً من لحم ودم معرض للألم والموت والذي عاد إلى الجسد عند قيامه من بين الموتى.

ومثل الومضات المقدسة الأخرى نجا من الجسد والعالم المادي الذي يؤويه لكي يعود إلى مسكنه السماوي.

ولأن الغنوصيين الذين نادوا بمثل هذه الأفكار شوهوا سمعة العالم المادي والإله الذي خلقه فقد كان ينظر إليهم كتهديد خطير من قبل المسيحيين الآخرين الذين قالوا إن هناك إلهاً واحداً فقط وليس عالماً كاملاً من الكائنات المقدسة، وأن الله الذي خلق العالم وأنه خير وليس قليل الأهمية ولا شريراً، وأنه قد شكل الجسد الإنساني وسوف يعيده كما بدأه وأن الخلاص جاء في الجسد وليس منفصلاً عنه. وأكثر من ذلك فإن خصوم الغنوصية المسيحيون قالوا أن المسيح نفسه كان بشراً حقيقياً من لحم ودم والذي جلبت آلامه وموته الخلاص والذي كانت قيامته بالجسد الذي يعيش فيه الآن والذي سيعيش فيه إلى الأبد.

تم تعليم هذه الآراء البديلة المضادة للغنوصية من قبل مؤلفين مسيحيين بارزين من أمثال ايرينوس من القرن الثاني وترتوليان من القرن الثالث المؤلفان اللذان كانت كتاباتهما معروفة ومنتشرة بكثرة بين القراء لقرون عديدة. وقد انتهى الأمر بخسارة الغنوصيين لهذه المناقشات وعموماً فقد اندثرت معظم أعمالهم. وفقط في العصور الحديثة تم اكتشاف كتابات غنوصية وبشكل ملحوظ تم كشفها بطريقة الصدفة الغريبة حيث اكتشفت مكتبة كاملة من نصوص غنوصية في عام 1945 قرب بلدة نجع حمادي المصرية (11).

هذه المكتبة المسماة بمكتبة نجع حمادي تحتوي على ست وأربعين وثيقة مختلفة وقليل منها لها نسختان وبعضها يعطي تفاصيل للآراء اللاهوتية لهذه المجموعة الغنوصية أو تلك، ووثائق أخرى هي عبارة عن انطباعات حول طبيعة الحقيقة أو مكان البشر فيها ووثائق غيرها هي إيحاءات خفية يبلغها يسوع إلى تلاميذه بعد «قيامته» من بين الأموات وكذلك فإن وثائق أخرى هي مجموعات من تعاليم يسوع الدنيوية. وقد قدمت هذه الكتابات بأسماء الرسل. فهي بعبارة أخرى تزويرات غنوصية.

كتابات غنوصية مزورة:

عرفنا عن التزويرات الغنوصية منذ مدة طويلة قبل أن نحصل فعلياً على أي منها. فمثلاً نرى ايفانيوس متصيد الهرطقات من القرن الرابع في كتاب له يهاجم فيه ثمانين جماعة مختلفة من «الهراطقة» يتحدث عن واحدة بالذات من الجماعات الغنوصية السيئة السمعة التي يدعوها باسم الفيبيونيين (Phibionites). في هجومه على هذه المجموعة ينقل إلينا أنهم استخدموا مجموعة كاملة من الكتابات باسم مستعار (مزورة) تتضمن كتباً مثل: (إنجيل حواء)، و(قضايا مريم المجدلية الصغرى)، و(قضايا مريم الكبرى)، و(كتب شيث)[1]، و(رؤى آدم)، و(ميلاد مريم)، و(إنجيل فيليب) (12). وقد اكتشف إنجيل فيليب في نجع حمادي رغم أنه من المستحيل أن نعرف ما إذا كان هو الكتاب نفسه الذي أشار إليه ايفانيوس. ولدينا أيضاً كتاب اسمه «ميلاد مريم» ولكن ليس فيه أي شيء من الغنوصية ولذلك فهو أيضاً قد يكون كتاباً آخر. ولم يعد موجوداً أي من الكتب الأخرى.

(1) الابن الثالث لآدم وحواء. (المترجم)

لكن كثيراً من التزويرات الغنوصية الأخرى موجودة. فمن بين كتابات نجع حمادي التي تقدم الآراء الغنوصية بأسماء الرسل كتاب اسمه: «كتاب يوحنا السري» (أي ابن زبيدي) الذي يفسر بتفصيل تصويري إحدى روايات الأسطورة الغنوصية وكتاب «رؤيا بولس» التي تصف صعوداً غامضاً للرسول خلال السموات وهو مروي بصيغة المتكلم. وهناك أيضاً عملان آخران عن رؤى يعقوب و «إنجيل فيليب» الذي سبق ذكره. والأكثر شهرة من بين كل ما ذكر هو «إنجيل توما» وهو عبارة عن 114 قولاً من أقوال يسوع والتي يفترض أنه تم تسجيلها من قبل يهوذا ديديموس توما الذي اشتهر في بعض مناطق الكنيسة القديمة بأنه كان الأخ التوأم ليسوع (14).

وبدلاً من مناقشة التزويرات الغنوصية هنا فإني سأناقش اثنين منها فقط وهما مهمان بشكل خاص ولكنهما لا يشهدان فقط على وجهة النظر الغنوصية بل يعارضان النظرة التي أصبحت فيما بعد «مستقيمة» أي أنها النظرة التي يمثلها مؤلفون مثل ايرينوس وترتوليان وابيفانيوس، والتي أصبحت مقبولة فيما بعد كـ «حقيقة» ضد تعاليم «الغنوصية الكاذبة».

رؤيا بطرس القبطية:

لقد رأينا سابقاً واحدة من رؤى بطرس في الفصل الثاني. وقد تم اكتشاف رؤيا أخرى في نجع حمادي وهي إيحاء سري أتى إلى سمعان بطرس (15). والرؤيا التي درسناها من قبل اكدت بشدة على الطبيعة الجسدية للحياة في الآخرة حيث يكافأ الناس بالنعيم أو يعاقبون بشكل مرعب وبشكل مادي على حسب الطريقة التي عاشوها في هذه الحياة.

أما «رؤيا بطرس القبطية» فهي تتخذ نظرة مختلفة جذرياً وتجادل بأن الذين يؤمنون بأهمية الجسد سواء كان جسد يسوع نفسه أم الحياة الجسدية للبشر قد أساؤوا تماماً فهم الحقيقة وأفسدوها.

وهذا الكتاب كتب أيضاً بصيغة المتكلم على زعم أنه من قبل بطرس تلميذ يسوع. وهو يبدأ بمناقشة بين المسيح وبطرس في يوم وفاة يسوع ويروي بعد ذلك ما جرى «حقاً» عند الصلب. وهذا واحد من أغرب أنواع الوصف لموت يسوع الذي يمكن أن نجده في أي كتابة قرأتها في حياتك.

في الحوار الافتتاحي يؤكد المسيح بقوة الحاجة إلى «معرفة» صحيحة للخلاص ويتهم المسيحيين الذين يفتقدون هذه المعرفة قائلاً عنهم: «إنهم عميان وليس لهم قائد» (إصحاح 72: 12 ـ 13). والزعماء غير الغنوصيين للكنائس المسيحية الذين يمدحون المسيح يجدفون عليه وهم أنفسهم صم وعميان. (إصحاح 73: 13 ـ 14).

هذه هي القضية خصوصاً فهم «يتمسكون باسم رجل ميت» أي أنهم يعتقدون أن الذي يهم للخلاص هو يسوع المصلوب. ولكن ما أشد خطأهم! «إنهم لا يفهمون» (إصحاح 76: 28 ـ 35). هؤلاء «الأساقفة والشمامسة» قد جفوا تماماً وهم أقنية مجدبة لا تقدم أي ماء معط للحياة.

ويعد هجوم المسيح على أولئك الذين يقدرون الوجود المادي والذين يظنون أن موته يجلب الخلاص تأتي رواية الصلب. فبينما كان بطرس والمسيح يتحدثان يرى بطرس يسوع بعيداً أسفل التل حيث كانا يقفان «ظاهرياً» يمسكه أعداؤه ويصلبونه. ولكن فوق الصليب يرى صورة أخرى للمسيح وهو هنا يضحك على العملية بكاملها. وبحيرة شديدة يسأل بطرس المسيح الواقف بجانبه عما يراه فيجيبه المسيح أن ذلك الموجود فوق الصليب هو «يسوع الحي» والثاني الموجود على الصليب «هو البديل» أي الذي صلب من أجل يسوع الحقيقي الذي لا يمكن أن يصلب لأنه ليس في الحقيقة بشراً من لحم ودم. والجسم المصلوب هو «مأوى الشياطين إنه الوعاء الحجري الذي يعيشون فيه، إنه إنسان إلوهيم» (أي إنسان الله حسب العهد القديم). ذلك الذي فوق الصليب يضحك على جهل أولئك الذين يصلبونه لأنهم عميان ويظنون أنهم يستطيعون قتل المسيح، ولكنهم لا يستطيعون فهو روح وهو فوق الألم والمعاناة.

هذا إذن التقييم الغنوصي للعالم ومكان المسيح فيه. ليس موت المسيح هو المهم والخلاص يأتي بقبول تعاليمه الحقيقية التي تحتقر العالم المادي والجسد البشري وجسده لم يكن هاماً ولا جسد أتباعه كذلك. تعرض هذه النظرة من خلال مرجع معصوم عن الخطأ. وهو رواية لبطرس نفسه أو على الأقل بكتابة مزورة باسمه.

كتاب توما المناضل:

هناك أيضاً هجوم مباشر موجود في نص كتابي غنوصي معروف باسم «كتاب توما المناضل»، الذي وجد أيضاً في نجع حمادي (16). وهذا الكتاب أيضاً مكتوب

باسم مستعار (أي مزور) ويقال إنه كان وحياً إلى توما، الأخ التوأم ليسوع، ولكن الذي كتبه هو «ماتاياس»، والعلماء عادة يعتبرون هذا الشخص هو متى مؤلف الإنجيل الأول.

يقدم المسيح في هذا الكتاب وحياً قبل صعوده إلى السماء مباشرة. والهدف من هذا الإيحاء هو التأكيد على أهمية معرفة الذات: «إن الذين لا يعرفون أنفسهم لم يعلموا شيئاً لكن الذين عرفوا أنفسهم قد حصلوا على المعرفة حول أعماق كل شيء» (إصحاح 138: 16 ـ 18). إن معرفة النفس تعني معرفة هويتك الحقيقية وليس «ذاتك» الجسدية. إنها الروح التي هي منفصلة عن الجسد.

ينبه المسيح إلى أن الجسد البشري مثل أجساد جميع الحيوانات لأنه يأتي عن طريق الجماع إضافة إلى أنه يستمر بالبقاء بتناول مخلوقات أخرى وبالتغير. لكن أي شيء يتغير سوف يفنى في النهاية ولا يعود له وجود. وهكذا الحال مع البشر: «إن وعاءهم الجسدي سوف يموت ويفنى» (إصحاح 141: 6 ـ 7). والذي يرجو الخلاص في الجسد فقط يستحق الشفقة: «ويل لكم يا من تؤملون بالجسد وبالسجن الذي سوف يفنى». وبما أن الجسد لن يستعاد فإن شهوا الجسد لا ينبغي أن تنغمس فيها. وإن أفكار الكتاب الكبيرة هي أن الرغبات الجسدية تأسر الروح في البدن وأي شخص يخضع لنيران الرغبات سيعاقب في نار الآخرة. ولذلك يحض المؤلف قراءه على أن يسعوا للنجاة التي تأتي من طريق الإفلات من الجسد: «راقب وصل كي لا تبقى في الجسد بل أن بإمكانك التخلي عن رابط مرارة هذه الحياة... وعندما تتخلى عن الآلام ومشتهيات الجسد سوف تحصل على الراحة من الله. وسوف تحكم مع الملك، لقد اتحدت معه وإنه معك من الآن وإلى الأبد» (إصحاح 145: 9 ـ 14).

ولكن ليس هذا في الحقيقة وحياً إلى توما سجله ماتاياس؛ إنه تزوير غنوصي تم إنتاجه لكي يخالف تعاليم مسيحيين آخرين يقولون إن الوجود الجسدي له أهميته.

تزويرات مضادة للغنوصية:

لم يكن الغنوصيون بالطبع الوحيدين الذين استخدموا الكتابات المزورة ليروجوا لآرائهم. وإن المسيحيين «الأرثوذكس» أو المستقيمون الذين عارضوهم استجابوا لذلك بالمثل فنشروا كتاباتهم المزورة الخاصة بهم.

الرسالة الثالثة إلى كورنث:

رأينا سابقاً إحدى التزويرات التي كان من الممكن أن تخدم غرضاً مناقضاً للغنوصية وهي الرسالة الثالثة إلى كورنث. وقد تحدثت سابقاً عن تلك الرسالة بأنها كانت موجهة ضد مرقيون الذي قلل من شأن الحياة الجسدية مثل الغنوصيين. ومن الصعب أن نعرف تماماً من هو المؤلف مجهول الاسم الذي كان في ذهنه عندما أكد على جسد المسيح ونجاة الجسد. ربما كان يهاجم كل الفرق التي تتمسك بآراء مخالفة. ولكن على الأقل ليس من الصعب إدراك رأيه. فتأكيده البالغ هو أن المسيح جاء إلى هذا العالم لكي «ينقذ كل الأجساد بجسده هو ولكي يبعثنا في أجسادنا من بين الأموات كما قدم نفسه لنا كقدوة لنا».

بالنسبة لهذا المؤلف يعتبر يسوع ابن مريم حقاً وقد كان هذا تحقيقاً لما صرح به أنبياء العهد القديم. لقد كان هؤلاء الأنبياء الناطقين باسم الإله الواحد الحق الذي سبق أن خلق العالم والذي هو الإله «القدير» وليس نوعاً من الكائنات المقدسة الأقل أهمية وقيمة. وبالتحديد في «جسده بالذات أنقذ يسوع المسيح كل الأجساد» وسوف يتم الخلاص النهائي لأتباعه بالجسد عندما تأتي القيامة. هنا إذن في الرسالة رقم 3 إلى كورنث تعارض تزويرات الهراطقة بتزوير يقوم به الأرثوذكس وهو رسالة يكتبها بولس ولكنها في الواقع مكتوبة من قبل مؤلف كان يعيش بعد ذلك بزمن أبعد بكثير.

رسالة الرسل:

كمثال ثان ونهائي لتزوير أرثوذكسي أستطيع أن أذكر كتاباً من القرن الثاني ويعرف باسم «رسالة الرسل» (17). وهذه رسالة يفترض أنها كتبت بعد قيام المسيح من قبل الرسل الاثني عشر الذين يسمون أنفسهم ويكتبون بصيغة المتكلم (ضمير المتكلم) معارضين لـ «الرسل الكاذبين» سمعان ومرنثوس. وقد التقينا به مثلاً في (أعمال بطرس) و(رسائل كليمنت المزيفة). وهو هنا بصحبة مجدف سيء السمعة آخر اسمه سرنثوس. هوجم الاثنان لأنهما مليئان بالـ «غش». وهذه التهمة مثقلة بالتناقض بالطبع في كتابة مزورة لكي تجعل قارئيها يعتقدون أن الرسل كانوا فعلاً يكتبونها.

تقدم الرسالة وحياً يعطيه يسوع للرسل بعد قيامته مشابه كثيراً لكتاب توما المناضل وكتابات غنوصية أخرى يعطي «التعاليم السرية» للمسيح بعد قيامه من بين الأموات. ولكن التأكيد هنا ضد الغنوصية تماماً. عدد قليل من الوثائق تؤكد بشكل كبير كما في هذه الرسالة على أهمية الجسد. ويقال أن يسوع عانى من صلب حقيقي وقيامة جسدية حقيقية كما لوحظ من قبل الرسول أندرو مثلاً الذي رأى آثار أقدام يسوع على الأرض بعدما تم رفعه ويلح بالقول: «إن الشبح، أو الشيطان ليس له آثار على الأرض» (الفصل 11). ويؤكد الرسل قائلين: «لقد أحسسنا به، وإنه قد قام حقاً بجسده». والمسيح ذاته يقول: «إنني... أضع على جسدكم، الذي ولدت ومت فيه ودفنت وقمت ثانية» (الفصل 19)، ويشير إلى أن «جسد كل إنسان سيقوم مع نفسه وروحه عائداً إلى الحياة» (الفصل 24). إن أي واحد يعلم شيئاً مختلفاً (مؤلفو كتاب توما المناضل والرؤيا القبطية لبطرس!) سوف يتعرض إلى عقوبة خالدة تتضمن ألماً جسدياً حقيقياً (الفصل 29). ومن الممتع أن هذا الكتاب يدعي بشكل واضح أنه كتب ضد أولئك الذين «يقولون بشكل متعمد ما ليس صحيحاً» (الفصل 50). فهذا كتاب يدعي قصداً أنه مكتوب من قبل رسل ماتوا قبل قرن.

خاتمة الفصل:

إن واحداً من أكثر الملامح المدهشة للمسيحية القديمة هي أن كثيراً من المعلمين المسيحيين والجماعات المسيحية كانوا يقولون أشياء كثيرة متعارضة. وليس الأمر أنهم فقط قالوا أشياء مختلفة بل إنهم في كثير من الأحيان قالوا نقيض الأشياء تماماً فمثلاً: هناك إله واحد وحسب. لا، هناك آلهة كثيرة. العالم المادي هو خلق طيب من إله طيب. لا، إن العالم أتى بسبب كارثة كونية في العالم السماوي. لقد جاء يسوع بالجسد. لا، لقد كان منفصلاً كلياً عن الجسد. الحياة الأبدية تأتي من خلال الافتداء بالجسد. لا، إنها تأتي من خلال هجر الجسد.

بولس علم هذه الأشياء. لا، إن بولس لم يفهم رسالة يسوع. بطرس وبولس اتفقا على كل النواحي اللاهوتية. لا، لقد كان كل منهما مختلفاً تماماً عن الآخر. علم بطرس أن المسيحيين ليس عليهم إتباع الشرع اليهودي. لا لقد علم أن الشرع اليهودي مستمر في النفاذ. وهكذا تستمر الأمور، عالم بلا نهاية.

ولم يعتقد فقط أصحاب كل جانب من هذه الحوارات أنه على حق بل اعتقدوا أن خصومهم كانوا مخطئين، وقد زعموا بكل إخلاص وأمانة أن آراءهم هي التي بشر بها المسيح ورسله وأكثر من ذلك هو أنهم جميعاً يبدو أنهم ألفوا كتباً لإثبات أقوالهم. كتب زعم أن الرسل كتبوها ودعموا بها وجهات نظرهم، وربما كان أكثر شيء ممتع هو أن الغالبية الكبرى لهذه الكتب الرسولية كانت في الواقع مزورة، ومسيحيون مصممون على إرساء ما هو صحيح ليتم اعتقاده فعلوا ذلك بقول أكاذيب في محاولة لخداع قرائهم ليوافقوا على أنهم كانوا الأشخاص الذين قالوا الحقيقية.

الفصل السابع
ظواهر مرتبطة بالتزوير
النسبة الكاذبة والاختلاق والتزييف

ركزت من خلال هذا الكتاب على التزييف «الأدبي» الذي هو خدعة يدعي فيها مؤلف عمل أدبي ما أنه شخص آخر. وكلنا نعرف أنواع التزوير غير الأدبية الأخرى أيضاً: كتزوير المستندات (وصايا مزورة، شهادات زواج مزورة، رخص قيادة سيارة وأشكال أخرى من إثبات الهوية)، والأعمال الفنية، والنقود وما إلى ذلك.

يقصد المزور في كل هذه الحالات إلى أن يغش ويضلل الناس من أجل أغراضه الخاصة به.

وبالطبع هناك طرق كثيرة أخرى لخداع الناس. يأتي الخداع أحياناً من إخفاء الحقيقة مثلاً بتحريف أو بعدم قول الحقيقة كاملة كما فعل رئيسنا لعدة شهور أثناء فضيحة مونيكا لوينسكي[1]. أو بإزالة الدليل الذي يمكن أن يكشف الحقيقة كما فعل رئيس سابق أو واحد من خدمه عندما مسح مقاطع حساسة من أشرطة تسجيل ووترغيت[2]. ويأتي الخداع أحياناً من التلاعب بالحقيقة كما حصل عندما قدم للشعب الأمريكي والبريطاني وربما لمسؤوليهم المتخبين معلومات كاذبة حول التهديد الموجه للولايات المتحدة بسبب تكديس أسلحة الدمار الشامل الموجودة لدى العراق.

ويأتي الخداع أحياناً عندما يعمل الناس إدعاءات كبيرة حول أنفسهم أو حول أعمالهم كما فعل جيمس فريه (James Frey) عندما قال إن كتابه المسمى «مليون قطعة صغيرة» هو سيرة ذاتية بينما الواقع أنه كان خيالياً مما لم يثر فقط غضب الملايين من القراء المحتملين بل أيضاً غضب مقدمة البرامج أوبرا نفسها. ويأتي الخداع أحياناً عندما يدعي شخص لنفسه عمل شخص آخر مثلاً كما في حالات

(1) فضيحة رئيس الولايات المتحدة كليتون مع السكرتيرة لوينسكي. (المترجم)

(2) فضيحة ووترغيت المشهورة في أمريكا بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي. (المترجم)

الانتحال التي تبلغ نسباً كارثية في المباني الجامعية في أنحاء البلاد بفضل النعمة والنقمة الانترنت التي وجدت في الحياة العصرية للبشر.

وبالطبع هذه الأشكال البديلة للخداع كانت متوفرة في العصر القديم أيضاً (ما عدا الانترنت بالطبع) ولكي أكمل دراستي للتزوير أود أن أناقش بعضاً منها في هذا الفصل مقيداً نفسي خصوصاً بالأشكال الأدبية لسوء الإعلام أو التبليغ. والشكل الأول ليس بالضرورة شكلاً من أشكال الخداع: إنه نوع آخر من الكتابة باسم مزيف ذكرته في بداية مناقشاتي. وبينما تعتبر الكتابة باسم مزيف نوعاً من التزوير فإن أشكالاً أخرى تتضمن «نسبة كاذبة» وفي هذه الحالة يدعي شخص آخر غير المؤلف أن كتابة مجهولة الكاتب كتبت من قبل شخص مشهور بينما هي في الواقع ليست كذلك. وأحياناً، لنكون متأكدين، قد يكون ذلك شكلاً من الخداع (رغم أنه لم يأت من المؤلف). وأحياناً أخرى يكون الأمر مجرد غلطة بحسن نية.

كتابات منسوبة لغير أصحابها:

لقد كانت هناك حالات كثيرة في العصور القديمة يتم فيها تأليف كتاب مجهول المؤلف أكثر مما يحدث الآن. فقط داخل صفحات العهد الجديد هناك تسعة كتب، وهي تعادل ثلث الكتاب، ألفت من قبل مؤلفين لم يكشفوا عن أسمائهم الحقيقية. ولكن عندما كان آباء الكنيسة يقررون ما هي الكتب التي سيدخلونها في الكتاب المقدس كان من الضروري «معرفة» من ألف هذه الكتب لأن الكتب التي لها ارتباط واضح بالرسل يمكن أن تعتبر نصوصاً موثوقة ومعتمدة. ولذلك مثلاً أربعة أناجيل قديمة والتي كانت كلها مجهولة المؤلفين بدأ تداولها بأسماء كل من متى ومرقس ولوقا ويوحنا بعد حوالي قرن من كتابتها. وكان كتاب أعمال الرسل معروفاً بأنه قد كتب من قبل مؤلف ثلث الإنجيل ولذلك فقد نسب أيضاً إلى لوقا. وكتاب الرسالة إلى العبرانيين مجهول المؤلف نسب إلى بولس رغم أن أعداداً من العلماء المسيحيين القدماء تحققوا أن بولس لم يكتبه كما يتفق العلماء في الوقت الحاضر. وإن ثلاثة من الكتابات مجهولة المؤلف التي تحوي بعض حالات التشابه مع الإنجيل الرابع تمت نسبتها إلى نفس المؤلف ولذلك سميت رسائل يوحنا الأولى والثانية والثالثة. ولا يزعم أي من هذه الكتب أنه كتب من قبل المؤلف الذي تمت

نسبته إليه بشكل نهائي. ولكن وبما أن المؤلفين الحقيقيين لم يقوموا بأية إدعاءات لمصلحتهم فإن الكتب ليست مزورة. إنها فقط حالات نسبة كاذبة - مفترضين في هذه اللحظة أن الأسماء المرتبطة بها ليست لأولئك الذين كتبوها فعلاً.

حالات نسبة كاذبة حصلت بالخطأ:

في حالات كثيرة في بدايات المسيحية نسبت بعض الكتابات إلى مؤلفين معينين لأسباب محايدة تقريباً - أراد القراء فقط أن يعرفوا من كتبها. ولكي نعطي فقط مثالاً بسيطاً فإنه في القرنين الثالث والرابع كان هناك كتاب متداول اسمه «ضد كل الهرطقات». وهذا الكتاب الذي ما زال موجوداً لدينا حالياً يعطي وصفاً لاثنين وثلاثين فرداً أو جماعة كانوا يعتقدون أن المؤلف المجهول يعتبر كاذباً. وإن واحداً من أكبر المختصين بالهرطقة - أي متصيدو الهرطقة - في بدايات القرون المسيحية كان ترتوليان من أوائل القرن الثالث. وبعض قراء كتاب «ضد كل الهرطقات» توصلوا إلى أنه رغم أن الكتاب كان مجهول المؤلف فلابد أنه هو الذي كتبه (أي ترتوليان). ولذلك فإن الكتبة الذين نسخوا الكتاب تعرفوا إلى ترتوليان ككاتب وأضيف الكتاب إلى مجموعة مؤلفات ترتوليان رغم أن الكتاب ليس فيه ما يزعم أنه هو الذي كتبه.

إن العلماء الحديثين مقتنعون لأسباب معتمدة على الأسلوب أن ترتوليان لم يكتب الكتاب فمن كتبه إذن؟ إننا نعرف كتاباً بهذا العنوان كتبه الكاتب الكنسي فيكتور رينوس من بلدة بتاو (Pettau) الذي كان ناشطاً حوالي عام 270 ميلادية، بعد ترتوليان بنصف قرن. وقد ظن بعض العلماء أن هذا هو الكتاب الذي يوجد لدينا (1)، وقال آخرون إنه كتب بواسطة مؤلف مجهول وجد قبل سبعين سنة من ذلك باللغة اليونانية وليس بلغة ترتوليان اللاتينية ولذلك فإن الكتاب الموجود لدينا الآن هو ترجمة إلى اللاتينية من عمل أصلي مجهول المؤلف. والحقيقة هي أننا لن نعرف الأمر بشكل مؤكد.

وإن القراء والكتبة في العالم القديم الذين اعتقدوا أن ترتوليان كتبه كانوا مخطئين بشكل شبه مؤكد ولكن لا يمكن أن يكون قد وجد أي دافع خفي لنسبته إليه. إنهم ببساطة ربما ارتكبوا خطأ.

حالات نسبة كتابات لزيادة مصداقيتها:

في حالات أخرى ربما كانت حالات نسبة الكتابات إلى مؤلف ما من أجل إضافة وزن أكبر لأهميتها وعلى سبيل المثال فإن واحدة من أقدم الكتابات المسيحية من خارج العهد الجديد هي رسالة أرسلت من كنيسة روما إلى مسيحيي كورنث تحضهم على إعادة جماعة من شيوخ الكنيسة الذين تم طردهم بشكل مهين من مناصبهم.. كان الكتاب معروفاً تقليدياً باسم الرسالة الأولى إلى كليمنت. وهي عبارة عن رسالة طويلة ـ من خمس وستين فصلاً بحسب الطبعات الحديثة ـ وهي تستخدم العديد من المناقشات الكتابية والخطابية لتؤكد على فكرتها والتي هي أن شيوخ (كبراء) الكنيسة لهم سلطة مقدسة ولا يجوز استبدالهم حسب الأهواء أو بتصويت من جماعة محلية. وأي شخص يعمل ضد قيادة الكنيسة فإنه يتصرف بدافع من الغيرة المجدفة. وإن على كنيسة كورنث أن ترجع قادتها إلى مكانهم اللائق.

ورغم أن الرسالة تدعي أن كاتبها هو «الكنيسة» الموجودة في روما فإن من الواضح أن شخصاً كتبها وليس مئات الناس الذين يقومون بمهام لجنة كتابة الرسائل. وبالتالي فإن الرسالة تم عزوها إلى شخص قابلناه من قبل في دراستنا وهو كليمنت الآتي من مدينة روما والذي من المفترض أنه الأسقف الرابع لروما الذي عين في المنصب من قبل سمعان بطرس لا غيره وهو تلميذ يسوع الكبير ورسول الكنيسة. وحالما ارتبط اسم كليمنت بالرسالة فمن البديهي أنها اتخذت قوة أكبر وسلطة مقنعة. وهذه ليست ببساطة موعظة مطولة كتبتها مجموعة مجهولة وأفراد لم تذكر أسماؤهم. إنه كتاب كتبه أحد الأشخاص ذوي السلطة الكبيرة في الكنيسة المسيحية القديمة. وكنتيجة لهذه النسبة فإن الرسالة عموماً قد حظيت بنجاح كبير في الكنيسة القديمة. واعتقد بعض المسيحين أنه يجب وضعها ضمن كتابات العهد الجديد (2).

نسبة الأناجيل إلى غير مؤلفيها الحقيقيين:

بالطبع فيما بعد اعتبرت كتابات أخرى مجهولة المؤلف جزءاً من النصوص المسيحية المقدسة. ولكن ذلك لم يحصل أبداً ما لم يكن معروفاً أو على الأقل مدعىً أن الكتب قد كتبت بمرجعية رسولية.

هذا هو الوضع بالنسبة للأناجيل الأربعة في العهد الجديد والتي كانت كلها في الأصل مجهولة المؤلف وارتبطت لاحقاً بأسماء الرسل وأصحاب الرسل.

من المشوق دائماً أن نسأل لماذا اختار مؤلف ما أن يبقى مجهولاً وهذا الأمر لم يكن في شيء أكثر مما هو في حالة أناجيل العهد الجديد.

في بعض الأمثلة تجد أن مؤلفاً قديماً لم يكن بحاجة لذكر اسمه لأن قارئيه كانوا يعرفون تمام المعرفة من هو ولم يكونوا بحاجة لإخبارهم باسمه. ومن شبه المؤكد أن ذلك هو الحال في رسائل يوحنا الثانية والثالثة. فهي رسائل خاصة مرسلة من شخص يسمي نفسه «الشيخ» إلى إحدى الكنائس في منطقة أخرى. ولا يضر أن يفترض أن مستقبلي الرسالتين كانوا يعرفون من هو المرسل.

لقد اعتقد بعضهم أن الأناجيل كانت كذلك - أي مكتوبة من قبل ولم يكونوا بحاجة للتعريف بأنفسهم لأن الجميع كان يعرف من هم. ولكن بعد ذلك وعندما نسخت الكتب وتم تداولها كانت الأسماء ما تزال غير مرتبطة بها. وكنتيجة لذلك سرعان ما ضاعت هوية المؤلفين. وفيما بعد ربط القراء حقاً أو خطأً تلك الكتب باثنين من تلاميذ المسيح (متى ويوحنا) وباثنين من مرافقي أو تابعي الرسل (مرقس مرافق بطرس ولوقا مرافق بولس).

والاختيار الآخر هو أن المؤلفين لم يسموا أنفسهم لأنهم ظنوا أن رواياتهم ستحظى بمصداقية أكبر إذا رويت بدون ذكر مؤلف. فلو أن قصص الإنجيل حول يسوع مروية من قبل مؤلف محدد فبعد ذلك سيبدو أنها ستفقد جاذبيتها وإمكانية تطبيقها في العالم. وينظر إليها على أنها رواية شخص واحد للقصة أكثر من كونها «الرواية الوحيدة» للقصة.

هناك سبب واحد بالتحديد لاعتقاد أن هذا هو ما كان يجول في ذهن كتاب الإنجيل فهو يتضمن الطريقة التي كتبت بها هذه الروايات. ففي الأناجيل الأربعة جميعاً تقدم قصة يسوع كتكملة لتاريخ شعب الله كما رويت في الكتاب المقدس اليهودي. والأجزاء التي روت تاريخ شعب إسرائيل في العهد القديم بعد موت موسى موجودة في كتب يوشع والقضاة وصاموئيل واحد واثنان وكتاب الملوك واحد واثنان. وكل هذه الكتب كتبت بدون ذكر مؤلف لها. وتأخذ هذه الكتب

قصة شعب الله من غزوهم لأرض الميعاد (كما في كتاب يوشع) إلى حالات عزهم وذلهم تحت قيادات بطولية مميزة كانوا يسمونها القضاة (كما في كتاب القضاة) وبعد ذلك بقيادة سلسلة من الملوك (صاموئيل 1 والملوك 2) ويتضمن هذا التاريخ الكتابي وعداً لأول ملك عظيم حقاً وهو داوود بأنه سيكون له دائماً واحد من نسله على العرش الحاكم للشعب اليهودي (الجزء الثاني من صاموئيل ـ السفر 7: 14) لكن التاريخ ينتهي بكارثة عندما تجلي جيوش البابليين الشعب وتزيل الملك من السلطة (نهاية كتاب الملوك رقم 2).

توقع كثير من اليهود أن الله سيحقق وعده لداوود في المستقبل ويأتي بشخص مبارك جديد: «مسيح» جديد لكي يحكم شعبه من الإسرائيليين. والأناجيل مكتوبة لتبين أن هذا المسيح الجديد ليس هو إلا يسوع (انظر مرقس، الإصحاح 1: 1 ويوحنا، إصحاح 20: 30 ـ 31). وللتأكيد كان يسوع مختلفاً عن المسيح الذي كان يهود آخرون يتوقعونه (3). فبدلاً من أن يأتي على هيئة ملك عظيم كداوود جاء كنبي يتكلم عن مملكة الله القادمة. وهو نفسه سيحضر مملكته ليس بأن يتوج ملكاً في القدس ولكن بالموت على الصليب ليجلب خلاصاً. ولم يكن هذا خلاصاً من أعداء إسرائيل اليهود بل من أعداء الله الأبديين وهم قوى الخطيئة والموت. لقد قهر يسوع هذه القوى الغريبة عند موته وقيامته وهو عائد عما قريب كملك يحكم الأرض.

هذه هي رسالة الأناجيل وهي تصور في هذه الكتب على أنها مستمرة مع تاريخ الشعب اليهودي المكتوب دون ذكر مؤلف معلوم وكما هو موجود في النصوص المقدسة في العهد القديم. ويمكن أن نرى هذا مثلاً في أقدم أناجيلنا وهو إنجيل مرقس الذي يبدأ باقتباس سلسلة نبوءات من العهد القديم تتوقع مجيء المسيح وبعد ذلك تقدم يسوع كواحد من الذين أشارت إليهم تلك النبوءات. ويمكن أن يرى في إنجيلي متى ولوقا اللذين يصوران ميلاد يسوع على أنه تحقيق لتنبؤات الكتاب المقدس مستخدمين التصوير واللغة المعتمدة كثيراً على روايات العهد القديم لتعطي قصصها الافتتاحية حساً «كتابياً» (ككتاب مقدس). ويمكن أيضاً أن نرى ذلك في إنجيل يوحنا الذي يبدأ بقصيدة شعرية حول مجيء المسيح إلى هذا العالم في آخر الزمان بعبارات تذكرنا كثيراً بقصص الخلق في سفر التكوين (نقرأ في سفر التكوين: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله»).

ويبدو أن مؤلفي الأناجيل كل بطريقته يصور قصة يسوع كاستمرار لقصة شعب الله، إسرائيل. إنه تحقيق لكل ما كان منتظراً من قبل مؤلفي وأنبياء العهد القديم. ولذلك فإن هؤلاء المؤلفين للأناجيل يجدون من المعقول أن يبقوا مجهولي الاسم كما كان كتاب التاريخ التوراتي في كل الأوقات تقريباً مجهولي الاسم.

وكان الجهل بأسماء كتاب الإنجيل موضع احترام لمدة عقود. فعندما يشار إلى أناجيل العهد الجديد أو يقتبس منها من قبل مؤلفي أوائل القرن الثاني تكون غير معنونة وغير مسماة. وحتى جستن مارتير (J. Martyr) الذي كتب في حوالي عام 150 ـ 160 ميلادية يقتبس عبارات من الأناجيل ولكنه لا يشير إلى أسماء الأناجيل. بالنسبة لجستن (Justin) هذه الكتب معروفة ببساطة باسم جمعي هو «مذكرات الرسل». وحدث بعد قرن من وضع الأناجيل في التداول أصلاً أن سميت بشكل محدد بأسماء متى ومرقس ولوقا ويوحنا. ويأتي هذا لأول مرة في كتابات الأب الكنسي والخبير بالهرطقات ايرنيوس (Irenaeus) حوالي عام 180 ـ 85 ميلادية.

كتب ايرنيوس كتاباً من خمسة مجلدات معروف حالياً باسم «ضد الهرطقات» وموجه ضد التعاليم الكاذبة الشائعة بين المسيحيين في زمانه. وفي إحدى الأفكار في هذه الكتابات يؤكد أن «الهراطقة» (أي المعلمين الكاذبين) قد ضلوا السبيل إما لأنهم يستخدمون أناجيل ليست حقيقية أو لأنهم يستخدمون فقط واحداً أو آخر من الأناجيل الأربعة التي تعتبر قانونية ومعتمدة. استخدمت بعض الفرق الخارجة عن الكنيسة إنجيل متى فقط واستخدم بعضهم إنجيل مرقس فقط وهلم جرا. وبالنسبة لإيرنيوس كما أن إنجيل المسيح قد انتشر في جهات السماء الأربع فوق الجهات الأربع للأرض كذلك يجب أن يكون هناك أربعة أناجيل فقط وهي متى ومرقس ولوقا ويوحنا (4).

وقد لا يجد القراء المعاصرون هذا النوع من المنطق ملزماً ولكنه من الصعب أن نرى لماذا أراد كتاب تقليديون مثل ايرنيوس أن يؤكدوا على هذه الناحية. لقد كانت أناجيل عديدة متداولة والمسيحيون الذين أرادوا أن يحتكموا إلى سلطة الأناجيل كان عليهم أن يعرفوا أي منها كان معترفاً به. وبالنسبة لايرنيوس وزملائه المسيحيين التقليديين كانت الأناجيل الرسمية هي فقط التي كان لها مرجعية

ومصداقية رسولية تدعمها. وإن مصداقية أي إنجيل تكمن في شخص مؤلفه. ولذلك فإن المؤلف لابد أن يكون معتمداً إما أن يكون هو نفسه رسولاً أو مرافقاً مقرباً لأحد الرسل والذي كان بإمكانه أن يروي قصص الإنجيل بناء على سلطته. وفي عام 155م عندما كان جستن يكتب مؤلفاته ربما كان ما يزال مقبولاً أن يقتبس المرء من الأناجيل دون أن ينسب ذلك إلى مؤلف معين. ولكن سرعان ما وجدت أناجيل كثيرة أخرى ووضعت بين أيدي الناس حتى أن الكتب التي ذكرت بشكل واسع من قبل مسيحيين تقليديين احتاجت إلى أن تعطى شهادات تصديق رسولية. وهكذا بدأت تعرف بأسماء متى ومرقس ولوقا ويوحنا.

لماذا تم اختيار هذه الأسماء بنهاية القرن الثاني؟ لمدة عقود.

كانت هناك شائعات تنتشر بأن شخصين هامين في الكنيسة القديمة كتبا كتابات عن تعاليم يسوع وأعماله. ونجد هذه الإشاعات سابقاً في كتابات الأب الكنسي بابياس حوالي الأعوام 120 ـ 130 ميلادية قبل ايرنيوس بحوالي نصف قرن. زعم بابياس اعتماداً على مرجعية جيدة (5) أن الحواري متى قد سجل أقوال يسوع باللغة العبرية وأن آخرين قدموا ترجمة لها والمفترض أنها باللغة اليونانية. وقال أيضاً أن مرافق بولس وهو مرقس قد أعاد ترتيب مواعظ بطرس حول يسوع ووضعها في ترتيب معقول وألف منها كتاباً (6).

ليس هناك ما يشير إلى أن بابياس يلمح إلى متى ومرقس فهو يشير إلى الأناجيل التي سميت فيما بعد بأسماء متى ومرقس.

في الحقيقة كل شيء يقوله حول هذين الكتابين يعارض ما نعرفه عن متى ومرقس (اللذين نعرفهما): إنجيل متى ليس مجموعة من أقوال يسوع بل مجموعة من أعماله وتجاربه أيضاً: وهو لم يكن مكتوباً بالعبرية ولكن باليونانية، وهو لم يكن مكتوباً ـ كما يفترض بابياس ـ بدون الاعتماد على مرقس بل كان مبنياً على إنجيل مرقس المعروف لدينا. بالنسبة لمرقس ليس هناك شيء حول مرقسنا سيجعلك تفكر أن رواية بطرس للقصة أكثر من أنها نسخة عن أي شخصية أخرى في الرواية (مثل يوحنا ابن زبيدي). وفي الحقيقة ليس هناك ما يوحي إلى أن إنجيل مرقس بني على أساس تعاليم أي شخص على الإطلاق إن لم نقل بطرس. وبدلاً من ذلك فهو

يستمد من التراث الشفوي حول يسوع الذي سمعه «مرقس» بعد أن تم تداول تلك الأناجيل بعدة عقود.

ومع ذلك بالنتيجة وجد من الضروري تعيين أسماء مؤلفين للأناجيل الأربعة التي كانت الأكثر استخداماً في الأوساط التقليدية ليميزوها عن الأناجيل «الكاذبة» التي يستخدمها الهراطقة. وليس من الصعب اكتشاف الإنجيل الأول والرابع. وبما أنه كان يعتقد أن متى قد كتب إنجيلاً (كما فعل بابياس) فإن واحداً من الأناجيل المسمى باسمه وهو الإنجيل الذي يظن بأنه الأكثر يهودية في توجهاته لأن متّى كان على كل حال يهودياً. وكان الاعتقاد أن الإنجيل الرابع تابع لشخصية غامضة أشير إليها في ذلك الكتاب بصيغة «التلميذ المحبوب» (انظر مثلاً إنجيل يوحنا، إصحاح 20: 20 ـ 24) والذي يجب أن يكون واحداً من أقرب أتباع يسوع.

والثلاثة الأكثر قرباً ليسوع في تراثنا القديم كانوا بطرس ويعقوب ويوحنا. وقد سمي بطرس سابقاً بشكل واضح في الإنجيل الرابع ولذلك فهو لا يمكن أن يكون «التلميذ المحبوب» وكان معروفاً عن يعقوب أنه استشهد في وقت مبكر في تاريخ الكنيسة ولذا فلا يمكن أن يكون هو المؤلف. وبهذا يبقى يوحنا ابن زبيدي. لذلك فقد نسب له تأليف الإنجيل الرابع.

وقد قال بعض العلماء بأنه لا يعقل أن ينسب الإنجيلان الثاني والثالث لمرقس ولوقا إلا إذا كان الكتابان قد كتبهما شخصان اسمهما مرقس ولوقا لأنهما لم يكونا تلاميذ فعليين ليسوع بل كانا شخصين غامضين في الكنيسة القديمة. ولم أجد أبداً هذه المناقشات مقنعة أولاً لأن كون الأشخاص قد يبدون غامضين نسبياً لنا حالياً، لا يعني أنهما كانا غامضين في الأوساط المسيحية في القرون القديمة. إضافة لذلك، ينبغي ألا ننسى أنه كان هناك العديد والعديد من الكتب المنسوبة لأشخاص نعرف عنهم القليل جداً مثل فيليب وتوما ونيقوديموس. وأيضاً مرقس لم يكن مجهولاً: لقد كان في وقت من الأوقات رفيق بولس وكان يظن أنه المساعد الأول لبطرس لذلك فإن ما كتبه يمكن الوثوق به على أنه نسخة بطرس للإنجيل. وهذه العلاقة لم يعملها بابياس فقط بل هي في كتابات ترتوليان الذي يذكر صراحة «أن ما نشره مرقس يمكن التأكيد بأنه كلام بطرس الذي كان مرقس ترجماناً له» (7).

وفيما يخص الإنجيل الثالث علينا أن نتذكر أن مؤلفه أيضاً كتب ما يسمى بأعمال الرسل وهناك يدعي بشكل واضح أنه كان مرافقاً لبولس ولأن كتاب الأعمال يؤكد أن المسيحية نجحت أساساً بين الشعوب غير اليهودية وربما كان المؤلف نفسه غير يهودي. وبما أنه كان يعتقد أنه كان هناك شخص غير يهودي اسمه لوقا بين مرافقي بولس فقد نسب إلى الإنجيل الثالث.

وبعد ذلك أصبحت سلطة الأناجيل مضمونة: فاثنان منها كانا كما يقال مكتوبين من قبل شهود عيان للأحداث التي رووها (وهما متى ويوحنا) والإنجيلان الآخران كتبا من وجهة نظر اثنين من أكبر الرسل وهما بطرس (إنجيل مرقس) وبولس (إنجيل لوقا). ولكن لا يبدو أن أياً من هذين الكتابين كتبا من قبل شاهد عيان لحياة يسوع أو من قبل مرافقين لاثنين من رسله الكبار (8). ومن أجل أغراضي هنا يكفي أن نعيد التأكيد أن الكتب لا تدعي أنها مكتوبة من قبل هؤلاء الناس ومنذ القديم لم يكن هناك افتراض أن هؤلاء الأشخاص كتبوها. لا يتحدث مؤلفو هذه الكتب بصيغة المتكلم (الإنجيل الأول لا يقول أبداً «في يوم من الأيام ذهبت أنا ويسوع إلى القدس...») ولا يزعمون أبداً أنهما مرتبطان بأي من الأحداث التي يروونها أو عن الأشخاص التي يحكون قصصها. إن الكتب مجهولة المؤلف كلياً وبشكل لا يمكن تجنبه ولا تغييره. وفي الوقت ذاته كان لدى مسيحيين متأخرين أسباب وجيهة جداً لينسبوا الكتب لأشخاص لم يكتبوها.

نتيجة لذلك فإن مؤلفي هذه الكتب ليسوا هم الذين يقدمون مزاعم كاذبة عن التأليف لكن قارئون متأخرون قالوا بهذه المزاعم حولها فهي لهذا السبب ليست حالات تزوير وإنما حالات نسبة خاطئة.

حالات أخرى من النسبة الخاطئة:

يمكن أن يقال الشيء نفسه تقريباً عن الكتب المتبقية في العهد الجديد والتي هي مجهولة المؤلف. وإن العلماء متفقون تماماً في اعتقادهم أن بولس لم يكتب كتاب الرسالة إلى العبرانيين رغم أنه موضوع ضمن الكتب المعتمدة في العهد الجديد من قبل آباء الكنيسة الذين كانوا يعتقدون أن بولس كتبه (9). وتبدو رسائل يوحنا الأولى والثانية والثالثة مشابهة لإنجيل يوحنا في كثير من النواحي ولكنها أيضاً

مختلفة بشكل مدهش وخصوصاً من ناحية السياق التاريخي الذي تقتضيه. ولربما لم تكتب من قبل المؤلف ذاته والذي لم يكن يوحنا ابن زبيدي على أي حال ولكنها كتبت من قبل مسيحي متأخر كان يعيش في نفس الطائفة وبدأ يعاني من عدد من المشاكل من أولئك الذين تم افتراضهم في الإنجيل الرابع. ولكن احتاج كتاب مسيحيون متأخرون قبلوا الرسائل على أنها وثائق مقدسة أن ينسبوها إلى أحد الرسل ولذلك وجدوا من المعقول أن يقولوا إنها مثل الإنجيل الرابع قد كتبت بواسطة يوحنا بن زبيدي.

إن نسبة كتب مجهولة المؤلف إلى مرجعيات معروفة لم يتوقف عند كتابات العهد الجديد. ولكي نعطي مثالاً إضافياً سأذكر واحداً من أكثر الكتب إمتاعاً ليس لجعله في النصوص المقدسة المعتبرة.

لعدة قرون كان هناك مسيحيون اعتقدوا أن الكتاب يجب أن يضم إلى الكتاب المقدس وأعتقد أن كلنا نسر إذا لم يتم ضمه فهذا الكتاب يقدم واحداً من أقسى اللهجات على اليهود واليهودية منذ أوائل العصر المسيحي ولو تم ضمه إلى الكتاب المقدس فإن العلاقات اليهودية ـ المسيحية كانت ستصبح أسوأ بكثير مما حدث لو أمكن تصور ذلك. وقد كتب هذا الكتاب أصلاً بدون ذكر مؤلفه ولكن عزي لاحقاً إلى واحد من أقرب المقربين إلى بولس والذي كان يشاركه العمل ولذلك فهو معروف باسم رسالة برنابا (10). وهذا الكتاب هو نوعاً ما مثل رسالة لأن مؤلفه يخاطب مجموعة من القراء ولكنه في الحقيقة مثل مقالة مطولة. فكرة الكتاب هي إظهار تفوق المسيحية على الديانة اليهودية. ويقيم الكاتب فكرته بذم اليهودية كدين كان وهو كذلك دائماً ديناً مزوراً وكان كذلك طوال الفترة السابقة حتى أيام موسى نفسه. وذلك لأن بني إسرائيل بحسب هذا المؤلف، نقضوا العهد الذي عاهدهم به الله منذ البداية الأولى حين أعطي موسى الوصايا العشر. فعندما هبط موسى من جبل سيناء ومعه الوصايا بيده رأى أن الناس قد ارتكبوا الزنا قبل ذلك. ومن غضبه ألقى إلى الأرض ألواح الشريعة وحطمها إلى قطع.

ويحسب مؤلف رسالة برنابا مثل ذلك العمل تحطيم العهد (إصحاح 4: 7 ـ 8 و 14: 1 ـ 4) ولم يجدد الله العهد مع اليهود وضاع منذ ذلك الوقت وما تلاه.

وقد أعطي اليهود بالطبع تشريعات أخرى بواسطة موسى بها في ذلك مجموعة جديدة من الوصايا العشر. ولكن بما أنهم ابتعدوا عن الله فإنهم لم يفهموا أبداً هذه التشريعات وارتكبوا الغلطة المميتة بإدعائهم أن الله أراد منهم أن يتبعوها حرفياً بدلاً من أن يفهموها مجازياً. وكنتيجة لذلك فإن اليهود كانوا دائماً يسيئون فهم شرائعهم. وعندما يأمر الله اليهود أن لا يأكلوا الخنزير مثلاً فهذا لا يعني حرفياً تجنب الخنزير بل يعني أن الناس لا ينبغي لهم أن يتصرفوا كالخنزير الذي ينخر (النخير صوت الخنزير) بصوت عال عندما يكون جائعاً ولكنه يبقى صامتاً إذا شبع. على الناس أن يعودوا إلى الله بصلواتهم وليس فقط عندما يكونون في حاجة بل عندما تكون كل الأمور على ما يرام. (إصحاح 10: 1 ـ 3).

كذلك أيضاً عندما يأمر الله بمراعاة يوم السبت فهو لا يقصد أن الجميع يجب أن يكونوا كسالى يوماً من أيام الأسبوع. وإن اليوم «السابع» يجب أن يفهم بشكل رمزي بأن نضع في الذهن أنه «عند الله اليوم كألف سنة وان ألف سنة هي كيوم». وإن تعاليم السبت تعني أن يوم السبت الألف سنة يجب أن يتطلع إليها وينتظرها شعب الله. وإن الخلق سوف يستمر ستة أيام ـ ستة آلاف سنة ـ وبعدها ستكون هناك فترة ألف سنة على الأرض فيها سيحكم الله وشعبه بشكل متفوق. أساء اليهود فهم هذه الرسالة وظنوا بغباء أن الله طلب منهم ألا يعملوا في أيام السبت (إصحاح 15: 1 ـ 9).

ويستعرض برنابا عدداً من تشريعات العهد القديم ليبين أن الله لم يقصد أن تتبع حرفياً بل لتفهم بشكل مجازي. وبما أن اليهود لم يفهموا القصد فهم لم يكونوا أبداً شعب الله الحقيقي. وإن أتباع يسوع هم الذين حصلوا على التفسير الحقيقي للكتاب المقدس. ونتيجة لهذا فإن اليهود ليسوا شعب الله والمسيحيون هم شعبه. وإن العهد القديم ليس كتاباً يهودياً بل هو كتاب مسيحي.

تم نشر هذه «الرسالة» أصلاً بدون اسم مؤلف ربما لأن قارئيها الأوائل كانوا يعرفون تماماً من الذي كتبها. ولا يمكن أن يكون قد كتبها أحد أقرب العاملين مع بولس ومرافقوه برنابا، لأنها لم تظهر للوجود إلا بعد سنوات عديدة بعد موته ـ وهي عادة تؤرخ بحدود عام 130 ـ 135 من التقويم الميلادي.

ولكن لماذا عزيت أخيراً إليه؟ لا أحد يعرف بالتأكيد ولكني أعتقد أن تخميناً جيداً يمكن عمله وهو أن بعض قراء الكتاب أرادوا أن يعملوا ناحية معينة بهذه النسبة وهي ناحية كان لها صلة بالمجادلات الجارية في الديانة المسيحية في القرن الثاني بعد حوالي خمسين سنة أو أكثر من تأليف الكتاب.

في أواخر القرن الثاني كان واحد من أكبر المخاطر التي واجهت المسيحية التقليدية هو الكنيسة واسعة الانتشار التي أسسها مرقيون وأتباعه.

إن كنتم تتذكرون فقد ادعى مرقيون مرجعية بولس لفكرته القائلة بوجود إلهين اثنين وهم الإله الأصغر الغضوب إله العهد القديم، والإله المحب الكبير إله يسوع. وكان الاعتقاد أن بولس هو الممثل الحقيقي لرسالة يسوع وهو الشخص الذي فهم بأن الخلاص يأتي منفصلاً عن الشريعة اليهودية. وقد أخذ مرقيون تفريق بولس بين إنجيل المسيح وشريعة اليهود إلى حد متطرف لدرجة أنه لا يوجد في الواقع أي صلة بينهما. كان المسيح يمثل إلهاً مختلفاً. وإن إله العهد القديم الذي هو إله اليهود إله الخلق والتشريع كان من الواجب على المسيحيين تجنبه لا عبادته. ولذلك رفض مرقيون العهد القديم كاملاً قائلاً إنه لا علاقة له بإنجيل يسوع. وتتخذ رسالة برنابا وجهة نظر مختلفة. في الواقع يمكن للمرء القول إنها تتخذ وجهة نظر معاكسة تماماً. فهنا وبدلاً من ألا يكون له علاقة بالمسيحية ورسالة يسوع فإن العهد القديم له كل الصلة معهما. إنه الكتاب المسيحي بامتياز لأنه يدعو إلى إنجيل المسيح - مجازياً.

لماذا إذن نسبة الكتاب إلى أقرب المقربين من بولس؟

لأنه بهذا يصبح الكتاب ممثلاً لوجهة نظر بولس الحقيقي على عكس نظرة بولس مرقيون الذي يفترض أنه ليس له علاقة بالعهد القديم وتشريعه. والآن نجد بولس بارتباطه ببرنابا يعلن الرسالة الحقيقية.

إن العهد القديم في الحقيقة هو كتاب مقدس إنه الحقيقة من عند الله. إنه المناداة بإنجيل المسيح وهو كتاب مسيحي بالكامل.

فإذن بعزو هذه الرسالة الشعبية لبرنابا تمكن خصوم مرقيون من إدعاء أن بولس مؤيد لرأيهم ومن إظهار أن الرسول كان يدعم فهم المسيحية التي كانت على خلاف كبير مع الآراء التي قدمها كبير هراطقة القرن الثاني الذي زعم أن بولس في صفه.

الاختلاقات:

كما سبق أن أشرت فإن النسبة الخاطئة أو الكاذبة لا تعني بالضرورة خداعاً وقد تكون بكل بساطة قد تمت عن طريق الخطأ أو عن طريق «أفضل تخمين» حول مؤلف عمل لم يذكر كاتبه. وحدسي هو أن معظم الكتاب الذين ادعوا أن شخصاً مشهوراً معيناً كان هو مؤلف هذه الكتابة أو تلك ربما كانوا يعتقدون أن ذلك صحيح سواء عرفوا أم لم يعرفوا الحقيقة. والشيء ذاته لا يمكن بالتأكيد أن يقال عن المزورين. فأياً كان كاتب الرسالة الأولى إلى تيموثاوس كان يعرف تمام المعرفة أنه لم يكن الرسول بولس ولكنه اختلق ذلك الدور.

وهناك أيضاً أنواع أخرى «مختلقة» كذلك. لكن كما هو الحال مع حالات النسبة الكاذبة فإنه ليس من الواضح دائماً أن الشخص الذي يكتب هذا العمل الأدبي يعرف أنه مختلق. فقد يظن أن ما يقوله صحيح وعندما يتعلق الأمر بروايات تاريخية فقد يظن أن ما يقوله حقيقي من الناحية التاريخية حتى لو كانت روايته في الواقع أسطورية.

وبالطبع من الممكن دائماً أنه حتى في مثل هذه الحالات فإن المؤلف الذي يختلق القصة قد يعتقد أنها حصلت فعلاً. وفي بعض الأحيان نجد أن القصص يبدو أنها تظهر من المجهول ولكن في كثير من الحالات فإنه من المؤكد أن الشخص الذي اختلق القصة يعرف ماذا يفعل.

لقد رأينا عدداً من القصص المختلقة من قبل في كتب مزورة. وأياً كان المؤلف الذي زور إنجيل بطرس فقد كتب رواية عن خروج يسوع من القبر وكان طويلاً جداً حتى أن رأسه وصل إلى ما فوق السماء وكان معه صليب يمشي ويتكلم خارجاً وراءه. إن هذه ليست رواية تاريخية إنها خيال. وأنا أسميها «اختلاق» أي «قصة تم اختراعها لكي تنطلي على الناس كحدث تاريخي».

في حالات كثيرة يتم نشر الاختلاقات من قبل مؤلفين مجهولين ليسوا مزورين. وكانت هذه مثلاً حالة الروايات الموجودة في أعمال بطرس التي تحكي قصصاً عن منافسات حصلت فيها أعمال خارقة بينه وبين سمعان الساحر والتي يجري فيها بعض الأعمال المذهلة كإخراج سمكة تونا مدخنة من بين الأموات. وهذه

الروايات «التاريخية» هي في الحقيقة اختلاقات. وأياً كان الذي اختلقها ـ سواء مؤلف النص أو شخص روى القصة شفهياً قبل أن يسمعها المؤلف ـ فقد كان يروي شيئاً يمكن أو ربما أو لعله عرف أنه ليس دقيقاً من الناحية التاريخية.

وهكذا أيضاً الحال بالنسبة لأعمال بولس (أو أعمال بولس وتقلا) حيث يقال إن بولس قد بشر بإنجيل مميز عن الخلاص الذي قال إن الشخص يكون صالحاً عند الله وينجو ليس من خلال موت يسوع وقيامته بل بأن يعيش حياة عفيفة متجنباً كل عمل جنسي.

وكما حصل في أساطير قديمة (كما ذكر في الفصل الثاني) يكون من الصعب غالباً معرفة ما إذا كان قراء قصص كهذه نظروا إليها على أنها روايات تاريخية أم مجرد روايات للتسلية أو كشيء آخر.. ولكن في كثير من الأحيان يتضح أن بعض القراء فهموا مثل هذه القصص أنها «كاذبة» لأنها جوبهت بشكل صاخب في بعض الأوساط. ويحتاج المرء أن يفكر فقط بردة فعل سيرابيون على إنجيل بطرس (انظر الفصل الثاني) أو بكلمات ترتوليان القاسية حول أعمال بولس (الفصل الثالث). في الحالين تم النظر إلى محتويات القصة كشيء غير مقبول واتهمت الرواية بأنها قد اختلقت لكي تروج الفهم الخاطئ للعقيدة.

وهذا يبين أن مثل هذه الاختلاقات التاريخية بالنسبة لبعض القراء كان ينظر إليها فقط كقصص خيالية غير ضارة ولكنها إما أن تكون قصصاً مزيفة لأنها لا تنقل «الحقيقة» أو كتواريخ خاطئة لأنها روت أحداثاً لم تحدث في الواقع. وفي كلا الحالين وبرأي خصومهم كانت اختلاقات ضارة. وسواء كانت ضارة أم لا فإن اختلاقات عديدة تم تداولها في الكنيسة القديمة حول يسوع والذين ارتبطوا به: عائلته وتلاميذه ومعارفه الآخرون. وإن لدينا العشرات من أمثال هذه القصص من القرون الأربعة الأولى للكنيسة.

إنجيل يعقوب الأولي (أو التمهيدي):

إن أحد أكثر المجموعات تأثيراً من الناحية التاريخية من أمثال هذه القصص نجده في كتاب يدعى إنجيل يعقوب الأولي. وقد كان هذا الإنجيل يتمتع بشعبية كبيرة بين المسيحيين طوال العصور الوسطى ـ وكان أكثر شعبية حتى من كتب كثيرة في الكتاب المقدس.

كان له تأثير كبير على الخيال المسيحي وكذلك على الفن المسيحي (12). وقد سماه القراء إنجيلاً أساسياً لأنه بشكل رئيسي يروي أحداثاً رشحت إلى الجماهير قبل روايات ولادة وحياة يسوع الموجودة في أناجيل العهد الجديد. ويخص الكتاب بشكل كبير مريم والدة يسوع وما يتعلق بولادتها وبداية حياتها وحملها وولادتها ليسوع. وقد قلت إنه مزور لأنه يدعي خطأً انه مكتوب من قبل يعقوب أخو يسوع غير الشقيق الذي هو في هذه الرواية ابن يوسف من زواج سابق. وهناك حوارات حول الوقت الذي كتب فيه أول مرة ولكن بما أنه يظهر أن لديه معرفة بأناجيل متى ولوقا من نهاية القرن الأول ويظهر أنه تمت الإشارة إليه من قبل العالم اللاهوتي أوريجن (Origen) في بداية القرن الثالث فهو غالباً ما يتم تأريخه في وقت ما وسط إلى أواخر القرن الثاني.

إن إحدى المسائل الرئيسية التي تدفع هذه الرواية تتعلق بملائمة مريم لدورها كأم لابن الله. من المؤكد أن أم يسوع لم تكن امرأة عادية! وفي هذه القصة نجد أن مريم ليست عادية أبداً فولادتها بالذات كانت شيئاً معجزاً. أمها حنّة (Anna) امرأة عقيم ولكنها تحمل بشكل معجز نتيجة لدعواتها ودعوات زوجها الثري الارستقراطي اليهودي الذي اسمه جوباشيم وعندما كانت طفلة كانت مريم متميزة بشكل غريب. فمنذ ولادتها كانت منذورة لله وأخذها والداها إلى المعبد اليهودي المقدس وهي في سن الثالثة وتربت هناك على يد الكهنة الذين لا يحتاجون حتى إلى إطعامها لأنها كانت تتلقى طعامها اليومي من يد أحد الملائكة.

وعندما قاربت سن البلوغ لم يعد بإمكانها البقاء في المعبد ربما لأن الحيض كان يعتقد أنه يسبب نجاسة معنوية. ولذلك اجتمع الكهنة ليقرروا كيف يجدون لها زوجاً. وبإلهام من الله تعالى جعلوا كل رجال اليهود العازبين يجتمعون وأتى كل واحد منهم بعصا خشبية. وجمع الكاهن الأكبر كل العصي وأدخلها إلى حرم المعبد. وفي اليوم التالي أعاد توزيع العصي على الرجال وظهرت آية عظيمة. خرجت حمامة من عصا يوسف وطارت في جولة ثم حطت على رأس يوسف. وبهذا الشكل كان هو الذي اختير ليتخذ مريم زوجة له.

لكن يوسف يتردد كثيراً بما أنه رجل مسن سبق له أن ربى أولاداً ومن المؤكد أنه سيكون موضع سخرية بين أقرانه الإسرائيليين إذا تزوج فتاة شابة كهذه. وأقنع كبير الكهنة يوسف بأنه لا خيار له ولذلك يقبل الزواج بمريم.

وتستمر الحكايات حول مريم ويوسف وغالباً ما تضخم الروايات الموجودة في أناجيل العهد الجديد كمتى ولوقا (وهما الإنجيلان الوحيدان في العهد الجديد اللذان يتحدثان عن ولادة يسوع) وأحياناً تعطي قصصاً جديدة كلياً ولا شيء أكثر غرابة وذكراً من رواية ما حدث مباشرة بعدما ولدت مريم يسوع خارج بيت لحم. ويقال أن يوسف اضطر ليذهب ويأتي بقابلة تستطيع أن تساعد في عملية الولادة. ويجد واحدة ولكنه وإياها يصلان بعد فوات الأوان. ففي أثناء المجيء إلى الكهف الذي تركت فيه مريم يريان ضوءاً ساطعاً وبعد ذلك يظهر طفل من المجهول. وتقتنع القابلة فوراً أن هذه كانت ولادة معجزة وتنطلق مسرعة لتجد رفيقة لها اسمها سالومي التي ترفض تصديق أن العذراء قد ولدت. وتأتي إلى الكهف وتقرر أن تجري فحصاً بعد الولادة لترى إن كان غشاء بكارتها قد بقي دون أن يمس. ووجدته فعلاً كذلك وهذا لم يفاجئ القراء. لكن يد سالومي بدأت تشتعل وكأنها أحرقت بالنار. كان ذلك عقوبة لها لأنها رفضت الاعتقاد بقدرة الله عند ولادة يسوع. وعندما دعت الله وطلبت المغفرة أمرت بأن تحمل الطفل وعندما رفعته شفيت يدها.

العديد من الحكايات الأخرى عن المعجزات موجودة في الرواية وكلها طبعاً نشأت في مخيلات أناس أتقياء رووا القصة أو في خيال المؤلف وليس في الأحداث التاريخية. وهذه ليست رواية أحداث صحيحة انتشرت فعلاً بل هي قصص لاحقة وضعت تحت ستار الرواية التاريخية. فهل قرئت كروايات تاريخية أم فقط كروايات للتسلية؟ ويمكن القول بأنها قرئت في كلا الطريقتين. بنى بعض المسيحيين إدعاءات لاهوتية جادة عليها مثل عقيدة «عذرية مريم الدائمة» أي الفكرة التي تقول إن مريم بقيت عذراء حتى بعد ولادتها لعيسى. مثل هؤلاء المسيحيين اعتقدوا بالتأكيد أن هذه الروايات كانت «حقيقة» ومن المؤكد أن كثيراً منهم (معظمهم؟) صدقوا أن الأحداث روت فعلاً ما قد حصل.

إنجيل متى ـ الزائف:

الشيء نفسه يمكن أن يقال عن القصص الموجودة في إنجيل متى الزائف. وقد سمي هكذا لأنه كان هناك اعتقاد في العصور الوسطى أنه كتب من قبل متى نفسه.

ولكن الكتاب أصلاً كان نسخة من الإنجيل الرئيسي أعيد العمل عليها بشكل كبير. وقد تم الزعم أيضاً أنه كتب من قبل يعقوب الأخ غير الشقيق ليسوع (13).

ومن بين أكثر الروايات إمتاعاً لهذه القصة معجزات يسوع التي يؤديها عندما ترحل العائلة المقدسة إلى مصر بعد ولادته. نعرف مثلاً أنهم يتوقفون في طريقهم للاستراحة خارج أحد الكهوف. وما أفزع يوسف ومريم أنه خرج من الكهف مجموعة كبيرة من التنانين (ج تنين) ولكن يسوع الذي كان عمره سنتين لم يكن خائفاً أبداً بل تهادى في مشيته ووقف أمام الوحوش المرعبة. وعندما رأوا من هو انحنوا أمامه عابدين. ويخبرنا المؤلف أن هذا كان تحقيقاً لنبوءات الكتاب المقدس التي تقول: «ثم تحقق ما قاله النبي في المزامير: وسبحوا الرب من الأرض أيها التنانين ومن كل أماكن الهاوية». إشارة إلى النسخة اليونانية للمزمور 148: 8.

وفيما بعد في رحلتهم توقفت العائلة لتستريح تحت شجرة نخيل وتنظر مريم أم يسوع بحزن إلى الفاكهة في أعلى الشجرة على الأغصان وتتمنى لو كان هناك طريقة تحصل فيها على بعض الفاكهة لتأكلها. ويوبخها يوسف لأنه من الواضح أنه لا سبيل لتسلق الشجرة لكن يتدخل يسوع الفتى الصغير ويأمر الشجرة أن تنحني لتقدم الفاكهة الثمينة لأمه فتفعل ذلك. وتأكل مريم حتى تشبع ثم يبارك يسوع الشجرة بسبب طاعتها لأمره ويخبرها بأن أحد أغصانها سيحمل إلى الجنة ويغرس في الفردوس مكافأة لها على عملها. وعلى الفور ينزل ملك ويأخذ الغصن إلى مكانه السماوي الجديد.

وعندما وصلت العائلة إلى مصر لم يكن هناك مكان يقيمون فيه ولذلك بحثا عن ملجأ ذهبوا إلى أحد المعابد الوثنية. وفي داخل المعبد كان موجوداً 365 صنماً تمثل الآلهة المعبودة، صنم لكل يوم من السنة، ولكن عندما دخل يسوع خرت الأصنام على وجهها خاضعة للإله الحقيقي في وسطها. وعندما علم الحاكم المحلي بما حدث أتى بنفسه وبجل الطفل قائلاً لكل أصدقائه وكامل جيشه أن رب كل الآلهة قد أتى وصار بينهم الآن.

إنجيل الطفولة الذي ألفه توما:

قريباً من الفترة التي كان إنجيل يعقوب الأولي قد بدأ تداوله بين الناس ظهرت رواية أخرى مختلقة حول يسوع وتعرف حالياً باسم إنجيل الطفولة الذي

ألفه توما (Thomas) (14). وإن تقديم هذه الرواية هي مسألة سأل عنها مسيحيون عديدون عبر العصور: إذا كان يسوع هو صانع المعجزات ابن الله في وقت الرشد فكيف كانت حياته كطفل؟ إن إنجيل الطفولة يحتوي قصصاً حول حياة يسوع بين سن الخامسة والثانية عشرة.

تبدأ القصة بيسوع وهو ابن خمس سنوات يلعب إلى جوار بيته في الناصرة (مدينة في فلسطين) حيث يجمع بعض ماء الجدول في بركة صغيرة ويأمرها بأن تصبح صافية فتصبح كذلك بمجرد قوله كلمته. وبعدها ينحني يسوع ويشكل اثني عشر طائراً من الطين. وانزعج رجل يهودي كان ماراً من هناك لأنه يوم السبت ويسوع قد خالف الشريعة بسبب «العمل». وتوجه الرجل لإخبار يوسف ماذا فعل ابنه فيعود يوسف مسرعاً إلى الجدول ليوبخ الصبي على انتهاكه حرمة السبت. ورداً على ذلك يصفق يسوع بيديه وينادي الطيور كي تحيا وتطير بعيداً وهكذا كان. ويصور يسوع هنا بأنه فوق الشريعة وأنه رب الحياة. وفوق ذلك فقد نجا من توبيخ أبيه بإزالة أي دليل يدينه: الطيور الطينية؟ أي طيور؟

طفل آخر كان يلعب إلى جانب يسوع يأخذ غصناً ويبعثر الماء الذي كان يسوع قد جمعه بعناية. وهذا الشيء يغضب يسوع الصغير فيقول للولد: «أنت أيها المغفل قليل الأدب! بماذا أزعجتك برك الماء الصغيرة؟ انظر الآن أنت أيضاً ستذبل كما تذبل الشجرة وأبداً لن تحمل أوراقاً أو جذوراً أو ثماراً» وفي الحال يموت الولد في مكانه.

في القصة التالية يقال إن يسوع كان يمشي في طرقات قريته عندما ركض باتجاهه صبي وصدمه فجأة في كتفه. وينزعج يسوع ويقول للصبي: «لن تذهب بعيداً في طريقك» ويقع الصبي على الأرض ميتاً. ويحمله والداه بعيداً ويقولون بعض الكلمات القاسية ليوسف «بما أن لديك مثل هذا الطفل فليس بإمكانك أن تعيش معنا في القرية. أو علمه كي يبارك لا ليلعن - فإنه يقتل أطفالنا».

ويقرر يوسف نتيجة لذلك أن يسوع يحتاج إلى تعليم وفي ثلاث مناسبات يرسله إلى معلمين يحاولون توجيهه ولكن بلا فائدة. في إحدى المرات يحاول المعلم أن يعلم يسوع الأبجدية باللغة اليونانية ويمارس الحفظ معه لكن يسوع لا يستجيب

إلى أن قال أخيراً للمعلم: «إن كنت حقاً معلماً وتعرف الحروف جيداً قل لي قدرة ألفا (أي الحرف الأول في الأبجدية) وأنا سأخبرك بقوة بيتا (الحرف الثاني)». ويغضب المعلم ويضرب يسوع على رأسه. غلطة كبيرة، فيلعنه يسوع ويموت المعلم من فوره. ويعيد يوسف يسوع إلى البيت قائلاً لمريم: «لا تدعيه يخرج من الباب فالذين يغضبونه يموتون».

ولكن بعد ذلك يبدأ يسوع باستخدام قدرته لا ليؤذي أحداً بل ليساعدهم: كإحياء أطفال ميتين وشفاء أخيه يعقوب من عضة أفعى قاتلة وإثبات أنه كان نافعاً بشكل كبير بمهاراته الخارقة أمام دكان والده النجار. وتنتهي الرواية بيسوع ابن الاثني عشرة سنة في المعبد بالقدس يظهر ذكاءه وقدراته الفائقة الروحية في مناقشات مع معلمي الشريعة، وهي قصة معروفة أيضاً في إنجيل لوقا.

ومن الصعب ان نعرف ماذا نفعل بهذه القصص عن الطفل الخارق يسوع (15). بعض القراء العصريين اعتقدوا بأنها تصور يسوع بشكل سلبي جداً في الحقيقة. ولكنه من غير الواضح أن القراء المسيحيين كانوا سيرونها بتلك الطريقة. ولربما كانت القصص مصممة فقط كنوع من التسلية المسيحية الحسنة. أو ربما كانت محاولات جادة لتبين كيف كان ابن الله صانع المعجزات فعالاً وممتلئاً بالقدرة الإلهية حتى في السنوات المبكرة من عمره قبل زمن طويل من تلقي رسالته علناً.

اختلاقات ضمن الكتب المعتمدة:

ينبغي ألا نظن أن المسيحيين بدؤوا اختلاق القصص حول يسوع فقط بعدما اكتمل العهد الجديد. في الحقيقة يمكن أن يكون هناك قليل من الشك بأن بعض الروايات قد جرى اختلاقها في السنين الأولى من الحركة المسيحية. وبعض هذه الاختلاقات وجدت طريقها إلى العهد الجديد.

بإمكاننا الذهاب إلى أبعد مدى في الحديث عن روايات العهد الجديد التي تهدف إلى تقديم الأحداث التاريخية ولكنها في الواقع قصص مختلقة ويمكن أن نجد أمثال هذه الروايات ضمن القصص حول ولادة يسوع وحياته وتعاليمه وموته وقيامته بالإضافة إلى القصص بعد موته حول أتباعه بطرس وبولس في كتاب أعمال الرسل.

وفيما يتعلق بقصص ولادة يسوع لا يحتاج المرء أن ينتظر الأناجيل المتأخرة المذكورة أعلاه ليبدأ برؤية الروايات المختلقة فهي موجودة مسبقاً في نسخ متى ولوقا المألوفة. لم يكن هناك إحصاء رسمي للسكان في زمن حكم القيصر أوغسطس ليجبر يوسف (النجار) ومريم على الذهاب إلى بيت لحم قبل ولادة يسوع. ولم يكن هناك أبداً نجم دل بشكل عجيب الحكماء القادمين من الشرق إلى مكان يسوع، وهيرود الكبير لم يذبح كل المواليد الصبيان في بيت لحم، ويسوع وعائلته لم يقضوا أبداً سنوات عديدة في مصر.

قد تبدو هذه كأقوال جريئة واستفزازية ولكن العلماء قد عرفوا الأسباب والدليل وراءها منذ سنوات عديدة، ولكن بما أنني أخصصها باهتمام كبير هي وروايات أخرى مختلقة في الأناجيل، في كتاب آخر حديث فلن أدخل هنا في التفاصيل (16).

من المستحيل تقريباً أن نقول ما إذا كان الناس الذين ركبوا ونشروا هذه القصص كانوا مشابهين للمزورين الذين عرفوا تمام المعرفة أنهم منخرطون في نوع من الخداع أو أنهم بدلاً من ذلك كانوا مثل أولئك الذين نسبوا زوراً كتباً مجهولة المؤلف إلى مؤلفين معروفين دون أن يعرفوا أنهم كانوا مخطئين.

وفي تقديري أن معظم الناس الذين رووا هذه القصص كانوا يؤمنون بحق أنها حصلت فعلاً. ورغم ذلك فلا ينبغي أن نقول أن هؤلاء القصاصين لم يشتركوا في الخداع. ربما لم يقصدوا خداع الآخرين (أو ربما قصدوا!) ولكن من المؤكد أنهم خدعوهم.

في الحقيقة لقد خدعوا الناس بشكل مذهل. فلقرون عديدة وعديدة كان يفترض ببساطة أن الروايات حول يسوع والرسل ـ روايات داخل وخارج العهد الجديد ـ وصفت الأحداث التي وقعت حقاً. وما يزال معظم القراء يقرؤون الروايات المعتمدة بتلك الطريقة. لكن كثيراً من هذه القصص ليست روايات تاريخية. بل هي أحداث مختلقة سواء ألفت عمداً لكي تثبت فكرة ما أو أنها أوجدت ببساطة بطريقة ما عندما مرر المسيحيون «معلومات» حول يسوع والناس المرتبطين به.

حالات التحريف:

إضافة إلى التزوير والنسبة الخاطئة والاختلاق هناك نوع آخر من العمل الأدبي الخادع الذي يمكن تسميته «تحريفاً» وهذا ما يحدث عندما ينسخ شخص ما نصاً لأحد المؤلفين يدوياً ولكنه يغيره بطريقة ما يحذف شيئاً أو يضيف شيئاً أو يقوم بتغيير صيغة الكلام. فلو أن شخصاً نسخ رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس وأضاف عبارات قليلة أخرى من عنده فإن الشخص الجديد الذي يقرأ تلك المخطوطة فهو بالطبع سيظن أن بولس بالذات هو الذي كتب الكلمات المضافة. وهذا مشابه تماماً لما يحصل في التزوير: يكتب أحدهم كلماته ولكنه يعزوها إلى شخص آخر إلا أنه في هذه الحالة بدلاً من أن ينشئ الوثيقة كاملة باسم شخص آخر فإن المقلد قد كتب جزءاً من الوثيقة وأدخله في كتاب الشخص الآخر.

إن ممارسة تحريف النصوص في أثناء نسخها حصل طوال الوقت في العصور القديمة (17). وفي عالم بدون وسائط نشر إلكترونية وآلات تصوير ضوئي أو حتى ورق النسخ الكربوني كان من شبه المستحيل أن نضمن أن تكون أي نسخة لنص ما ستكون صحيحة مائة بالمائة بدون تغيير من أي نوع. وهذا ينطبق على كل الكتب التي جرى نسخها في العالم القديم. ولهذا السبب كان الملوك العظام إذا أرادوا إنشاء مكتبات هامة في مدنهم كانوا راغبين أحياناً في دفع مبالغ طائلة من المال للحصول على «أصول» الكتب الهامة. وليس بإمكانك أبداً أن تكون متأكداً إن كانت النسخ صحيحة بالكامل ومطابقة للأصل.

إن جميع الكتابات المسيحية القديمة كانت بالضرورة معرضة لتغييرات النسخ. ولا نملك أي نسخ أصلية لأي من كتب العهد الجديد أو أي من الكتب المسيحية القديمة الأخرى. وما لدينا الآن هو نسخ صنعت من نسخ عن النسخ. وفي معظم الحالات نجد أن أقدم نسخنا الكاملة جاءت من قرون بعد زمن الكتب الأصلية.

إن كل ناسخ تقريباً عمل أخطاء في أثناء النسخ. وكنتيجة لهذا إذا كنت ستنسخ نسخة من الأصل ففي معظم الحالات لن تنسخ فقط كلمات الأصل بل أيضاً الأخطاء التي عملها سلفك أثناء عمله. وكل من يأتي بعدك وينسخ من نسختك سيعيد أخطاءك وأخطاء سلفك أيضاً إضافة إلى أخطائه هو/ هي. وهكذا

يستمر الأمر سنة بعد سنة وقرناً وراء قرن. والمرة الوحيدة التي تزال بها الأخطاء هي عندما يدرك ناسخ أن أحد أسلافه نسخ شيئاً خطأ ويحاول بعد ذلك أن يصحح الخطأ. المشكلة هي أنه لا سبيل لمعرفة ما إذا كان الناسخ يصحح الخطأ بشكل مناسب أم لا، فقد يصححه بشكل خاطئ أي يغيره إلى شيء مختلف عن كل النسخة التي يقلدها وعن الأصل الذي تم النسخ عنه في البداية. والاحتمالات لا حصر لها.

لا نحتاج للتخمين أن الكتبة أو النساخ المسيحيين حرفوا النصوص التي قاموا بنسخها. فبإمكانك أن تأخذ أي كتاب من أوائل العهد المسيحي وتقارن النسخ الباقية إلى الآن سواء كانت من كتب العهد الجديد ولنقل واحداً من الأناجيل أو إحدى رسائل بولس أو كتاباً من خارج العهد الجديد مثل «إنجيل الطفولة لتوما» أو «رسالة برنابا». وستجد كل النسخ مختلفة غالباً في كثير من الأمور البسيطة التافهة وأحياناً في أمور كبيرة.

وفي الغالبية العظمى من الحالات نرى أن التغييرات التي قام بها النساخ كانت بمجرد الصدفة: زلة قلم، خطأ إملائي لكلمة، وأحياناً حذف كلمة من أحد السطور. ولكن في بعض الأحيان غير الكتبة نصوصهم لأنهم أرادوا أن يفعلوا ذلك إما لأنهم اعتقدوا أن الناسخين قبلهم ارتكبوا خطأ يجب تصحيحه أو لأنهم أرادوا إضافة شيء إلى النص (أو حذف شيء أو تبديل شيء). وكما أشرت سابقاً فإن هذا النوع من التحريف قريب من التزوير؛ إنه واحد من المؤلفين يمررون كلماتهم على أنها كلمات لأحد المراجع المرموقة.

لقد تحدثت عن هذه الأنواع من التغييرات في عدد من كتبي السابقة ولا أريد أن أطرق الموضوع ثانية هنا. بدلاً من ذلك أقدم فقط بعض الأمثلة عن الأشياء التي أقصدها من الصفحات الموجودة في العهد الجديد.

في الفصل الخامس تحدثت حول القصة المشهورة الموجودة في مخطوطات متأخرة من إنجيل يوحنا حول المرأة التي ضبطت في حالة زنا وأحضرت إلى يسوع كي يعطي حكمه فيها. هذه هي القصة التي يلقي فيها يسوع أشهر أقواله: «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر». لكن القصة ليست موجودة في أقدم مخطوطات إنجيل يوحنا. إضافة إلى أن أسلوب الكتابة (باللغة اليونانية) مختلف بشكل كبير عن أسلوب كتابة باقي الإنجيل.

والقصة، زيادة على ذلك، تقطع سياق رواية يوحنا إصحاح 7 ــ 8 حيث وجدت. أي أنك إذا حذفت القصة من إنجيل يوحنا فإن سياق الكلام يبقى معقولاً أكثر لأن القصة مباشرة قبل هذا الحدث كانت تنساب بشكل مباشر إلى القصة التي تليها. لأنه من أجل هذا ومن أجل أسباب عديدة غيرها لا يوجد فعلياً أي حوار بين علماء العهد الجديد بأن هذه القصة بقدر ما هي رائعة وقوية ومؤثرة إلا أنها لم تكن أساساً جزءاً من العهد الجديد لقد تمت إضافتها من قبل أحد النساخ.

نحن نتعامل في هذه الحالة مع تحريف للنص (أي جعله شيئاً مختلفاً عما قيل في الأصل) ومع اختلاق (لأن هذه القصة تم اختلاقها). وهناك العديد من الحالات الأخرى من هذا النوع في المخطوطات المحفوظة للعهد الجديد. ونجد مثالاً آخر مشهوراً في نهاية إنجيل مرقس.

أحياناً يقول بعض الناس الذين لم يقرؤوا الفصل الختامي لإنجيل مرقس بما يكفي من التمعن: «إنه ينقصه قصة قيامة يسوع» وإذا تحدثنا بدقة فهذا ليس صحيحاً. في إنجيل مرقس من المؤكد أن يسوع قام من بين الأموات. والنسوة ذهبن إلى القبر بعدما دفن بثلاثة أيام لكي يعطوا جسده دفناً لائقاً لكن الجثة لم تكن موجودة. وبدلاً من ذلك يجدون رجلاً في القبر يخبرهم أن يسوع رفع من بين الأموات، ولذلك يعتقد مرقس أن يسوع رفع جسدياً من بين الأموات ويخبر قراءه بذلك. لكن أكثر ما يثير الغرابة هو ما حدث بعد ذلك. الرجل الذي كان في القبر يأمر النسوة أن يذهبوا إلى الحواريين ويخبروهم أن يسوع سيسبقهم إلى الجليل وأن عليهم أن يلاقوه هناك. ولكن بدلاً من إخبار الحواريين «هربت النسوة من القبر... ولم يقولوا شيئاً لأي أحد لأنهن كن خائفات» (إصحاح 16: 8). وها هنا ينتهي الإنجيل. وبالتأكيد يوجد ذكر لقيامة يسوع هنا. لكن الحواريين لم يسمعوا به وليس هناك ذكر للقاء يسوع مع أي منهم. هذه الخاتمة ذكية جداً فهي تفاجئ القراء وتجعلهم يقولون: «ماذا؟؟؟ كيف لم تخبر النسوة أحداً؟ كيف لم يعلم أحد بقيامة يسوع؟ كيف لم يظهر يسوع لأحد بعد ذلك؟ هل هذا كل شيء؟ هل هذه هي النهاية؟ كيف يمكن أن تكون تلك هي النهاية؟».

لقد شعر الناسخون بمثل هذا. وأضاف عدة ناسخين نهايات مختلفة للإنجيل. والنهاية التي أصبحت الأكثر شعبية وانتشاراً طوال العصور الوسطى

وجدت في المخطوطات التي استعملها مترجمو نسخة الملك جيمس في عام 1611 حتى أنها أصبحت مألوفة تماماً لقراء الكتاب المقدس الإنكليزي. ففي اثني عشر عبارة إضافية تقوم النسوة (أو على الأقل مريم المجدلية) بالذهاب لإخبار تلاميذ يسوع الذين رأوا بعد ذلك يسوع واقتنعوا بقيامته من بين الأموات. وإنه في هذه العبارات نجد كلمات يسوع الشهيرة بأن الذين يؤمنون به سيتمكنون من التحدث بلغات أجنبية وأن يمسكوا الأفاعي وأن يشربوا السم بدون أن يصيبهم أي أذى.

لكن يسوع لم يقل أبداً هذه الكلمات ولم يدع مرقس أبداً أنه قالها. لقد تمت إضافتها إلى إنجيل مرقس بواسطة أحد النساخ ثم تم نسخها مرات عديدة على مر السنين (18). هذه قصة مختلفة جرى إضافتها إلى الكتاب المقدس من قبل ناسخ حرّف النص الأصلي.

وهناك مئات من التغييرات الكبيرة في مخطوطات العهد الجديد لكن دعوني هنا أذكر فقط حادثة أخرى. في الأمثلة السابقة كان بإمكان المرء أن يقول أن التحريفات لم تكن تماماً مثل حالات التزوير لأن كلاً من يوحنا في المثال الأول ومرقس في المثال الثاني كانا يكتبان باسم مستعار. ومن الناحية الفنية نرى أن النساخ الذي غيروا النصوص لم يقولوا إن كلماتهم جاءت من قلم شخص معتمد معروف. ولكني أعتقد أني أختلف مع هذا الإدعاء لأنه في الوقت الذي عمل فيه النساخ هذه التغيرات كان الاعتقاد السائد أن الإنجيل الرابع كان في الواقع ليوحنا والثاني لمرقس. غير أنه لا يوجد أي غموض حول مثالي الأخير لأنه يتضمن إحدى رسائل بولس التي لا نزاع حولها.

إن أحد أكثر المقاطع إيذاء لقضية النسوة اللاتي يرون أن يكن فاعلات في الكنيسة المسيحية نجده في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، إصحاح 14: 34 ـ 35. وهنا تم تسجيل قول بولس: فلتصمت نساؤكم في الكنائس فلا يجوز لهن التكلم وعليهن أن يخضعن كما تقول الشريعة. فإن أردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن أزواجهن في البيت لأنه عيب على المرأة أن تتكلم في الكنيسة.

على النساء أن يكن صامتات ويخضعن لأزواجهن. عليهن ألا يتكلمن أبداً في الكنيسة. هذا بالطبع يجعل من المستحيل على المرأة أن تتلفظ بنبوءة في الكنيسة.

ولا أن تصلي أمام الملأ علناً في الكنيسة ولا أن تعلم في الكنيسة. وغير مسموح للنساء حتى أن يسألن سؤالاً في الكنيسة.

هذه العبارات تشبه كثيراً ما يقرؤه الإنسان في إحدى رسائل بولس التي هي معتمدة وهي الرسالة الأولى إلى تيموثاوس التي - كما رأينا في الفصل الثالث - تشير أيضاً أن النسوة عليهن أن يخضعن للرجال وألا يمارسن أي سلطة عليهم (إصحاح 2: 11 - 15). ولكن كما أن الرسالة الأولى إلى تيموثاوس مزورة، كذلك أيضاً تم تزوير هذا المقطع في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس. هذه العبارات في الفصل 14 لم تكن مكتوبة من قبل بولس، لقد أضافها أحدهم إلى النص فيما بعد، أي بعد أن سبق تداول الرسالة بين الناس.

لقد أورد العلماء أسباباً كثيرة لهذا الرأي. فأولاً يبدو أن العبارات تقاطع النص الذي وجدت فيه. قبل هذه العبارات مباشرة كان بولس يتحدث عن النبوة في الكنيسة وبعدها مباشرة يتحدث عن النبوة. لكن هذه القصة عن النساء تقطع جريان النقاش. احذف هذا المقطع تجده يجري بشكل أفضل بكثير. والأكثر من ذلك فمن الصعب التصديق أن بولس سيقول للنساء أنهن لا يمكنهن التكلم في الكنيسة هنا في الرسالة الأولى إلى كورنثوس (إصحاح 14) عندما كان قبل ذلك بثلاثة إصحاحات قد أشار إلى أنهن حقاً بإمكانهن ذلك.

وفي الرسالة / 1/ كورنثوس إصحاح 11 يحض بولس النساء اللاتي يصلين ويتنبأن في الكنيسة أن يفعلن ذلك فقط بوجود أغطية على رؤوسهن. فإذا كن قد سمح لهن بأن يتكلمن في الإصحاح 11 فكيف لا يمكنهن فعل ذلك في الإصحاح 14؟ وإن الأمر سيكون أكثر منطقية إذا قلنا إن أولئك العلماء محقون عندما يعتقدون أن هذه العبارات لم تكن في الأصل جزءاً من نص الرسالة 1 إلى كورنثوس. لقد قام أحدهم بتحريف الكتاب بإضافة تلك العبارات إليه جاعلاً النص يقول ما أراد النساخ قوله بدلاً من أن يدعوا بولس يقول ما قصد أن يقوله (19).

الانتحال:

يتعلق الانتحال بأخذ كتابة شخص ما وجعلها تبدو وكأنها له وكما أشرت في بداية هذا الفصل فقد أصبح الأمر مشكلة خطيرة جداً في مواقع الكليات الجامعية.

لقد تطورت تقنيات الانتحال من خلال استخدام الإنترنت وإنه من السهل جداً أن نجد العديد العديد من الأشياء المكتوبة حول كثير من المواضيع ـ وإن لم تكن مقالات كاملة من نفس الطول تقريباً الذي تتطلبه ورقة البحث الفصلية فهي على الأقل مقاطع كتابية يمكن نسخها بسهولة وإضافتها إلى الموضوع في مكان ضروري. ولكن لحسن الحظ فإن وسائل كشف الانتحال قد تطورت مع التقدم التكنولوجي إذ أن كثيراً من أساتذة الجامعات حالياً يستخدمون برامج متطورة مصممة لكشف الانتحال. والعقوبات على ذلك يمكن أن تكون قاسية. ففي جامعتي مثلاً إذا كشف أحدهم وتم اتهامه بالانتحال فهو يطرد من الجامعة: ليس ليوم أو يومين بل بشكل دائم.

يدعي بعض العلماء أحياناً أن الانتحال ظاهرة حديثة وليس لها شيء مماثل قديماً. قبل بضع سنوات مثلاً ظهر كتاب مؤثر ومحبب يدعى «الأناجيل الخمسة» الذي أصدره فريق من العلماء من كلية يسوع. مثّل الكتاب نتائج جهود سنوات عديدة من البحث اشتغل فيها العلماء ليقرروا أي الكتابات في كل من إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا وتوما فعلاً يعود إلى يسوع التاريخي (الحقيقي) الأقوال التي قالها يسوع حقاً ـ برأي هؤلاء العلماء ـ طبعت بلون أحمر، والأقوال التي لم تكن فعلاً شبيهة بما قاله طبعت بلون رمادي، والأقوال التي لم يقلها مطلقاً كانت باللون الأسود.

إن معظم الأقوال الموجودة في الأناجيل كانت باللونين الرمادي والأسود. وقد أغضب هذا العمل كثيراً من الناس. ولكن عدداً من العلماء الذين لم يشاركوا في المشروع كان أكثر اهتماماً بموضوع ما هي الأقوال التي كانت باللون الأسود. وفي رأيي إن أعضاء كلية يسوع كانوا مخطئين تماماً بتحديد ما قاله يسوع فعلاً.

فضلاً عن ذلك فإن المجلد يحتوي على الأقل أحد الأقوال التي سماها العلماء «غلطة مضحكة» أي غلطة شائنة جداً لدرجة أن العلماء الذين عملوها كان ينبغي أن يعرفوا أكثر. وهذه موجودة في مقدمة الكتاب حيث تقول: «إن مفهوم الانتحال كان غير معروف في العالم القديم» (20).

ولا أدري كيف أمكن لأي شخص أمكن له فعلاً أن يتكبد مشقة قراءة المراجع القديمة أن يقول مثل هذا القول. فهو خطأ واضح.

لقد عرف المؤلفون الأقدمون كل شيء عن الانتحال وأدانوه على أنه نوع من ممارسة الخداع. كبداية فكروا بأقوال فيتروفيوس وهو مهندس معماري روماني شهير ومهندس من القرن الأول الميلادي. في الكتاب رقم 7 من عمله المؤلف من عشر مجلدات عن الهندسة المعمارية يقول: «إننا... ملزمون بانتقاد أولئك الذين يستعيرون من غيرهم وينشرونه كأنه يخصهم وهو شيء لم يكونوا هم الذين ألفوه» (21). أو خذ تعليقات بوليبوس أحد كبار المؤرخين في العالم اليوناني القديم وهو يكتب قبل مائة سنة ويروي أن المؤرخين قريباً من عصره ممن سرقوا كتابات مؤرخين قدماء ومرروها على أنها كتاباتهم، قد تصرفوا بشكل «معيب جداً» والذين يفعلون ذلك «يقومون بعمل مخز للغاية» (22).

شعر بعض المؤلفين بالغضب عندما تم انتحال أعمالهم ففي مناسبات عديدة وبخ الشاعر الذكي الروماني مارشال الآخرين لسرقة كتاباته وتقليدها وتوقيعها بأسمائهم وكأنهم هم من ألفها فقال: «إنكم تخطئون أيها الطماعون السارقون لأعمالي، يا من تظنون أن باستطاعتكم أن تكونوا شعراء ولا يكلفكم ذلك إلا نسخ عملي على لفافات من ورق البردي الرخيصة. إن التصفيق لا ينال مقابل ست أو عشر قطع من النقود» (23).

وفي أماكن متعددة يتحدث مؤرخ الفلسفة ديوجينس ليرتيوس عن فلاسفة ومؤلفين لأعمال أدبية حاولوا أن يسوقوا أعمال الآخرين وكأنها أعمالهم «بسرقتها» ونشرها وكأنهم هم الذين كتبوها. وهو يشير إلى أن هذا صحيح بشأن أحد تلاميذ سقراط المسمى اسكينس (Aeschines) الذين أخذ عدداً من حوارات سقراط من أرملته وادعى أنها من تآليفه.

وقد صح هذا بشأن هيراقليدس الذي تحدثنا عنه في الفصل الأول والذي «سرق» مقالة من عالم آخر حول هومر وهزيود القديمين ونشرها على أنها له. وصح ذلك أيضاً حول الفيلسوف اميدوكليس (Empedocles) الذي استبعد من حضور المحاضرات عن فيثاغورس الشهير من القرن السادس ق.م لأنه «اتهم في حينه بسرقة مقالاته» (24).

الانتحال خداع مثله كمثل التزوير لأنه يهدف إلى تضليل القراء. ولكنه بمعنى آخر يمكن أن ينظر إليه على أنه نقيض التزوير. فالمزورون يكتبون كلماتهم

بأنفسهم ويدعون أنها كلمات شخص آخر؛ وأما المنتحلون فيأخذون كلام شخص آخر ويدعون أنه لهم.

وإنه لسؤال مثير للاهتمام إن كان العلماء الأقدمون سيتهمون بعضاً من الكتاب المسيحيين الأوائل بالانتحال. تبدو القضايا معقدة بحقيقة أن حالات محتملة من الانتحال تتعلق بمقاطع مستعارة وهي مجهولة المؤلفين. وزيادة على ذلك فإن المنتحلين أنفسهم غالباً لا يعرفون عن أنفسهم بالاسم بل يكون ذلك إما بدون اسم أو إدعاء أنها كتابة شخص آخر.

هل يمكن للمزور أن ينتحل؟ قد يكون ذلك.

إذا كان الأمر كذلك فماذا نقول عن كتاب رسالة بطرس رقم 2؟

لطالما لاحظ العلماء أن الفصل الثاني وبداية الفصل الثالث يبدوان مشابهين كثيراً لكتاب يهوذا في هجومه الشديد على الأشخاص الكاذبين واللا أخلاقيين الذين تسللوا إلى الكنيسة المسيحية. توجد تشابهات دقيقة بين يهوذا 4 ـ 13 و 16 ـ 18 ورسالة بطرس الثانية (2: 1 ـ 18 و 3: 1 ـ 3). وليس هناك إعادات لفظية مطولة ولكنهما تشتركان في كثير من الأفكار والنظرات وغالباً في الكلمات المتشابهة. ولو أن طالبة عصرية قامت ببساطة بإعادة كتابة نص بتغيير كثير من الكلمات ولكنها احتفظت بكل الأفكار بدون الاعتراف بمصدرها لأمكن اعتبارها منتحلة. ولكن القضية ليست واضحة تماماً في هذه الحالة.

إذاً ماذا بشأن الأناجيل؟ لقد قال العلماء منذ القرن التاسع عشر أن سبب تشابه إنجيل متى ومرقس ولوقا بشكل كبير ـ لحكاياتهم كثيراً من القصص المتشابهة وعادة بنفس التسلسل وغالباً بنفس الكلمات ـ هو أن تلك الأناجيل استخدمت المراجع ذاتها.

وفي الحقيقة يتبين حالياً في كل مكان من تلك الكتب أن واحداً منها هو مصدر الإنجيليين الآخرين. ويظن كل العلماء تقريباً أن إنجيل مرقس تم استخدامه من قبل متى ولوقا. ويستمر بعض العلماء بالتمسك بفكرة أن إنجيل متى كان مصدراً لمرقس ولوقا ولكن ذلك رأي الأقلية. وفي كلا الحالين لدينا وثيقة نقلها آخرون حرفياً. صحيح أن أحداً من المؤلفين لم يسم نفسه. وإلى هذا الحد فإن كلاً

من المؤلفين المتأخرين ليس منتحلاً بمعنى أنه لا ينشر عمل شخص آخر باسمه هو. ولكنهم يقتبسون عمل شخص آخر وينشرونه كأنه لهم. إن العلماء القدماء الذين تحدثوا عن هذه الظاهرة كانوا ليسمون هذا «سرقة». وفي التعبير العصري ربما كان الأفضل أن يسمى نوعاً من الانتحال.

وهناك أمثلة أخرى من هذه الظاهرة من خارج العهد الجديد.

وقد ذكرت سابقاً في هذا الفصل على سبيل المثال أن إنجيل متى ـ المكتوب باسم مستعار يقتبس قصة إنجيل يعقوب الأولي وينشره بصيغة منقحة (وأحياناً يكون التنقيح كثيفاً ولكن في أماكن أخرى لم يكد ينقح فيه شيئاً على الإطلاق) بدون الاعتراف من أين جاءت القصة. وهذا يمكن مقارنته في كثير من نواحيه مع ما فعله مؤلفو أناجيل العهد الجديد متى ولوقا مع إنجيل مرقس.

وهناك كتاب آخر ذكرته في الفصل الأول وهو «التعاليم الرسولية» وهو كذلك أشد فحشاً فهو حقاً يقتبس ثلاثة وثائق بالكامل من أزمنة سابقة وهي (Didache)، من حوالي العام مائة و(التراث الرسولي) من أواخر القرن الثاني والديدا سكاليا من القرن الثالث ويضمهم كلهم إلى بعض في وثيقة واحدة ضخمة وينشرها وكأنها معلومات سلمت له مباشرة من الرسل. ولكنها لم تكن كذلك لقد تم الاستيلاء عليها ـ سرقتها ـ حتى نستخدم التعبير القديم ـ من الكتابات المبكرة من التراث المسيحي.

خلاصة الفصل:

ماذا نستطيع أن نقول في الختام حول أصناف الخداع التي ناقشناها في هذا الفصل؟ إن النسبة الخاطئة للنصوص أو اختلاقها أو تحريفها أو انتحالها. كل هذه الأنواع في الواقع تتعلق بممارسات مخادعة. والقراء الذين يقرؤون كتباً تم عزوها إلى بعض الرسل أو مرافقيهم أو تلك التي احتوت قصصاً مختلقة أو التي قدمت مقاطع حرفت من قبل الناسخين أو تلك التي تضمنت مقاطع أو روايات كاملة «سرقت» من كتابات مؤلفين سابقين بدون إقرار باقتباسها ـ إن قراء كل هذه الكتب المذكورة قد تم خداعهم بطريقة أو بأخرى. خدع بعضهم بالاعتقاد أن ما قرؤوه كان قد ألفه حقاً أناس ادعوا أنهم هم المؤلفون، وخدع آخرون تم تضليلهم

لكي يعتقدوا أن الأحداث التاريخية التي رويت لهم كانت فعلاً حوادث تاريخية واقعية. في كل الحالات كانوا على خطأ وقد جرى خداعهم. تماماً كما أن الناس يستمر خداعهم عندما يعتقدون مثلاً أن جابي الضرائب (المكاس) متّى كتب الإنجيل الأول وأن بولس أمر النسوة أن عليهن أن يبقين صامتات في الكنيسة، أو أن مؤلف رسالة بطرس الثانية أتى بالأفكار والعبارات الموجودة في فصله الثاني من عند نفسه.

لكن أحد أشكال التزوير لا يبدو أنها متعلقة بكل حالة من أنواع الخداع هذه. فالتزوير بشكل دائم تقريباً يرتبط بكذبة واضحة صريحة ويدعي المزور أنه شخص آخر عالماً تمام العلم بشخصيته الحقيقية. وهذا ليس دائماً الحال بالنسبة لظاهرة مشابهة لظاهرة كنت أناقشها هنا.

نسبت أحياناً أعمال مجهولة المؤلف إلى أناس كان الاعتقاد أنهم كتبوها ولكن ذلك كان خاطئاً. ومن المحتمل أن قصصاً كانت تختلق أحياناً ببراءة تماماً كالقصص غير الدقيقة تاريخياً التي يتم اختراعها دائماً بدون أي قصد للخداع. وأحياناً قام النساخ بتغيير النصوص التي كانوا ينسخونها بالصدفة وبدون أن يقصدوا ذلك.

ولكن في أمثلة أخرى ربما انطوى ذلك على الكثير من القصد والتعمد. أحد اللاهوتيين الذي أراد أن يقنع خصومه أن آراءه كانت هي آراء الرسل يمكن أن يكون قد ادعى أن الإنجيل الرابع كتبه يوحنا بدون أن يعرف إن كان ذلك صحيحاً أم لا. وراوي الحكايات الذي اختلق حكاية عن يسوع لكي يثبت فكرة ما ربما يكون قد عرف أنه ينشر قصة خيالية على أنها حادثة تاريخية. وأحد النساخ الذي أراد لنص ما أن يقول شيئاً غير ما هو موجود في النص ربما يكون قد غير النص لأجل ذلك السبب. وفي بعض الحالات يكون من الصعب تخيل كيف يمكنه فعل ذلك بدون هذا الخداع الذي حصل. فأياً كان الشخص الذي أضاف العبارات الاثني عشر الختامية من إنجيل مرقس لم يفعل ذلك بمجرد زلة قلم.

إجمالاً كانت هناك طرق عديدة للكذب في الأدبيات القديمة ومن خلالها وإن بعض المسيحيين استغل (الحصانة) في محاولتهم لترويج أفكارهم عن الدين أو

العقيدة. قد يبدو غريباً أو حتى من غير المنطقي للقراء المحدثين أن ديناً بنى سمعته على امتلاك الحقيقة كان فيه أفراد حاولوا نشر فهمهم للحقيقة بواسطة وسائل خادعة. ولكن هذا بالضبط هو ما حدث.

إن استخدام الخداع لنشر الحقيقة قد يعتبر واحداً من أكثر السخريات والتناقضات في التراث المسيحي القديم.

الفصل الثامن
حالات التزوير والأكاذيب والخدع
وكتابات العهد الجديد

عندما ألقي محاضرات عامة حول الكتب التي لم تتح لها الفرصة بأن تضاف إلى العهد الجديد يسألني الناس غالباً عن الحكايات المشكوك في صحتها التي سمعوها في حياتهم. ماذا نعرف عن «السنوات المجهولة» في حياة يسوع وهي الفجوة الزمنية بين عمر اثني عشرة سنة وعمر الثلاثين؟ هل صحيح أنه ذهب إلى الهند ليدرس مع البراهمة؟ هل كان يسوع أسينياً[1]؟ أليس لدينا مذكرة قتل من بونتيوس بيلاطس يأمر بإعدام يسوع؟ وما إلى ذلك.

إن قليلاً جداً من القصص المشكوك في صحتها التي يسمعها الناس في الوقت الحاضر مصدرها التزويرات القديمة التي كنت أبحثها في هذا الكتاب. وبدلاً من ذلك هي تأتي من عمليات تزوير حديثة تدعي أنها تمثل حقائق تاريخية حجبت عن الجماهير من قبل علماء أو من قبل «الفاتيكان». إلا أن الحقائق الصحيحة هي أن هذه الروايات الغامضة قد عرضت بشكل منسق كحالات تزوير ارتكبها كتاب بحسن نية أو بسوء نية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

لكن عرضها لم يؤثر كثيراً في إيقاف عامة الناس عن تصديقها وأناقش هنا أربع حالات تزوير حديثة فقط لأعطيكم فكرة عن أنواع الأشياء التي شاعت قراءتها بشكل واسع. هذه الأربعة كلها وكثير غيرها تمت مناقشتها ودحضها في كتابين ممتعين من قبل علماء مخلصين حول المسيحية القديمة، وهما إدغار غود سبيد (Edgar Goodspeed) وهو عالم أمريكي بارز من المختصين بالعهد الجديد من منتصف القرن العشرين، وبير بسكو (Per Beskow) وهو عالم سويدي مختص بكتابات المسيحية الأولى من سبعينيات القرن العشرين (1).

---

(1) الأسينيون Essenes طائفة يهودية من القرن 2 ق.م ولهم عدة تسميات منها المغتسلين أو الأطهار..

الفترة المجهولة من حياة يسوع المسيح:

تسمى إحدى أوسع التزويرات الحديثة انتشاراً رواية «الفترة المجهولة من حياة يسوع» (2). ومن هذه الرواية نعلم أن يسوع ذهب إلى الهند أثناء سنوات مراهقته التكوينية، وهي «السنوات المفقودة» قبل تكريسه علناً وتعلم هناك أسرار المشرق. وقد عمل الكتاب ضجة كبيرة عندما ظهر باللغة الإنكليزية عام 1926 ولكن يتضح أنه قد كشف أمره كشيء كاذب قبل ذلك بثلاثين سنة. وبإمكاننا أن نقول إن جمهور القراء لديهم ضعف في الانتباه.

نشر الكتاب لأول مرة في فرنسا عام 1894 باسم (حياة يسوع المسيح المجهولة) (La vie inconnue de jésus Christ) من قبل مراسل حربي روسي اسمه نيكولاس نوتوفيتش (Notovitch). وفي عام واحد طبع ثماني طبعات باللغة الفرنسية مع ترجمات إلى الألمانية والإسبانية والإيطالية. ونشرت إحدى الطبعات في المملكة المتحدة وصدرت ثلاث طبعات متفرقة في الولايات المتحدة.

كان الكتاب مؤلفاً من / 244/ فقرة مرتبة في أربعة عشر فصلاً. ويبدأ نوتوفيتش الكتاب بشرح كيفية «اكتشافه». في عام 1887 كان كما يزعم مسافراً في الهند وكشمير حيث سمع من لامات من التيبت قصصاً حول نبي يسمى عيسى وهي اللفظ العربي لاسم يسوع. وقد أخذته أسفاره اللاحقة إلى منطقة لاداك (Ladak) على الحدود بين الهند والتيبت إلى دير هميس (Hemis) المشهور للبوذيين في التيبت. وأثناء وجوده هناك سمع قصصاً إضافية وقيل له إن سجلات كتابية عن حياة عيسى كانت ما تزال باقية هناك.

غادر نوتوفيتش الدير دون أن يعلم أكثر من ذلك ولكن بعد عدة أيام أصابه حادث سقط فيه عن حصانه وكسرت ساقه، فتم حمله ثانية إلى الدير حتى يشفى وبينما كان موجوداً هناك أصبح على علاقة طيبة مع رئيس الدير. وعندما سأله نوتوفيتش عن قصص عيسى وافق رئيس الدير أن يعطيه معلومات كاملة. وأبرز له مجلدين سميكين مكتوبين بلغة التيبت وبدأ يقرؤها جهراً لنوتوفيتش بحضور مترجم كان يشرح له ما في النص وفي هذه الأثناء كان نوتوفيتش يسجل الملاحظات.

إن كتاب (حياة يسوع المسيح المجهولة) هو النسخة المنشورة عن الملاحظات الدقيقة التي يفترض أن نوتوفيتش سجلها. وحسب هذه الرواية فإن يسوع عندما كان عمره ثلاث عشرة سنة التحق بقافلة من التجار كانت ذاهبة إلى الهند لدراسة شرائعهم المقدسة. وقضى ست سنوات مع البراهمة يتعلم كتبهم المقدسة المسماة بالفيدا.

لكن يسوع كان مستاء جداً من نظام المنبوذين الهندي وبدأ علناً يدينه ويهاجمه. وهذا أثار حفيظة البراهميين الذين قرروا أن يعدموه.

وفر يسوع فانضم إلى طائفة من البوذيين الذين تعلم منهم بالي (Pali) لغة البوذية ثيرافيدا وأتقن قراءة النصوص البوذية. وبعد ذلك زار بلاد فارس وعلم الزاراداشتيين، وأخيراً وعندما كان في التاسعة والعشرين من عمره مزوداً بكل معارف المشرق المقدسة عاد إلى فلسطين وبدأ رسالته للعامة.

وتختتم الرواية بتلخيص كلماته وأعماله وإعطاء وصف قصير لموته. وقد زعموا أن قصة حياته أعيدت بواسطة تجار يهود إلى الهند حيث أدرك أولئك الذين كان قد سبق لهم معرفة عيسى عندما كان شاباً، أنه كان الشخص نفسه. وهم بعد ذلك سجلوا القصة الكاملة.

ورغم أن رواية الحياة المجهولة ليسوع المسيح قد تبدو كرواية أدبية من الدرجة الثانية لحد ما فقد نشرت كرواية واقعية تاريخية وتم الاعتقاد بشكل واسع أنها تقدم حلاً لموضوع الأسئلة التي طالما سألها المسيحيون حول السنوات المجهولة من حياة يسوع. ماذا كان يفعل حينها؟ وكيف حصل على ذلك الكم الهائل من المعارف الدينية قبل أن يبدأ مهمته كرسول؟

ولكن لم يمض وقت طويل قبل أن يبدأ العلماء المهتمون بالحقيقة التاريخية بالاستفسار عن هذه الرواية ويعرضوها على أنها خدعة مركبة. لقد اضطلع بهذه المهمة شخص بارز جداً ومرجع مهم اسمه ماكس مولر (Max Müller) أكبر العلماء الأوربيين المتخصصين بالثقافة الهندية في أواخر القرن التاسع عشر والذي بين أن حكاية «اكتشاف» الكتاب والقصص التي رويت فيه كانت مملوءة بأمور لا تصدق مطلقاً. فإذا كان هذا الكتاب الكبير مفضلاً في دير هميس فلماذا لم يكن موجوداً في أي من مصنفاتهم الشاملة لأدبيات التيبت؟ كيف حصل أن تجاراً من اليهود الذين

ذهبوا إلى الهند بحكايات يسوع صادف أن التقوا بنفس البراهميين الذين كانوا يعرفون عيسى وهو فتى ـ قابلوهم من بين ملايين الناس الموجودين في الهند؟ وكيف أدرك أصدقاء عيسى السابقون في الهند بالضبط أن الرجل المصلوب هو تلميذهم السابق؟

في عام 1894 زارت امرأة إنكليزية قرأت كتاب (الحياة المجهولة) دير هميس في التيبت وقامت بتحرياتها وعلمت أنه لم يأتِ إلى هناك أي رومي ولم يقم أحد بتمريض أحد بعد كسر ساقه وأنه ليس لديهم كتب تصف حياة عيسى. وفي السنة التالية ذهب عالم اسمه ج. أرشيبالد دوغلاس (J.A.Douglas) إلى التيبت وأجرى مقابلة مع رئيس الدير ذاته فأخبره أنه لم يكن هناك شخص أوربي بساق مكسورة في الدير طوال الخمس عشرة سنة التي كان فيها مسؤولاً عن الدير. وإضافة لذلك فقد كان هو راهباً (لاما) لمدة اثنتين وأربعين سنة وكان مطلعاً تماماً على الأدبيات البوذية. وأنه لم يقرأ أبداً جهراً كتاباً حول عيسى لا لأوربي ولا لأي شخص آخر، لقد كان متأكداً أنه لم يوجد أبداً في التيبت مثل هذا الكتاب المسمى بـ (الحياة المجهولة).

وقد فضحت أمور غير صحيحة وغير معقولة في الكتاب عن تلك القصص من قبل كلا العالمين غود سبيد (Good Speed) وبيسكو (Beskow).

وفي الوقت الحاضر لا يوجد عالم معتبر واحد على وجه الأرض لديه شكوك حول هذه المسألة. لقد اختلقت القصة بكاملها من قبل نوتوفيتش الذي كسب الكثير من المال كما اكتسب قدراً كبيراً من سوء السمعة بسبب خداعه للناس.

صلب يسوع، عن شاهد عيان:

هناك كتاب من كتب الأبوكريفا الحديثة المثيرة للاهتمام واسمه صلب يسوع نقلاً عن شاهد عيان وهو لا يعالج موضوع بداية حياة يسوع كراشد قبل رسالته ولكن يعالج نهايتها وما حصل بعدها (3). نجد القصة على شكل رسالة كتبت باللغة اللاتينية بعد سبع سنوات من صلب يسوع من زعيم لطائفة يهودية سرية من الاسينيين في القدس إلى زعيم اسيني آخر كان يعيش في الإسكندرية بمصر. كل عناصر الغيب منزوعة من وصف حياة بشرية كاملة وأنه مات موتاً بشرياً تاماً ولكن ليس على الصليب. لقد نجا يسوع من الصلب وبقي حياً ستة أشهر أخرى بعدها.

تم نشر الموضوع أولاً باللغة الألمانية في مدينة لايبزيغ عام 1849. وتم نشر النسخ الإنكليزية التي تدعي كلها كونها موثقة في عام 1907 و 1919 و 1975. وكذلك وجدت ترجمات إلى اللغة الفرنسية والسويدية.

يقال إن الرسالة اللاتينية اكتشفت على لفافة رقية في أحد الأديرة الإغريقية في مدينة الإسكندرية على يد أحد المبشرين الذي ظن أن مضمونها خطير فحاول إتلافها. وتم إنقاذها بواسطة رجل مثقف فرنسي قام بترجمتها إلى اللغة الألمانية. ونقلت الرواية بعد ذلك إلى ألمانيا بواسطة الماسونيين الذين يعتقد أنهم النسل الحديث للأسينيين.

ويحسب التقرير فإن يسوع نفسه كان من الأسينيين. وأنه عندما صلب بحسب «شاهد عيان» هذا فإنه لم يمت بل أنزل عن الصليب وأعيد إلى الحياة بواسطة يوسف من بلدة أريماثيا ونيقوديموس وهما من طائفة الأسينيين كانا يعرفان فنون الشفاء التي تحتفظ بها طائفتهم. وعندما كانت النسوة تزور القبر ظنن أنهن رأين ملائكة وكان هؤلاء رهباناً أسينيين يرتدون ثيابهم البيضاء. وفهمت النسوة خطأ أن عيسى قد رفع بينما هو في الحقيقة لم يمت أبداً قبل ذلك. لكنه مات فعلاً بعد ستة أشهر من الجراح التي عانى منها.

لم يكن صعباً على العلماء أن يفضحوا هذا الإنجيل كخدعة أخرى جديدة. فـ «شاهد العيان» المفترض أنه من الأسينيين ليس لديه معرفة لما كان عليه الأسينيون حقاً. ونحن حالياً نعرف الكثير عن هذه الطائفة اليهودية بفضل مخطوطات البحر الميت التي لم تكن متوفرة للمزور بما أنها قد اكتشفت بعد حوالي قرن من نشره لروايته. لا شيء في القصة يتوافق مع الحقائق التاريخية للطائفة. فأولاً ليس هناك وسيلة تسمح لشخص من الأسينيين في القدس أن يكتب القصة باللغة اللاتينية أصلاً.

وهناك مشاكل أخرى يمكن اعتبارها. فالرواية تشير أنها كتبت بعد سبع سنوات من حادثة الصلب ومع ذلك تذكر بوضوح وبالاسم أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا وكلها لم تكن قد كتبت إلا بعد أربعين إلى ستين سنة بعد موت يسوع. وبالإضافة لذلك لم تكن هذه الأناجيل معروفة (كمجموعة) من الكتابات («الأناجيل الأربعة») حتى نهاية القرن الثاني للميلاد. وأخيراً استبعاد كل شيء

غيبي أو خارق في القصة هو شيء عصري تماماً ومن اهتمامات ما بعد التنوير، وليس أمراً قديماً.

وفي الواقع يبن عالم حديث من أين جاءت هذه الحادثة والقصة كلها. في عام 1936 عرض عالم ألماني شهير من المختصين بالعهد الجديد واسمه مارتن ديبليوس (M. Diblius) أن كتاب صلب يسوع قد نقل جملة وتفصيلاً من رواية تاريخية خيالية غامضة كتبها الكاتب العقلاني الألماني ك.هـ فنتوريني (K.H. Venturini) واسمها «التاريخ الطبيعي لنبي الناصرة العظيم» وهي عبارة عن (مجلدين عام 1800 ـ 1802). هنا أيضاً يذكر أن يسوع كان من الأسينيين الذي لم يكن في حياته أي شيء غيبي والذي لم يمت على الصليب ولكن تم إنعاشه من قبل المسمى يوسف من أريماثيا. ببساطة أخذ المؤلف كتاب فنتوريني ذا المجلدين واختصره في كتيب قابل للقراءة وحاول أن يمرره كواقعة تاريخية بينما كان في الحقيقة اختلاقاً عصرياً حديثاً.

الحكم بإعدام يسوع المسيح:

إن واحدة من الحقائق المدهشة والمفاجئة لكثير من الناس حول القرن الأول هي أننا لا نملك أي سجلات رومانية من أي نوع لتثبت وجود يسوع. ليس لدينا شهادة ميلاد ولا أي مراجع عن أقواله وأفعاله ولا أي سجلات عن محاكمته ولا أي وصف لموته ـ لا إشارة إليه من أي نوع أو شكل أو صيغة مطلقاً. حتى اسم يسوع غير مذكور بأي مصدر روماني من القرن الأول (4). وهذا لا يعني كما يدعي بعضهم الآن بوتيرة مزعجة أن المسيح لم يوجد أبداً.

لقد وجد بالتأكيد كما يتفق كل العلماء القدماء المعتبرين مسيحيين وغير مسيحيين بناء على أدلة واضحة ومؤكدة. ولكن كما هو الحال مع غالبية كل الأشخاص الذين عاشوا وماتوا في القرن الأول، هو لم يظهر في سجلات الأشخاص الرومانيين. ولهذا السبب فإن الاكتشاف المزعوم لنسخة رسمية من حكم الإعدام الذي أصدره بيلاطس سبب ضجة هائلة في أوربا والولايات المتحدة عندما أعلن عنه في منتصف القرن التاسع عشر (5). ذكر الاكتشاف لأول مرة في الصحيفة الفرنسية (اليمين) (Le Droit) في ربيع عام 1839. ومرعان ما كشف زيفه ولكن عاد للظهور ثانية في ألمانيا بعد عشر سنوات وتكرر ذلك في أماكن أخرى بما فيها الولايات المتحدة لعدة عقود بعد ذلك.

لقد قيل إن كتاب «حكم الإعدام» وجد على صفيحة نحاسية تم اكتشافها في مدينة أكويلا في جنوب إيطاليا قريباً من نابولي في وقت مبكر في عام 1280. ويقال إن جماعة من العمال الذين كانوا ينقبون عن الآثار الرومانية القديمة استخرجوا مزهرية رخامية قديمة وبداخلها وجدوا صفيحة نحاسية منقوشة باللغة العبرية. وعندما تمت ترجمة النص وجد بأنه يحتوي نسخة رسمية لمذكرة حكم الإعدام التي أصدرها بونتيوس بيلاطس. وعلى الطرف الآخر من اللوحة كان هناك توجيهات بإرسالها إلى كل القبائل الإسرائيلية.

وتم الإدعاء بأن الصفيحة فقدت ولكن أعيد اكتشافها ثانية خلال الاحتلال الفرنسي لمملكة نابولي بين عامي 1806 ـ 1815. وعندما تم نشرها بعد عدة عقود أعلن أنها «أكثر الوثائق القانونية أهمية في الوجود». وفيها يذكر «بونتيوس بيلاطس» الحاكم الروماني المتصرف في الجليل الأدنى أن «يسوع الناصري يجب أن يموت على الصليب» ويقال إن هذا حصل في السنة السابعة عشرة من حكم الإمبراطور تبيريوس (31 ق.م) في السابع والعشرين من شهر آذار «في مدينة القدس المقدسة جداً».

وسبب حكم الإعدام هو أن يسوع قد ارتكب ستة جرائم. لقد اتهم بالتضليل والتحريض على الفتن وأنه عدو القانون وأنه كان كذباً يسمي نفسه ابن الله وسمى نفسه ملك إسرائيل وأنه دخل المعبد وكان حشد من الناس يتبعونه وهم يحملون سعف النخيل.

إن المذكرة بحكم الإعدام تم توقيعها من قبل أربع شهود هم: دانيال روباني، وجوانوس روباني ورافائي روباني و «كابت Capet أحد المواطنين» (6).

إن عالماً مرموقاً كإدغار غودسبيد لم يجد أي صعوبة في كشف زيف الوثيقة كاملة. فليس هناك معنى لمسؤول روماني كي يبرر إدانته لشخص مجرم أمام الشعب اليهودي أو أن يرسل التبرير إلى «إسرائيل» التي لم تكن موجودة في الواقع لقرون طويلة. بيلاطس المسؤول الروماني لم يكن ليكتب باللغة العبرية وهي لغة لم يكن يعرفها. وبيلاطس لم يكن حاكم منطقة الجليل الأدنى ولكن حاكم منطقة اليهودية. وكشخص غير يهودي لم يكن أبداً ليشير إلى القدس بتعبير «المقدسة جداً» وتاريخ 27

آذار هو صيغة عصرية للتأريخ لم تكن معروفة في العالم القديم. واصطلاح «روباني» المستخدم مع أسماء ثلاثة من الشهود يبدو أنه صيغة مغلوطة لكلمة «ربان Rabban» التي تعني «المعلم»، ولربما أخطأ المؤلف لأنه في الخطاب المباشر كما في إنجيل يوحنا إصحاح 20 : 16 تهجى الكلمة هكذا «رابوني Rabbouni». وجوانوس ليس اسماً قديماً في اللغات ذات العلاقة بالموضوع. وكلمة أو اسم كابت Capet هو اسم فرنسي. وليس هناك في اللغة العبرية كلمة مقابل كلمة «مواطن Citizen».

وهناك مشاكل أخرى ولكن هذه تكفي لبيان الحالة. أياً كان الذي اخترع هذه الرواية فقد أساء حتى لو كانت الخدعة قد انطلت على كثير من الناس وانتشرت في كل من أوربا والولايات المتحدة لأكثر من قرن.

الكتاب الثاني لأعمال الرسل الذي فقد طويلاً:

في عام 1904 نشر القس الإنجيلي الفيزيائي كنث سلفان غوثري (K.S.Guthrie) كتاباً سماه (الكتاب الثاني لأعمال الرسل) الذي يصف في جملة ما يصف تعاليم مريم أم يسوع حول إعادة التجسد (7). ويسمى هذا الكتاب «الكتاب الثاني» لأعمال الرسل لأنه يبدأ بوصف ما جرى للرسول بولس بعد الأحداث المروية في كتاب الأعمال ضمن العهد الجديد.

فبعدما أطلق سراحه من السجن الروماني المذكور في كتاب الأعمال 28 يقال إن بولس خطط للذهاب إلى إسبانيا ومن ثم إلى بريطانيا. ولكنه أخيراً قرر الذهاب إلى فلسطين بدلاً من ذلك. وعندما وصل ذهب إلى القدس إلى بيت تلميذ يسوع يوحنا حيث وجد مريم أم يسوع مع سبعة آخرين من التلاميذ. وبما أن مريم الآن قد أصبحت مسنة فهي تصلي من أجل موتها ويظهر الملاك جبريل ليقول لها إن صلاتها قد قبلت.

ومن على فراش الموت وهي تفكر بكونها فانية عند ذلك تكشف سر عقيدة التقمص. فهي ذاتها قد مرت عبر سبع تجسدات ومن جملة الأشياء التي مرت بها أنها كانت زوجة نوح والمرأة التي عشقت زرادشت والمرأة التي عشقت سيدهارتا (Siddhartha) وفيما بعد كذلك المرأة التي عشقت سقراط.

وقبل موتها مباشرة أتت عاصفة وقادت مريم والتلاميذ إلى جبل الزيتون. وهناك يظهر يسوع من السماء ويأخذها بين ذراعيه، ويقول للتلاميذ إنه هو أيضاً قد

مر بسبعة تجسدات مرة كهابيل (ابن آدم) ومرة كنوح ومرة كزرادشت ومرة كسقراط.

من الواضح تماماً أن هذا الكتاب الذي يصعب أن نتخيل كيف يمكن لمؤلفه أن يتوقع من أحد أن يأخذه على محمل الجد. ولكن إذا قدم لعامة القراء، فمن يدري؟ على كل حال كان غود سبيد يعتقد أن الكتاب «ببساطة محاولة عصرية لادعاء أن مريم العذراء وعيسى نفسه يؤيدان عقيدة إعادة التجسد» وأن «غوثري بلا شك ظن أنها وسيلة شفافة جداً بحيث لا تخدع أحداً» (8).

حالات أخرى من الخداع والغش:

هنالك بالطبع حالات عصرية كثيرة أخرى من الكتابات غير المعترف بها والتي تحاول أن تروي ماذا فعل يسوع والأشخاص المرتبطين به حقاً. يحكي كتاب اسمه اعترافات بونتيوس بيلاطس قصة بيلاطس وأنه ذهب إلى المنفى في فيينا حيث شعر بالندم الشديد على ما فعله مع يسوع ويقوم بالتالي بالانتحار. من جملة ما يشير إليه هذا التقرير قصة تقدم فيها مريم المجدلية للإمبراطور الروماني تيبريوس بيضة عيد الفصح مصبوغة باللون الأحمر (9). وفي كتاب (إنجيل القديسين الاثني عشر) يقال إن يسوع يؤيد فكرة نباتية متشددة معارضة لأولئك الذين يذبحون الحيوانات ويأكلون اللحوم. في هذه الرواية المخترعة يقال إن يسوع لم يأكل الضأن في عيد الفصح اليهودي وأنه لم يطعم جموع الناس خمسة أرغفة وسمكتين بل خمس حبات من البطيخ الأصفر (10).

بإمكان المرء أن يقول إن الخدع قد وجدت ليس فقط من قبل شخصيات غامضة تحاول إدخال الإثارة على روايات يسوع (مثل أن يسوع درس مع البراهمة!) أو ليوثقوا نظرتهم الدنيوية الخاصة (مثل أن يسوع كان نباتياً!) ولكن أيضاً من قبل علماء ربما كان لديهم أسباب غامضة تخصهم وحدهم.

كان أحد مؤلفي الكتب واسعة الشهرة حول يسوع خلال الفترة بين الستينيات والسبعينيات رجل اسمه هيو شونفليد الذي كتب كتاباً اسمه «قبلة الفصح اليهودي(1): فهم جديد لحياة وموت يسوع» (11). وقد كان شونفليد عالماً ذكياً

(1) عيد الفصح اليهودي: مناسبة يحتفل بها اليهود تخليداً لذكرى نجاة موسى واليهود من فرعون.

معروفاً بشكل كبير بين علماء اليهودية القديمة ويتمتع بعدد كبير من المؤهلات وشهادات التقدير. لكن إعادة البناء التاريخي لما حصل حقاً ليسوع نجده كواحد من إنتاجات هوليود أكثر من كونه دراسة جادة.

القصة باختصار هي أن يسوع منذ سن مبكرة «عرف» أنه المسيح ولذلك فقد استخدم الأحداث أثناء مهمته الرسولية العامة ليجعلها تبدو بأنه ينفذ نبوءة ما. وخصوصاً دبر مع تلاميذه خطة ليتظاهر بأنه مات من أجل خطايا الآخرين. وقد رتب الأمر بحيث يعطى له الدواء على الصليب (وعندما قدم له المر والخل كان ذلك دواء طبياً) بحيث تتباطأ علامات حياته ويظهر كأنه مات. وبعد ذلك يتم إنعاشه ويظهر أنه رفع من بين الموتى. لكن هذه الخطة فشلت. ولم يدخل في حسبانه الجندي الروماني الذي طعنه برمحه في جنبه وهو على الصليب. لقد انتعش فقط لمدة قصيرة وأخرج من قبره بواسطة تدبير مسبق مع أشخاص متآمرين (ليسوا تلاميذ المسيح). وقد مات بتأثير جراحه بعد ذلك بمدة قصيرة وأعيد دفنه في مكان آخر. إلا أن تلاميذ المسيح اكتشفوا القبر الفارغ وظنوا خطأً أنهم رأوا المسيح حياً بعد ذلك. وقاموا بعد ذلك بإعلان أنه رفع من بين الأموات. وهكذا بدأت الديانة المسيحية.

إن كتاب «قبلة الفصح» ليس بالطبع تزويراً. فمؤلف الرواية الذي يكتب باسمه الشخصي هو مؤرخ جاد ويدع قراءه يعرفون ذلك. والكتاب ليس اختلاقاً بالضبط وذلك في أنه يدعي أنه يبني روايته على بحث تاريخي.

بالإضافة لذلك فإن الكاتب يقدم كتابه كدراسة تاريخية. ولكن مع كونه مبدعاً فإن المقدمة العامة هي مختلقة بشكل كامل فليس لها مصداقية تاريخية.

وكمثال أخير يمكنني أن أذكر ثانية القضية المتعلقة بواحد من أحد كبار علماء المسيحية الأولى في القرن العشرين البروفيسور مورتون سميث (Morton Smith) من جامعة كولومبيا. لقد زعم سميث أنه اكتشف نسخة بديلة ضائعة من إنجيل مرقس. ظهر تقرير الاكتشاف في كتابين نشرهما سميث في عام 1973 أحدهما رواية شبه بوليسية تخاطب الجماهير الشعبية والآخر بحث علمي قوي موجه للعلماء والمتخصصين (12). وقد ذكر سميث في كلا الكتابين أنه في عام 1958 وبينما كان يزور أحد الأديرة قرب القدس اكتشف نسخة بخط اليد لرسالة باللغة اليونانية

كتبهـا أب كنـسي مـن القـرن الثـاني هـو كليمنـصو الإسـكندري (Clement of Alexandria) وزعم فيها أن مؤلف إنجيل مرقس نشر طبعـة ثانيـة لإنجيلـه. وهـذا «الإنجيل الـسري» كما أصبح يعرف فيما بعد كان يتضمن عدداً من القصص التـي لا نجدها في إنجيل مرقس المعروف وهي قصص تبدو عجيبة وغامـضة تـدور حـول يسوع وعلاقته برجل شاب رفعه من بين الأموات.

قال سميث إن هذه العلاقة كانت علاقة جنسية شاذة وأنها توفر دليلاً على أن يسوع قام بعلاقات جنسية مع أشخاص عراة عمدهم أثناء مهمته الدينية.

ولا داعي للقول أن كتب سميث أدت إلى ردات فعل قوية. لقـد قـدم كتابـه العلمي دليلاً جاداً أن هذا حقاً كان رسالة من كليمنصو كان حقاً يعلم بوجود مثـل هذا الإنجيل. ولكن منذ موت سميث في عام 1991 فقد أقدم عدد من العلماء على القول بأن الرسالة ليست موثقة وأن الذي زورها لم يكن سوى سميث ذاته. وقد تم نشر كتابين حول الموضوع في السنوات الأخيرة وكلاهما يتوصلان إلى النتيجة نفسها ولكن لأسباب مختلفة (13). ولا يعتقد علماء آخرون ذلك بما فـيهم العلـماء الـذين عرفوا سميث بشكل جيد ويبقى الجدل مستمراً (14).

تزويرات وأكاذيب وخدع مسيحية:

هذا الإصدار من الخدع الحديثة يعيدني إلى السؤال الذي سألته مراراً وتكراراً أثناء دراستي لحالات التزوير وهو: «من كان ليفعل مثل هذا الشيء؟» وأرجـو الآن أن تكونوا متفقين معي على جوابي سابقاً وهو «كثير من النـاس» ولأسـباب كثـيرة. وليس فقط أناس معاصرون. فلدينا أمثلة عن حالات تزوير مسيحية ليس فقـط في وقتنا الحاضر بل أيضاً في العصور الوسطى وفي العـصور القديمـة وفي زمـن العهـد الجديد. من القرن الأول وحتى القرن الحادي والعشرين كان هناك أشخاص سموا أنفسهم مسيحيين وجدوا من المناسب أن يختلقوا ويحرفوا ويـزوروا وثـائق في معظـم الحالات لكي يدعموا ويوثقوا أفكاراً أرادوا من الآخرين أن يقبلوها.

إن اهتمامي بشكل خاص في هذا الكتاب بالطبع هو بحـالات التزويـر لـدى الكنيسة المسيحية القديمة. لا يشك أحد أنه كانت هنـاك حـالات كثـيرة منهـا. وفي الوقت الحاضر لدينا جزء من الأعمال التي صدرت في الزمن القـديم إذ أن غالبيتهـا

قد ضاعت أو تلفت. ولكن ما هو موجود لدينا الآن أكثر من كاف ليعطينا إحساساً كم كانت ممارسة التزوير بارزة وظاهرة. إن لدينا العديد من الأناجيل والرسائل والأطروحات وكتب الرؤيا التي يدعي كتابتها أشخاص لم يكتبوها. وإن المؤلفين الذين سموا أنفسهم بطرس وبولس ويوحنا ويعقوب وفيليب وتوما، أو ـ حتى أي اسم تختاره! كانوا يعلمون تمام العلم أنهم لم يكونوا أولئك الأشخاص. لقد كذبوا بشأنها لكي يغشوا قراءهم ويجعلوهم يعتقدون أنهم أشخاص موثوقين معتمدين.

وقد نجحت بعض هذه الكتابات أن توضع في الكتاب المقدس. وهناك على سبيل المثال رسائل من العهد الجديد يقال إن كاتبها بطرس أو بولس أو يعقوب أو يهوذا. لكن هذه الكتب قد كتبها مؤلفون آخرون مجهولون بعدما مات الرسل أنفسهم. وعندما ادعى مؤلفو الكتب الحقيقيون أنهم رسل فقد كانوا متورطين في ممارسة الخداع وهم يعون ذلك. وإن هذا العمل تم الحديث عنه كثيراً في العالم القديم وقد كان دائماً مداناً على أنه كذب وحرام وهو خطأ صريح. لكن المؤلفين فعلوا ذلك على كل حال.

لست أقول بأن المؤلفين الذين قاموا بهذه الأعمال كانوا بالضرورة يخالفون ما تمليه عليهم ضمائرهم فليس لدينا وسيلة لنعرف ماذا كانوا يظنون حقاً بأنفسهم أو بما كانوا يعملونه. كل ما نعرفه هو أن الأقدمين عندما تحدثوا عن هذه الممارسة لم يقولوا عنها كلاماً إيجابياً وأن الكتب التي زورت كانوا يسمونها كاذبة وغير شرعية.

لكن بإمكان المرء أن يتصور أن المؤلفين أنفسهم ربما لم يروها بهذا الشكل. فكلما كان لدينا سجل للذين ضبطوا وهم يقومون بهذا العمل نجدهم يحاولون تبرير ما قاموا به. وإن المؤلف من القرن الثاني الذي اختلق قصة بولس وتقلا المذكورة سابقاً ادعى أنه فعل ذلك بداعي «الحب لبولس». والمزور من القرن الخامس وهو سالفيان من مرسيليا زعم أنه لم يعتقد أن أحداً سيظن أنه عندما سمّى نفسه تيموثاوس كان يقصد ذلك وأنه لم يكن ينوي أي إساءة بذلك.

وعلى كل حال لا أحد سيأخذ كتاباً كتبه سالفيان المرسيلي على محمل الجد بينما إذا كان كتاباً كتبه تيموثاوس فسيكون مقروءاً على نطاق واسع (انظر الفصل الأول).

من المحتمل أن كثيراً من المؤلفين الذين ناقشنا كتبهم سواء ضمن العهد الجديد أو خارجه كانوا يشعرون بأن ما فعلوه مبرر تماماً. فإذا كان الأمر كذلك فقد كانوا يقبلون الرأي القديم الذي ما يزال يتمسك به كثير من الناس في الوقت الحاضر وهو أن الكذب هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله في بعض الحالات (كما ذكر في الفصل الأول).

في الزمن القديم كانت هذه النظرة تعتمد على فكرة أنه يمكن أن يوجد شيء اسمه «كذبة بيضاء» أي أنها كذبة من أجل غرض نبيل. فإذا احتاجت الطبيبة أن تكذب على مريضتها لكي تجعلها تشرب الدواء اللازم لها فعند ذلك يكون الأمر شكلاً جيداً من الغش أو الكذب. وإذا احتاج قائد الجيش أن يكذب على جنوده ويقول لهم أن هناك تعزيزات على وشك الوصول ليحمسهم على القتال بشجاعة أكبر فعند ذلك يكون الأمر حسناً. فإذن بعض الكذب يعتبر نبيلاً.

وهناك مؤلفون مسيحيون آخرون وأشهرهم أوغسطين اتخذ موقفاً مناقضاً تماماً قائلاً إن الكذب بكل أشكاله يعتبر سيئاً وسيئاً جداً جداً. ولا ينبغي القيام به مهما كان الوضع. بالنسبة لأوغسطين حتى لو كانت الكذبة تضمن لك أن ابنتك لن تخلد في نار الجحيم ولكن ستنعم بالخلود في الجنة فإن هذا لا يبرر أن تكذب عليها. عليك ألا تكذب أبداً وانتهى الأمر.

لربما لم يوافق معظم المسيحيين القدماء على رأي أوغسطين ولهذا كان عليه أن يجادل بشدة حوله. ومعظم الناس حالياً ربما لا يتفقون معه أيضاً. إن أكثرنا يرى الكذب مسألة معقدة. فعلماء الأخلاق والفلاسفة وعلماء الدين كلهم لا يوافقون حتى في الوقت الحاضر على مسألة متى يكون الكذب مناسباً ومتى لا يكون كذلك (15). وفي آخر النهار يكون هذا سؤالاً على كل واحد منا أن يقرر الجواب عليه بنفسه بناء على الظروف والأوضاع الخاصة التي نجد أنفسنا فيها. ربما أحياناً لا مانع من أن نقول إنه لا بأس بالكذب.

وربما يكون مقبولاً أن يكذب الآباء على أطفالهم بشأن معتقداتهم الدينية الخاصة ويقولوا لهم إن الله موجود حتى لو كانوا هم لا يؤمنون حقاً بذلك. وربما يصح لزوجة أن تكذب على زوجها حول علاقتها الجنسية السابقة إذا كان ذلك

سيمنعه من الإحساس بالألم أو الاضطراب الشديد ولربما كان مقبولاً أن يكذب أحدهم على والده حول التقديرات المحتملة بعد العملية الجراحية إذا كان ذلك سيمنع الأب المحبوب من القلق بشأن موته قبل الأوان. ولربما كان مقبولاً أن يكذب قادة الكنيسة على جموع المصلين حول معتقداتهم الشخصية أو ماضيهم الذي كان أقل من الكمال إذا كان من الواجب أن ينظر إليهم كقادة محترمين وراسخي الإيمان أمام طوائفهم.

ولربما كان من المقبول أن يكذب المسؤولون المنتخبون حول الميزانيات والعجز أو التقصير أو المخاطر المحتملة أو نتائج السياسات المتوقعة للسياسات أو المخابرات الأجنبية أو نتائج الحرب المعروفة ـ إذا كانت الغايات مهمة جداً تتطلب أن يقال فيها الكذب بدل الحقيقة.

وإذا كان الكذب مبرراً في بعض الحالات فما الذي يكون أفضل من الكذب إلا تفهيم الناس الحقيقة وجعلهم يصدقونها؟ ما الذي سيكون معقولاً أكثر من كتابة كتاب يجسد كذبة حول أمر غير ضروري نسبياً (وهو من كتب الشيء فعلاً) لكي تحقق ما هو ضروري حقاً (وهو تبيان الحقيقة)؟

ومن ناحية أخرى ربما كان المؤلفون الذين زوروا هذه النصوص مخطئين.

وربما لم يكن ينبغي عليهم أن يخدعوا قراءهم. ربما يكون من الأفضل دائماً قول الحقيقة والوقوف إلى جانبها وأن نكون راغبين بتحمل عواقبها حتى لو كنا نفضل عواقب الكذب أكثر.

ربما يكون لدى الأطفال الحق في معرفة ما يؤمن به آباؤهم حقاً. وربما يكون من الأفضل للزوجة أن تخبر زوجها بعلاقتها السابقة قبل الزواج إذا كان البديل هو أن يحيوا حياة خداع وعدم أمانة. وربما يكون لدى أحد الوالدين (أو الجدود أو الأنسباء أو أي شخص آخر) حق في أن يعرف أن الموت وشيك ولذلك يستطيع الشخص أن يستعد لما هو محتوم لا مفر منه. وربما يكون من الأفضل لقادة الكنائس ألا يضللوا جماعاتهم بل يخبروهم بما يعرفونه حقاً أنه الصدق (ومثال على ذلك الوضع المالي للكنيسة أو ماضيهم الشخصي المليء بالخطايا) أو ما يعتقدونه بأمانة (حول الله والكتاب المقدس). وربما يكون من الأفضل لمسؤولينا المنتخبين أن يأتوا

طاهرين ويخبرونا الحقيقة بدلاً من خداعنا لكي تكون لديهم المرجعية في أن يفعلوا ما يريدون فعله بتهور محلياً أو خارجياً. وعموماً ربما كان الصدق أفضل من الكذب.

من المؤكد أن معظم الناس في معظم الحالات حاضراً وفي الماضي، وفي الماضي البعيد جداً يدركون أن هناك أحياناً يكون من الصواب فيها أن نكذب إذا كان ذلك مثلاً سينقذ حياة إنسان أو يبعد عنه أذى جسدياً.

لكن الحقيقة هي أن معظم كذبنا ليس بهذا الإلحاح. من المؤكد أن الكذب الذي اختلقه مزورو النصوص المسيحية القديمة لم يكن لحماية الأنفس والأطراف. لقد قيل الكذب ليخدع القراء ويجعلهم يعتقدون أن مؤلفي هذه الكتب كانوا أشخاصاً لهم مرجعية ثابتة. فإذا كانت هذه النصوص قد كتبت من قبل مرجعيات معتمدة فيما يقولون عما يجب أن نعتقده وكيف نحيا يجب أن يكون صادقاً. إن التعاليم الحقيقية قد بنيت على أكاذيب.

وفي الوقت ذاته كان مؤلفو هذه الأكاذيب بلا شك مثل كل شخص آخر في العالم قديماً وحديثاً؛ هم أيضاً ربما لم يريدوا أن يكذب عليهم أحداً ويغشهم. ولكنهم لأسباب تتعلق بهم شعروا بأنهم كانوا مضطرين للكذب وغش الآخرين. إلى هذا الحد هم لم يعيشوا وفق المبادئ الأساسية للتراث المسيحي الذي بشر به يسوع نفسه وهو أن عليك «أن تعامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به». ولربما شعروا أن هذه القاعدة الذهبية لا تنطبق على ظروفهم. فإن كان الأمر كذلك فإن ذلك سيفسر بالتأكيد لماذا نجد كثيراً من كتابات العهد الجديد يقال أنها كتبت من قبل الرسل بينما في الحقيقة هم لم يكتبوها.

NOTES

Introduction: Facing the Truth

1. I am outlining here just the "orthodox" views that ended up winning the early Christian battles over what to believe. There were lots of Christians who held other views, as we will see later in the book. For further reflections, see my book *Lost Christianities: The Battles for Scripture and the Faiths We Never Knew* (New York: Oxford University Press, 2003).
2. Thus, for example, Irenaeus *Against Heresies* 3.2-4; 4.26; see also Tertullian *Prescription Against Heresies.*
3. This is why there is such a close connection in Christian antiquity between the content of a writing and its claim to authorship, as we will see. It was widely thought that if a writing promoted "false teachings", then it certainly could not have been produced by an established authority. In other words, the decision about who authored a work (an apostle?) was often made on the basis of whether the teachings in the work were acceptable. See the discussion of the Gospel of Peter in Chapter 2.

Chapter 1: A World of Deceptions and Forgeries

1. The authoritative discussion of the Hitler diaries, told with flair and in precise detail, is found in Robert Harris, *Selling Hitler* (New York: Viking Penguin, 1986).
2. For a fascinating account by one of modern times' most adroit forgery experts, see Charles Hamilton, *Great Forgers and Famous Fakes: The Manuscript Forgers of America and How They Duped the Experts,* 2nd ed. (Lakewood, CO: Glenbridge, 1996).
3. The story is told by the Greek historian Diogenes Laertius in his *Lives of the Philosophers* (5.92-93).
4. For a collection of some of the most interesting, see Bart D. Ehrman, *Lost Scriptures: Books That Did Not Make It into the*

New Testament (New York: Oxford ess, 2003). For a more comprehensive collection, see J. K. Elliott, *The Apocryphal New Testament* (Oxford: Clarendon, 1993).

5. Tertullian *On Baptism* 17. See also the discussion of ancient fictions about Paul in Chapter 3.
6. This is my own count.
7. As we will see later in Chapter 5, some scholars have maintained that the allegedly forged writing the author of 2 Thessalonians is referring to is none other than 1 Thessalonians!
8. Eusebius *Church History* 7.25.
9. Jerome *The Lives of Famous Men* 4.
10. Didymus the Blind, *Comments on the Catholic Epistles* (never translated into English), in Migne's *Patrologia Graeca* 39, 1774.
11. Clement of Alexandria *Miscellanies* 2.52.6.
12. This has recently been argued in Clare Rothschild, *Hebrews as Pseudepigraphon: The History and Significance of the Pauline Attribution of Hebrews* (Tübingen: Mohr Siebeck, 2009).
13. There may be some question, however, about Xenophon. The Greek philosopher Plutarch maintained that Xenophon used the pen name precisely to lend more credibility to his account by having it written by an outside party rather than writing about himself in the first person. If so, this is a pen name "with an edge".
14. For reasons for thinking that the Gospel of Matthew was not really written by the disciple Matthew, see Chapter 7, and in greater depth, John Meier, "Matthew, Gospel of," *Anchor Bible Dictionary* (New York: Doubleday, 1992), 4:618-41.
15. Galen *Commentary on Hippocrates' On the Nature of Man* 1.42.
16. Smith wrote two books about the discovery and its importance for understanding early Christianity and the historical Jesus, one an intriguing detective-like story for popular audiences, *The Secret Gospel: The Discovery and Interpretation of the Secret Gospel of*

Mark (New York: Harper & Row, 1973), and the other a hard-hitting analysis for scholars, *Clement of Alexandria and a Secret Gospel of Mark* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1973). Recent years, however, have seen a spate of publications by scholars arguing that Smith in fact forged the document. See especially Stephen Carlson, *The Gospel Hoax: Morton Smith's Invention of Secret Mark* (Waco, TX: Baylor University Press, 2005); and Peter Jeffries, *The Secret Gospel of Mark Unveiled: Imagined Rituals of Sex, Death, and Madness in a Biblical Forgery* (New Haven, CT: Yale University Press, 2007). See also my discussion in Chapter 8.

17. Josephus *Jewish Wars* 1.26.3; trans. William Whiston, *The Works of Josephus* (Grand Rapids, MI: Baker, 1979).
18. See Wolfgang Speyer, *Dic literarische Fälschung im heidnischen und christlichen Altertum* (Munich: Beck, 1971), p. 145.
19. For an English translation, see R.J.J. Shutt, "Letter of Aristeas," in James Charlesworth, ed., *The Old Testament Pseudepigrapha*, 2 vols. (New York: Doubleday, 1985), 2:7-34.
20. Martial *Epigrams* 7.12; 7.72; 10.3; 10.33. I am not saying, of course, that in this or any of the other cases I mention we actually know the real motivations of the forger. What we do know is that Martial read his motivations in this way.
21. Diogenes Laertius *Lives of the Philosophers* 10.3.
22. Pausanius *Description of Greece* 6.18.5.
23. The New Testament book of Revelation, written by an unknown John, is a very rare exception.
24. One of the most interesting discussions is in the writings of the church father Tertullian, who asked how the book of *Enoch*, written by the famous figure Enoch-a man who never died, but was taken up to heaven while still living seven generations after Adam-could have survived down to his, Tertullian's, own day. If there was a worldwide flood after Enoch's time in the days of Noah, wouldn't the book have perished? Tertullian goes out of his way to explain how it could, in fact, have survived the flood. Why does Tertullian have to go to the trouble of

explaining this? Because he genuinely believed that it was written by Enoch. Tertullian was no dummy-far from it. He was one of the real intellectuals of the Christian third century. It is anachronistic for modern-day scholars to think that ancients must have seen through the ruse of apocalyptic forgery and recognized that the books produced were simply following the requirements of the genre.

25. Porphyry *Isagoge* pr. I.
26. For the letter and a full discussion of it, see A. E. Haefner, "A Unique Source for the Study of Ancient Pseudonymity," *Anglican Theological Review* 16 (1934): 8-15.
27. It is almost always claimed by scholars dealing with Christian pseudepigrapha that the author of the so-called *Acts of Paul* (or *Acts of Paul and Theda)* was caught and punished. That is true, but his crime was not committing forgery. As I point out in Chapter 3 in greater detail, the *Acts of Paul* is not a book that claims to be written *by* Paul; it claims to be a true account *about* Paul. The author was punished not for lying about his identity, but for fabricating a fictitious account and trying to pass it off as a historical record.
28. Anthony Grafton, *Forgers and Critics: Creativity and Duplicity in Western Scholarship* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1990).
29. See Raffaella Cribbiore, *Gymnastics of the Mind: Greek Education in Hellenistic and Roman Egypt* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2001).
30. In Chapter 4 I deal with other explanations that try to sanitize the practice as well, including the claim that apparent forgeries can be explained by authors having used secretaries who used a different writing style and altered the content of what the authors wanted to say.
31. In addition, some ancient authors described the penning of works in a name other than one's own with the Greek and Latin equivalents of our verb "to make" (as in "to create," "to forge") or "to make up" (i.e., to "fabricate").

32. The most thorough examination is now forty years old, but it. has never been equaled, let alone surpassed. Most New Testament scholars, alas, have never read it-Speyer's *Die literarische Fälschung im heidnischen und christlichen Altertum.* Also valuable, though considerably less thorough, is Norbert Brox, *Falsche Veifasserangabe: Zur Erklärung der frühchristlichen Pseudepigraphie* (Stuttgart: KBW, 1975). Most work on forgery in early Christianity focuses on the question of whether any pseudepigraphical writings made it into the New Testament. The most recent work along these lines is Armin Baum, *Pseudepigraphie und literarische Fälschung im frühen Christentum* (Tübingen: Mohr Siebeck, 2001). Together these authors give a comprehensive survey of all the ancient sources on forgery. And all of them agree that forgers intended to deceive their readers.
33. Herodotus *Histories* 7.6.
34. Plutarch *The Oracles at Delphi* 407B.
35. Athenaeus *The Banqueters* 13.611B.
36. Speyer, *Die literarische Fälschung,* p. 3; translation mine.
37. Aristotle *Nicomachean Ethics* 4.7.
38. *Xenophon Memorabilia* 4.2.14-18.
39. Plato *Republic* 382C; 389B; Heliodorus *Ethiopica* 1.26.6.
40. The fullest and most compelling study of Augustine's view of lying is David J. Griffiths, *Lying: An Augustinian Theology of Duplicity* (Grand Rapids, MI: Brazos, 2004).
41. Origen in his lost book the *Miscellanies,* discussed by Jerome in *Against Rufinus* 1.18; Clement *Miscellanies* 7,9,53,1-4.

Chapter 2: Forgeries in the Name of Peter

1. In the fuller account of the story, George's father is so proud of his son for speaking the truth in the face of possible adversity that he takes him into his arms and praises him to the heavens.
2. There are a number of interesting books on lying for a general audience. One of the most influential has been Sissela Bok,

Lying: Moral Choice in Public and Private Life, 3rd ed. (New York: Vintage, 1999).

3. For lying in antiquity, see especially the collection of essays in Christopher Gill and T. P. Wiseman, eds., *Lies and Fiction in the Ancient World* (Austin: University of Texas Press, 1993).
4. Exceptions *may* be some kinds of fantasy and science fiction, but even there plausibility is an important feature; postmodern novels, to no one's surprise, are a different kettle of fish.
5. Polybius *Histories* 2.56.10-12; trans. W. R. Paton, Loeb Classical Library (New York: Putnam, 1922).
6. For English translations of these stories, collectively known as the *Acts of Petel;* see J. K. Elliott, *The Apocryphal New Testament* (Oxford: Clarendon, 1993), pp.390-430; and Wilhelm Schneemelcher, *New Testament Apocrypha,* trans. R. McL. Wilson, from the sixth German edition, 2 vols. (Louisville, KY: Westminster John Knox, 1991-92), 2:271-321.
7. Eusebius *Church History* 6.12.
8. For an English translation, see Bart D. Ehrman and Zlatko Plese, *Apocryphal Gospels: Texts and Translations* (New York: Oxford University Press, 2010).
9. It is debated among scholars whether it is the "evildoer" who is punished by not having his legs broken or Jesus. I tend to think the former, since it doesn't make as much sense to think that the soldiers got angry at Jesus for something the other fellow said.
10. Some scholars have argued that these verses are not *actually* docetic. Here I'm not arguing that the author intended them to be read docetically. I'm simply saying that a hostile reader like Serapion may well have thought they were meant docetically, even if they were not.
11. Note again the relation of an "author" to "authority" and vice versa. In Serapion's view a false account such as the *Gospel of Peter* could not have been written by an authority such as Peter. And so the book was pseudepigraphical, written "under a false name" by someone else.

12. For English translations, see Wilhelm Schneemelcher, *New Testament Apocrypha,* trans. R. McL. Wilson, from the sixth German edition, 2 vols. (Louisville, KY: Westminster John Knox, 1991-92), 2:493-94. I have taken my quotations from there.

13. Though not in Paul's own writings. See the discussion of Gal. 2: 11-14 in the section on the noncanonical *Epistle of Peter* in Chapter 6.

14. I deal with the matter for a general audience in my book *Lost Christianities: The Battles for Scripture and the Faiths We Never Knew* (New York: Oxford University Press, 2003). For a more thorough and heavy-hitting study, see Harry Gamble, *The New Testament Canon: Its Making and Meaning* (Philadelphia: Fortress, 1985). For a fully authoritative account, see Bruce Metzger, *The Canon of the New Testament: Its Origin, Development, and Significance* (New York: Oxford University Press, 1987).

15. English translations can be found in Elliott, *Apocryphal New Testament,* pp. 593-612; and Schneemelcher, *New Testament Apocrypha,* 2:620-38.

16. Eusebius classifies the *Apocalypse of Peter* among the *notha*-the "bastard," forged writings-rather than among the books he accepts as canonical. But the fact that he has to mention the book at all in this context suggests that there were other Christians who maintained that it should be accepted as Scripture, as with most of the other books he classified as *notha,* such as the *Didache,* the *Epistle of Barnabas,* and the *Shepherd of Hermas.* The *Apocalypse of Peter* is also received as canonical (tentatively) in the late second-century Muratorian Canon, a document I discuss in Chapter 3.

17. For a discussion of the book, which includes evidence that it was not written by Peter, see J. H. Elliott, "Peter, First Epistle of," *Anchor Bible Dictionary* (New York: Doubleday, 1992), 5:269-78.

18. Jesus of course would have been speaking Aramaic. The Aramaic word for "rock" is Kephas, and that is how Peter's name occurs when given in its Aramaic form. I am not saying

that I think the account in Matthew is historically accurate in describing Peter as the "rock" of the church, but I do think it highly probably that Jesus renamed Simon "me Rock" during his public ministry.

19. It should not be objected that Peter did not actually see the crucifixion of Jesus and so was not a "witness" to his sufferings. Whoever wrote this book almost certainly did not have the Gospels to read; we can't know what he thought about Peter's involvement in Jesus's last hours.

20. For a discussion of the book, which includes evidence that it was not written by Peter, see J. H. Elliott, "Peter, Second Epistle of," *Anchor Bible Dictionary,* 5:282-87.

21. Simeon appears to be the Hebrew form of "Simon." Why the author mixes Hebrew (Simeon instead of Simon) with Greek (Peter instead of the Aramaic Kephas) is a puzzle.

22. Paul himself did not think that he was writing "Scripture." He was writing personal letters to his churches. They too treated these writings, when they received them, as personal correspondence. It was only later, after Paul's lifetime, that different churches and individuals collected these letters and started regarding them as Scripture. For insightful comments on the early collections of Paul's letters, see Harry Gamble, *Books and Readers in the Early Church* (New Haven, CT: Yale University Press, 1993), pp. 58-65.

23. There are other reasons for assuming Peter did not write this letter. In 3:2 the author slips and refers to "your apostles" as if he is not one of them. Moreover, the author uses the book of Jude and so must have written later than that forged letter. And he knows I Peter (since he refers to this book as his "second" letter), which, as I will argue more fully now, could not have been by Peter either, but was written later, at least after the fall of Jerusalem in the year 70.

24. William Harris, *Ancient Literacy* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1989).

25. Among the many excellent studies of ancient education systems, see especially the study of Raffaella Cribbiore, *Gymnastics of the*

Mind: Greek Education in Hellenistic and Roman Egypt (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2001).

26. Catherine Hezser, *Literacy in Roman Palestine* (Tübingen: Mohr Siebeck, 2001).
27. Mark Chancey; *The Myth of a Gentile Galilee* (Cambridge: Cambridge University Press, 2002); see also his more recent study, *Greco-Roman Culture and the Galilee of Jesus* (Cambridge: Cambridge University Press, 2005).
28. Jonathan Reed, *Archaeology and the Galilean Jesus* (Harrisburg, PA: Trinity Press International, 2000), pp. 140-69.
29. The famous synagogue that tourists see on the site today was built centuries later.

Chapter 3: Forgeries in the Name of Paul

1. For an English translation, see J. K. Elliot, *The Apocryphal New Testament* (Oxford: Clarendon, 1993), pp. 350-89; and Wilhelm Schneemelcher, *New Testament Apocrypha,* trans. R. McL. Wilson, from the sixth German edition, 2 vols. (Louisville, KY: West-minster John Knox, 1991-92), 2:213-70.
2. For a full account of the Thecla traditions, see Stephen Davis, *The Cult of Saint Thecla: A Tradition of Women's Piety in Late Antiquity* (New York: Oxford University Press, 2001).
3. Tertullian *On Baptism* 17.
4. The classic study of Marcion, which is still worth reading today, was published by the great German scholar Adolf von Harnack in 1924; it has been partially translated into English by John E. Steely and Lyle D. Bierma as *Marcion: The Gospel of the Alien God* (Durham, NC: Labyrinth, 1990). The most recent overview is Heikki Raïsänen, "Marcion," in Antti Marjanen and Petri Luomanen, eds., *A Companion to Second-Century Christian "Heretics"* (Leiden: Brill, 2008), pp. 100-124.
5. For an English translation, see Bruce M. Metzger, *The Canon of the New Testament* (New York: Oxford University Press, 1987), pp.305-07. Some scholars date the Muratorian Canon to the fourth century, but this view has not proved convincing to most

6. For an English translation, see Elliott, *Apocryphal New Testament,* pp.380-82; and Schneemelcher, *New Testament Apocrypha,* 2:254-57.
7. Benjamin White, "Reclaiming Paul? Reconfiguration as Reclamation in 3 Corinthians," *Journal of Early Christian Studies* 17 (2009): 497-523.
8. For an English translation, see Elliott, *Apocryphal New Testament,* pp. 547-52; and Schneemelcher, *New Testament Apocrypha,* 2:46- 52. My quotations here follow Schneemelcher's translation.
9. For a fuller description of Gnosticism, see Chapter 6.
10. The scholarly literature on the pastoral letters is so massive that it is difficult to know where to refer interested readers who want to see the basic arguments about their authenticity. Possibly it is best to start with Jerome D. Quinn, "Timothy and Titus, Epistles to," *Anchor Bible Dictionary,* ed. David Noel Friedman (New York: Doubleday, 1992), 6:560-71. As is true of everything I talk about in this book-as is true, in fact, for virtually anything any biblical scholar talks about-there are differences of opinion even here. For a representative of the minority view that Paul actually was the author of the pastoral letters, see the lively discussion in the introduction in Luke Timothy Johnson, *The First and Second Letters to Timothy* (New York: Doubleday, 2001).
11. For example, Michael Prior, *Paul the Letter Writer in the Second Letter to Timothy* (Sheffield: Sheffield University Press, 1989).
12. Among other things, this means that if any one of these letters is forged, they're all forged.
13. A. N. Harrison, *The Problem of the Pastoral Epistles* (Oxford: Oxford University Press, 1921).
14. This is the case even with scholars who want to argue that Paul did write the letters. One of the most recent studies is Armin Baum, "Semantic Variation Within the *Corpus Paulinum:* Linguistic Considerations Concerning the Richer Vocabulary of the Pastoral Epistles," *Tyndale Bulletin* 59 (2008): 271-92.

Baum points out that in the other letters of Paul, the fewer total number of words that can be found in a letter means that there are fewer *different* words used. But not with the pastoral letters, which have fewer words than many of Paul's letters, but more *different* words. Baum still wants to think that these books are written by Paul, however, and so comes up with an explanation that sounds perhaps like a case of special pleading. In his view, Paul took more consideration and time with these letters than his others, since he was composing them in writing rather than orally. That seems highly unlikely to me. Paul certainly put a lot of time and effort into composing letters like Romans and Galatians. Moreover, Baum doesn't cite any evidence to suggest that the Pastorals were composed in writing by Paul rather than dictated, by Paul or anyone else.

15. Unfortunately, the article is available only in German: Norbert Brox, "Zu den persönlichen Notizen der Pastoralbriefe," *Biblische Zeitschrift* 13 (1969): 76-94.
16. Dennis Ronald MacDonald, *The Legend and the Apostle: The Battle for Paul in Story and Canon* (Philadelphia: Westminster, 1983).
17. Once again, the scholarship on this question is voluminous. A good place to start is Edgar Krenz, "Thessalonians, First and Second Epistles to the," *Anchor Bible Dictionary* (New York: Doubleday, 1992), 6:515-23.
18. F. F. Bruce, *Paul: Apostle of the Heart Set Free* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1977).
19. J. Christiaan Beker, *Paul the Apostle: The Triumph of God in Life and Thought* (Philadelphia: Fortress, 1980).
20. See J. Christiaan Beker, *Heirs of Paul: Paul's Legacy in the New Testament and in the Church Today* (Minneapolis: Fortress, 1991).
21. See Victor Paul Furnish, "Ephesians, Epistle to," *Anchor Bible Dictionary* (New York: Doubleday, 1992), 2:535-42.
22. See Victor Paul Furnish, "Colossians, Epistle to the," *Anchor Bible Dictionary*, 1: 1090-96.

23. Unfortunately, the book has never been translated into English: Walter Bujard, *Stilanalytische Untersuchungen zum Kolosserbrief: Als Beitrag zur Methodik von Sprachvergleichen* (Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1973).

Chapter 4: Alternatives to Lies and Deceptions

1. It didn't occur to me at the time that the author of 2 Timothy would have been speaking only about the Scriptures he knew, the "Old Testament," and that his doctrine of inspiration may not have coincided with my own view that the Bible was completely without error, a view that in fact came into existence only in modern times.
2. A partial exception may be the view of evangelical scholar Donald Guthrie, who tries to argue on historical, rather than dogmatic, grounds that there can be no forgeries in the New Testament; see his "The Development of the Idea of Canonical Pseudipigrapha in New Testament Criticism," *Vox Evangelica* 1 (1962): 43-59.
3. These views of Daniel and Ecclesiastes are almost universally held by critical scholars today. For an introductory discussion, see two of the leading textbooks on the Hebrew Bible in use throughout American universities today: John J. Collins, *Introduction to the Hebrew Bible* (Minneapolis: Fortress, 2004); and Michael Coogan, *The Old Testament: A Historical and Literary Introduction to the Hebrew Scriptures* (New York: Oxford University Press, 2006).
4. Another approach is to acknowledge that false authorial claims do indeed constitute forgery-lies with the intent to deceive-but to insist that the Bible *should* not have such books in it. This is the claim of one of the most recent scholars of forgery who has come out of Germany, Armin Baum, who thinks that if it can be shown that a book really is forged, it should be removed from the New Testament (implied in his book *Pseudepigraphie und literarische Fälschung im frühen Christentum* [Tübingen: Mohr Siebeck, 2001] and confirmed by private correspondence). As you might imagine, given such a view, Baum is reluctant to consider too

many of the books of the New Testament forgeries. But he is willing to concede, for example, along with the vast majority of scholars, that 2 Peter is.

5. A. N. Harrison, *The Problem of the Pastoral Epistles* (Oxford: Oxford University Press, 1921), p. 12.
6. A. W Argyle, "The Greek of Luke and Acts," *New Testament Studies 20* (1974); 445.
7. M.J.J. Menken, 2 *Thessalonians* (London: Routledge, 1994), p.40.
8. Andrew *Lincoln, Ephesians* (Nashville: Thomas Nelson, 1990), p. lxx.
9. R. McL. Wilson, *Colossians and Philemon* (London: Clark, 2005), p. 31.
10. For an assessment of how certain books came to be considered part of the canon of Scripture, see my study *Lost Christianities: The Battles for Scripture and the Faiths We Never Knew* (New York: Oxford University Press, 2003). A fuller discussion can be found in Harry Gamble, *The New Testament Canon: Its Making and Meaning* (Philadelphia: Fortress, 1985).
11. Bruce M. Metzger, "Literary Forgeries and Canonical Pseudepigrapha," *Journal of Biblical Literature* 91 (1972): 15-16.
12. Norbert Brox, *Falsche Verfasserangabe: Zur Erklärung der früh-christlichen Pseudepigraphie* (Stuttgart: KBW, 1975), p. 81; translation mine.
13. Wolfgang Speyer, *Die literarische Fälschung im heidnischen und christlichen Altertum* (Munich: Beck, 1971), p. 3; translation mine.
14. Kurt Aland, "The Problem of Anonymity and Pseudonymity in Christian Literature of the First Two Centuries," *Journal of Biblical Literature* 12 (1961): 39-49.
15. James Dunn, "The Problem of Pseudonymity," in *The Living Word* (Philadelphia: Fortress, 1987), pp. 65-85.
16. David Meade, *Pseudonymity and Canon; An Investigation into the Relationship of Authorship and Authority in Jewish and Earliest Christian Tradition* (Tübingen: Mohr Siebeck, 1986).

17. Markus Barth and Helmut Blanke, *Colossians* (New York: Doubleday, 1994), p. 123.

18. Margaret Y. MacDonald, *Colossians and Ephesians* (Collegeville, MN: Liturgical, 2000), p. 8.

19. Two additional sources come from centuries later still and are of almost no historical worth, as I argue below.

20. The passage is discussed at some length, for example, in Baum, *Pseudepigraphie und literarische Fälschung*, pp. 53-55.

21. Ibn Abi Usaybi'a, *Kitab 'uyun al-anba 'fi tabaqat al-atibba'*, *ed.* 'Amir al-Najjar, 4 vols. (Cairo: al-Hay'a al-Misriyya al-'Amma lil-Kitab, 2001), 1;244-45.

22. Iamblichus *Life of Pythagoras* 31.

23. See Leonid Zhmud, *Wissenschaft, Philosophie und Religion im frühen Pythagoreismus* (Berlin: Akademie, 1997), p. 91.

24. See, for example, Holger Thesleff, *Introduction to the Pythagorean Writings of the Hellenistic Period* (Åbo: Åcademi, 1961).

25. Two later Neoplatonic philosophers, Olympiodorus and Elias, living some two and a half centuries after Iamblichus, make roughly similar comments (Olympiodorus *Prolegomenon* 13.4-14.4; Elias *In Porphyrii Isagogen et Aristotelis Categorias Commentaria* 128.1-22). But they are so long after the fact that they cannot help us know what was happening in the time of the New Testament, half a millennium earlier (any more than the editorial practices in vogue today can tell us what was happening in the 1500s). Moreover, the comments of Olympiodorus and Elias may ultimately derive from the tradition starting with Iamblichus, some two hundred fifty years earlier.

26. E. Randolph Richards, *The Secretary in the Letters of Paul* (Tübingen: Mohr Siebeck, 1991).

27. Richards, *Secretary*, p. 108.

28. Richards, *Secretary*, pp. 110-11.

Chapter 5: Forgeries in Conflicts with Jews and Pagans

1. See John J. Collins, *The Scepter and the Star: The Messiahs of the Dead Sea Scrolls and Other Ancient Literature* (New York: Doubleday, 1995).
2. For I an English translation of the Gospel of Nicodemus, see Bart D. Ehrman and Zlatko Plese, *Apocryphal Gospels: Texts and Translations* (New York: Oxford University Press, 2010).
3. For an English translation, see Ehrman and Plese, *Apocryphal Gospels.*
4. For an English translation, see Ehrman and Plese, *Apocryphal Gospels.*
5. For an English translation, see Ehrman and Plese, *Apocryphal Gospels.*
6. *Tertullian Apology* 21.24; Eusebius *Church History* 2.2.
7. For an English translation, see Ehrman and Plese, *Apocryphal Gospels.*
8. *Tertullian Apology* 21.24.
9. For an English translation, see Ehrman and Plese, *Apocryphal Gospels.*
10. For a fuller discussion, see my *Misquoting Jesus: The Story Behind Who Changed the Bible and Why* (San Francisco: Harper-San Francisco, 2005), pp. 63-65.
11. In the history of the interpretation of the passage the question has always been, "What was he writing?" Some have thought that he must have been writing out the sins of the woman's accusers. Or a particularly apt quotation of scripture. Or a declaration of condemnation of unjust judges. Or something else!
12. Chris Keith, *The Pericope Adulterae, the Gospel of John, and the Literary of Jesus* (Leiden: Brill, 2009).
13. Augustine *On the Harmony of the Gospels* 1.10.
14. Other writings allegedly written by Jesus are referred to in several church fathers, such as Augustine *(Against Faustus* 28.4) and Leo the Great *(Sermon* 34.4).

15. My reasoning in this case is that it is not a letter that existed outside of its fictional context, a piece of correspondence that circulated independently as a writing of Jesus.
16. For English translations of both letters, see Ehrman and Plese, *Apocryphal Gospels.*
17. An English translation of excerpts of Egeria's diary is provided by Andrew Jacobs in Bart Ehrman and Andrew Jacobs, *Christianity in Late Antiquity, 300-450 CE: A Reader* (New York: Oxford University Press, 2003), pp. 333-46.
18. *Tertullian Apology* 40; trans. S. Thelwell, in Alexander Roberts and James Donaldson, eds., *The Ante-Nicene Fathers* (reprint, Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1995).
19. Minucius Felix *Octavius* 9.6-7; in G. W. Clarke, ed., *The Octavius of Minucius Felix* (Mahway, NJ: Paulist, 1974).
20. Minucius Felix *Octavius* 9.5.
21. For English translations of a range of accounts, see Herbert Musurillo, *Acts of the Christian Martyrs* (Oxford: Clarendon, 1972).
22. Eusebius *Church History* 9.5.
23. Ovid *Metamorphoses* 14.136-46.
24. For an excellent study of the Sibyl and her oracles, see H. W. Parke, *Sibyls and Sibylline Prophecy in Classical Antiquity,* ed. B. C. McGin (London: Routledge, 1988).
25. For a full analysis and translation of the surviving oracles, see John J. Collins, *Sibylline Oracles,* in James Charlesworth, ed., *Old Testament Pseudepigrapha,* 2 vols. (New York: Doubleday, 1983-85), 1:317-472.
26. All translations are by Collins, in Charlesworth, ed., *Old Testament Pseudepigrapha.*
27. Justin *First Apology* 20.
28. For example, the pagan critic Celsus around 177 CE, as quoted by the church father Origen in his *book Against Celsus* (5.61.615; 7.53. 732; 7.56.734); also see a Latin oration attributed to the (Christian) emperor Constantine found in

Eusebius's *Life of Constantine,* in which the emperor claims that the pagan charges of forgery are false.

Chapter 6: Forgeries in Conflicts with False Teachers

1. John J. Gunther, *St. Paul's Opponents and Their Background* (Leiden: Brill, 1973).
2. Thomas Sappington, *Revelation and Redemption at Colossae* (Sheffield: JSOT, 1991); Richard DeMaris, *Colossian Controversy: Wisdom in Dispute at Colossae* (Sheffield: Sheffield University Press, 1994); Clinton Arnold, *Colossian Syncretism: The Interface Between Christianity and Folk Belief at Colossae* (Tübingen: Mohr Siebeck, 1995); Troy Martin, *By Philosophy and Empty Deceit: Colossians as Response to a Cynic Critique* (Sheffield: Sheffield Academic Press, 1996).
3. I have taken all translations of the *Pseudo-Clementine Writings* from Thomas Smith, "The Pseudo-Clementine Literature," in Alexander Roberts and James Donaldson, eds., *The Ante-Nicene Fathers,* vol. 8 (reprint, Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1995).
4. They are called this because they consist of twenty-Sermons allegedly given by Clement, in which he tells his tales of journeys and adventures with the apostle Peter.
5. There has been a spate of books on the historical James in recent years. For a competent treatment by a good scholar (with whom I disagree on a number of points), see John Painter, *Just James: The Brother of Jesus in History and Tradition* (Edinburgh: Clark, 1997).
6. See, for example, the discussion in my *Jesus, Interrupted: Revealing the Hidden Contradictions in the Bible (And Why We Don't Know About Them)* (San Francisco: Harper One, 2009), pp. 53-58.
7. Scholars have come up with four major possible explanations for these "we passages." Three of the four explanations simply don't seem to work. The traditional explanation is that the

author really was Paul's companion. That view is problematic though, since the author makes so many mistakes about Paul's life and teachings that he doesn't seem to be a close companion. Other scholars have maintained that the author, whoever he was, had access to a companion of Paul's travel itinerary and inserted it in a few places, creating the odd use of "we" on occasion (since that was how the itinerary was worded). This is an attractive option, but it does not explain why the writing style and vocabulary of the "we passages" is virtually the same as the rest of Acts. If the itinerary came from a different author, you would expect the style to be different. Other scholars have argued that the author is using an age-old technique of describing travel narratives-especially those involving sea journeys-in the first person. But still other scholars have pointed out that there are lots of sea-travel narratives not written in the first person, so this does not seem to explain these passages. The fourth explanation is the one that seems to me to have the fewest problems: the author has edited these sections of Acts to make his readers assume that he was actually with Paul for these parts of the story, even though he was not. This would explain why the "we" sections begin and end so abruptly: it was just a stylistic device used by the author to insert himself into the story in a few places.

8. Irenaeus *Against Heresies*, 3.14.1.
9. See note 6.
10. Scholars today are widely split on how to discuss Gnosticism or even whether to consider Gnosticism a single broad phenomenon. For three very different perspectives from leading scholars, see Karen King, *What Is Gnosticism?* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2005); Bentley Layton, *The Gnostic Scriptures: Ancient Wisdom for the New Age* (New York: Doubleday, 1981); and Birger Pearson, *Ancient Gnosticism: Traditions and Literature* (Minneapolis; Fortress, 2007).
11. For a fresh translation of the Nag Hammadi writings, see Marvin Meyer, ed., *The Nag Hammadi Scriptures* (San Francisco: Harper One, 2007).

12. Epiphanius *The Medicine Chest* 26.
13. Whether Epiphanius actually knew and read these other books or instead was making them up is anyone's guess.
14. Both Didymus and Thomas mean "twin"; Jude was his name. He is talked about as the twin of Jesus in the ancient Syrian book the *Acts of Thomas,* which describes his missionary journey to India after Jesus's death.
15. For an English translation, see Meyer, *Nag Hammadi Scriptures,* pp. 487-97. I have taken my quotations from there.
16. For an English translation, see Meyer, *Nag Hammadi Scriptures,* pp. 235-45. I have taken my quotations from there.
17. For an English translation, see Wilhelm Schneemelcher, *New Testament Apocrypha,* trans. R. McL. Wilson, 2 vols. (Louisville, KY: Westminster John Knox, 1991-92), 1:249-84.

Chapter 7: False Attributions, Fabrications, and Falsifications: Phenomena Related to Forgery

1. Thus Johannes Quasten, *Patrology* (Utrecht: Spectrum, 1950), 2:412-13.
2. It is included as part of the canon of the New Testament, for example, in a famous biblical manuscript of the fifth century, Codex Alexandrinus.
3. For the variety of expectations of what the future messiah would be like, see John J. Collins, *The Scepter and the Star* (New York: Doubleday, 1995) and my brief discussion in Chapter 5.
4. Irenaeus *Against Heresies* 3.7.11.
5. Papias indicates that he received this information from someone who had known the apostles; that is, it comes to us third-hand. See the next note.
6. For the full text of Papias's comments, see Bart D. Ehrman, *The Apostolic Fathers,* 2 vols., Loeb Classical Library (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2003), 2:103.

7. Tertullian *Against Marcion* 4.5.

8. I argue this case in my book *Jesus, Interrupted: Revealing the Hidden Contradictions in the Bible (and Why We Don't Know About Them)* (San Francisco: Harper One, 2009), pp. 102-12, and probably don't need to give all the arguments and information yet again here.

9. For an argument that the author intends to make his readers think he was Paul, see Clare Rothschild, *Hebrews as Pseudepigraphon* (Tübingen: Mohr Siebeck, 2009).

10. For an English translation, see Ehnnan, *Apostolic Fathers,* 2:3-83.

11. For an English translation, see Bart D. Ehrman and Zlatko Plese, *Apocryphal Gospels: Texts and Translations* (New York: Oxford University Press, 2010).

12. See David Dungan and J. K. Elliott, *Art and the Christian Apocrypha* (New York: Routledge, 2001).

13. For an English translation, see Ehrman and Plese, *Apocryphal Gospels.*

14. For an English translation, see Ehrman and Plese, *Apocryphal Gospels.*

15. The fullest, most recent study is Reidar Aasgaard, *The Childhood of Jesus: Decoding the Apocryphal Infancy Gospel of Thomas* (Eugene, OR: Cascade, 2009).

16. See my *Jesus, Interrupted.* As I stress there, this view that the Gospels contain nonhistorical accounts is not just my idiosyncratic idea; it is the consensus of modern critical scholarship and has been for a very long time.

17. This is the subject of my earlier book *Misquoting Jesus: The Story Behind Who Changed the Bible and Why* (San Francisco: Harper One, 2005). Here I summarize just a few of the most important points.

18. See my *Misquoting Jesus,* pp. 65-68.

19. See the discussion in Gordon Fee, *The First Epistle to the Corinthians* (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1987) or, more briefly, *Misquoting Jesus,* pp. 183-86.

20. Robert Funk, Roy W. Hoover, and the Jesus Seminar, eds., *The Five Gospels: The Search for the Authentic Words of Jesus* (New York: Macmillan, 1993), p. 22.

21. *The Architecture of Marcus Vitruvius Pollio,* trans. Joseph Gwilt (London: Priestley and Weale, 1826).

22. Polybius *Histories* 9.2.12.

23. Martial *Epigrams* 1.66; trans. Walter C. A. Ker, Loeb Classical Library (Cambridge MA: Harvard University Press, 1979).

24. Diogenes Laertius *Lives* 2.60; 5.93; 8.54; trans. R. D. Hicks, Loeb Classical Library (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1931).

Chapter 8: Forgeries, Lies, Deceptions, and the Writings of the New Testament

1. Edgar J. Goodspeed, *Modern Apocrypha* (Boston: Beacon, 1956); Per Beskow, *Strange Tales About Jesus: A Survey of Unfamiliar Gospels* (Philadelphia: Fortress, 1983).

2. Discussed in Goodspeed, *Modern Apocrypha,* pp. 3-14; and Beskow, *Strange Tales,* pp. 57-65.

3. See Goodspeed, *Modern Apocrypha;* Beskow, *Strange Tales,* pp. 20-28; 42-50.

4. By Roman source I mean any source written by a pagan author of the Roman Empire; Jesus is mentioned in Christian sources, of course, and twice in the writings of the Jewish historian Josephus, though by no other source of the first century.

5. See Goodspeed, *Modern Apocrypha,* pp. 92-96; Beskow, *Strange Tales,* pp.16-24.

6. I have taken the translation from Goodspeed, *Modern Apocrypha,* pp. 92-93.

7. See Goodspeed, *Modern Apocrypha,* pp. 97-101.

8. Goodspeed, *Modern Apocrypha,* p. 101.

9. Goodspeed, *Modern Apocrypha,* pp. 45-49. This tale is based on old traditions, especially popular in the Byzantine

Christianity, about Mary and a red egg, which arguably provide the origin for the custom of coloring Easter eggs.

10. According to Beskow, this account was written by the Anglican clergyman Gieon Ouseley (1835-1906), a committed vegetarian who wrote ten books on vegetarianism and die occult.
11. Hugh Schonfield, *The Passover Plot* (New York: Bantam, 1965).
12. See Chapter 1, n. 16.
13. See Chapter 1, n. 16.
14. One of Morton Smith's most avid supporters, who argues vehemently that the letter of Clement is authentic, is Scott Brown; his fullest study is *Mark's Other Gospel: Rethinking Morton Smith's Controversial Discovery* (Waterloo, ON: Laurier University Press, 2005).
15. For a popular treatment, see Sissela Bok, *Lying: Moral Choice in Public and Private Life*, 3rd ed. (New York: Vintage, 1999).

فهرس المحتويات

مقدمة المترجم 5
تمهيد 7

الفصل الأول: عالم من الخداع والتزوير

عمليات التزوير في العالم القديم 19
حالات تزييف مسيحية قديمة 23
اصطلاحات البحث 26
البواعث على التزوير 29
تقنيات المزورين 37
نظرة القدماء للتزوير 40
التبريرات المحتملة للتزوير 44

الفصل الثاني: الكتابات المزورة باسم بطرس

قصص حقيقية لم تحدث 50
قصص حول بطرس 55
كتابات غير موثقة زورت باسم بطرس 58
إنجيل بطرس 58
رسالة بطرس 66
رؤيا بطرس 69
كتابات «بطرسية» في العهد الجديد 71
رسالة بطرس رقم 1 72
رسالة بطرس رقم 2 74
سمعان بطرس وفلسطين القديمة والتعليم 76

الفصل الثالث: كتابات مزورة باسم بولس

قصص خيالية قديمة حول بولس 87
كتابات غير قانونية زورت باسم بولس 89
حالات تزوير قام بها ماركيون 90
الرسالة إلى أهل كورنثيا رقم 3 93

رسائل بولس وسينيكا 96
الكتابات «البولسية» (المنسوبة لبولس) في العهد الجديد 98
الرسائل الرعوية تيموثاوس 1 و 2 وتيطس.................................. 99
خلاصة الرسائل... 99
الشكوك العلمية الأولى حول الرسائل 100
الدراسات الحالية هل الرسائل مزورة؟ 102
لماذا زورت الرسائل الرعوية؟..................................... 108
الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيك 111
الرسالة إلى أهل أفسس... 114
الرسالة إلى كولوسي... 118
استنتاج... 120

الفصل الرابع: بدائل عن الأكاذيب والخداع

هل يمكن للكتاب المقدس أن يحتوي أكاذيب؟ 122
هل التزوير غش؟ 124
شيء مألوف خاطئ علمياً... 124
نظرة بديلة 127
الكتابة باسم مستعار كممارسة مقبولة............................... 129
الكتابة باسم مستعار بوحي من الروح القدس 129
إعادة تفعيل التراث 130
المدارس الفلسفية 134
فرضية الكاتب المستخدم... 138
الخلاصة المستنتجة 145

الفصل الخامس: التزوير في النزاعات مع اليهود والوثنيين

بعض حالات التزوير التي نتجت 153
إنجيل بطرس... 153
إنجيل نيقوذيموس 153
الأناجيل المرتبطة ببيلاطس... 156
رسالة هيرودس إلى بيلاطس 156

رسالة بيلاطس إلى هيرودس 158
رسالة بيلاطس إلى كلوديوس 158
تقرير بونتيوس بيلاطس........ 160
تسليم بيلاطس 161
الهدف من «أناجيل بيلاطس» 162
كتابات يسوع 163
المعارضة الوثنية للمسيحية 167
بعض التزويرات الصادرة 173
عدد من التزويرات التي رأيناها سابقاً 173
تنبؤات العرافات 176
خ 179

الفصل السادس: الكتابات المزورة في النزاعات مع المعلمين الكاذبين

حوارات بين المسيحيين الأوائل........ 184
تزويرات موجهة ضد خصوم مجهولين........ 187
الرسالة إلى مؤمني كولوسي 188
رسالة يهوذا........ 189
كتابات مزورة معارضة لبولس 192
رسالة بطرس غير المعتمدة في الكنيسة 192
الكتابات المزورة باسم كليمنت........ 194
رسالة جيمس (يعقوب) 196
كتابات مزورة مؤيدة لبولس 202
رسالة بطرس الأولى 202
رسالة بطرس الثانية........ 204
أعمال الرسل........ 205
تزويرات غنوصية ومعادية للغنوصية 213
الغنوصية المسيحية المبكرة 213
كتابات غنوصية مزورة........ 216
رؤيا بطرس القبطية 217

كتاب توما المناضل 218
تزويرات مضادة للغنوصية 219
الرسالة الثالثة إلى كورنث 220
رسالة الرسل 220
خاتمة الفصل 221
الفصل السابع: ظواهر مرتبطة بالتزوير النسبة الكاذبة والاختلاق والتزييف
كتابات منسوبة لغير أصحابها 224
حالات نسبة كاذبة حصلت بالخطأ 225
حالات نسبة كتابات لزيادة مصداقيتها 226
نسبة الأناجيل إلى غير مؤلفيها الحقيقيين 226
حالات أخرى من النسبة الخاطئة .... 2[illegible]
الاختلاقات .... [illegible]
إنجيل يعقوب الأولي (أو التمهيدي) 237
إنجيل متى ـ الزائف 239
إنجيل الطفولة الذي ألفه توما 240
اختلاقات ضمن الكتب المعتمدة 242
حالات التحريف 244
الانتحال 248
خلاصة الفصل 252
الفصل الثامن: حالات التزوير والأكاذيب والخدع وكتابات العهد الجديد
الفترة المجهولة من حياة يسوع المسيح 256
صلب يسوع، عن شاهد عيان 258
الحكم بإعدام يسوع المسيح 260
الكتاب الثاني لأعمال الرسل الذي فقد طويلاً 262
حالات أخرى من الخداع والغش 263
تزويرات وأكاذيب وخدع مسيحية 265
Note 271